

الرقم الدولي
2394 – 6628

**August
2021**

معامل التأثير العربي
1.18

International Research Journal of Arabic Literature



مَجَلَّةُ التَّمِيزِ
مجلة أدبية محكمة دولية

Chief Patron
Dr. Asgar Hassan Samoon
(IAS)

رئيس التحرير
الدكتور معراج الدين الندوي

وزارة التعليم العالي بولاية جامو وكشمير بالهند ١٩١١٠١

191101 Higher Education Department J&K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature



Government of Jammu & Kashmir Higher Education Department



Chief Patron
Dr. Asgar Hassan Samoon (IAS)



Vice Chief Patron
Prof. Yaseen Ahmad Shah

مجلة التلميز

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

**Monthly Arabic Research Journal
Of**

Higher Education Department J&K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature



Director of Journal
Prof. M. Muzaffar Husain Nadvi

سجلوا انتصاركم بمداد الفخر



Editor in Chief
Dr. Meraj ud Din Para Nadvi

دعوة المشاركة و شروط النشر:

تدعو "مجلة التلميز" الباحثين وأساتذة الجامعات والمتخصصين في اللغة العربية وآدابها من أرجاء العالم الإسلامي، لتقديم نتائجهم العلمي مما له علاقة بموضوعات المجلة وذلك للنشر بها.

يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:

* أن يكون البحث أصيلاً وجديداً، لم يسبق نشره في نشرات أخرى مهما كانت، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي.

* ألا يقل عدد صفحات المقال عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة، بما فيها المصادر والهوامش والجداول والرسوم التوضيحية، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

* أن يكون المقال مطبوعاً على الكمبيوتر وفق برنامج "Microsoft Word" بخط من نوع Sakkal Majalla

* تحتفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتاليين لمؤلف واحد.

يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعة قدر الإمكان.

ويجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة، أو أسماء أعلام ضبطها بالشكل وتخريج الأحاديث والآيات

* أن توضع الهوامش فكل صفحة وكذلك توضع المراجع والمصادر على آخر صفحة المقال ويراعى في طريقة التمهيش المنهج التالي:

* الكتب: إسم ولقب المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء، الترجمة (إن وجدت) الطبعة دار النشر/ الناشر، مكان النشر، وسنة النشر.

* المقالات: إسم ولقب المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، (الجهة التي تصدر عنها)، العدد، الصفحة.

* المراجع الإلكترونية: اسم المؤلف، أو المنظمة "عنوان المقال"، العنوان الإلكتروني كاملاً، تاريخ التصفح: اليوم، الشهر، السنة.

* المخطوطات: اسم المؤلف وعنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها.

* الصحف: إذا كان خبراً يكتب اسم الصحيفة، والعدد، والتاريخ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب، "وعنوان

المقالة" واسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها (يومية، أسبوعية، شهرية)، (ومكان الصدور) والعدد، والتاريخ، والصفحة.

* يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، كما

تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

* الدراسات التي تنشرها المجلة تُعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

المراسلة والاشتراك: يمكنك إرسال بحثك العلمي إلى لجنة التحكيم في المجلة العربية للنشر العلمي عن طريق:

إرسال البحث إلى الإيميل التالية: editor@tilmeezjournal.com موضحاً اسم الباحث - عنوان البحث - وصف مختصر للبحث

والباحث.



Government of Jammu & Kashmir Higher Education Department

الهيئة الاستشارية / Advisory Board

رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية
رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية بالهند
الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة بالهند
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بالجامعة المليية الإسلامية
جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية
قسم العربية و آدابها بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند
الأستاذ المشا رك بجامعة جواهر لال نهرو
رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر، كشمير
قسم اللغة والأدب العربي جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر
قسم العربية و آدابها بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند
المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه
المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
الأستاذ المساعد بالجامعة العالية، كولكتا- الهند
أستاذة تاريخ الأديان ، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان.
رئيس تحرير مجلة الرسالة الدولية للدراسات والبحوث ومحاضر
بقسم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية
والإجتماعية بجامعة العربي التبسي تبسة الجزائر.
الباحث الأكاديمي بالدوحة دولة قطر
جامعة تلمسان بالجزائر

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري
البروفيسور كفيل أحمد القاسمي
البروفيسور صلاح الدين تاك
البروفيسور محمد سميع أختر
البروفيسور محمد فيضان بك
البروفيسور مسعود أنور علوي
البروفيسور منظور أحمد خان
البروفيسور رضوان الرحمن
البروفيسور عبد الماجد القاضي
الدكتور ربحان أختر القاسمي
البروفيسور شاد حسين
البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي
البروفيسور السيد جهانكير
البروفيسور حبيب الله خان
البروفيسور محمد ثناء الله الندوي
الدكتور عبيد الرحمن طيب
البروفيسور عبد الرحمن وار
البروفيسورة دنيا باقل
البروفيسورة تسنيم كوثر
د. زكريا السرتي المغربي
البروفيسور عبد الرحمن واني
الدكتور شمس كمال أنجم
د. تيسير محمد أحمد الزيادات
د. معراج أحمد معراج الندوي
د. كريمة نور عيساوي
الدكتور رضوان بلخير
الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي
الأستاذ عبدالقادر سلامي

مجلة التلميز

مجلة علمية عربية محكمة شهرية تصدر
عن وزارة التعليم العالي بجاموں وكشمير

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

الدكتور أصغر حسن سامون
(IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسور يسين أحمد شاه

مدير التحرير

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

البروفيسورة دنيا باقل (الجزائر)

الدكتورة نورأفشان

الدكتور عناية الله واني الندوي

الدكتور فاروق أحمد ميرالقاسمي

الدكتور محمد ربحان الندوي

الدكتور محسن عتيق خان

الدكتورة زهراء علي دخيل (لبنان)

الآراء المنشورة في مجلة "التلميز" تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

محتويات العدد

كلمة العدد	رئيس التحرير	06
صلتان للرأفة و الرحمة (الباء) و (على)	د.أورنك زيب الأعظمي	08
الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية.....	لطيفة بنت راشد المقبالية	16
دور وسائل الإعلام في نشر قيم الحوار الحضاري ..	الدكتورة زهراء على دخيل	27
تمكين المرأة في منظور الإسلام و سائر الأديان	شحنة سي.بي	41
روائع وجدانية في قصائد غزلية.....	د.الزروق عبد الحميد على	51
الإبداع الفني في شعر العلامة أنور شاه الكشميري	فيصل نذير	53
تعليم السيرة النبوية للأطفال	الباحث محمد اسحاق	72
أمانة الكلمة	د. قاضي عبد الرشيد الندوي	77
الرؤية الفلسفية في حل مشكلات.....	الدكتورة فاطمة صياد	81
ملامح اجتماعية في "تحية المساء"	مقصود أحمد	90
جدلية الأنا و الآخر في رواية قنديل أم.....	الدكتورة صليحة لطرش	100
تمثيل الأدب العربي في المهجر الشمالي	الدكتورة عرفاني رحيم	115

أستاذي الحنون... (الشيخ نذر الحفيظ الندوي الأزهري) البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي 125

AL-TILMEEZ

Arabic Research Journal

Of

Higher Education Department J & K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature



كلمة العدد:

(أغسطس 2021م / ذو الحجة 1442 هـ)

الحمد لله الذي سهّل لعباده إلى تعلم لغة القرآن سبيلا، وأوضح لهم طريقا لهداية وجعل أتباع الرسول عليها دليلا، وا تخذهم عبيدا له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيفا، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، لما رضوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا. والحمد لله الذي اختص هذه الأمة الإسلامية بأنه لا تزال فيها طائفة على خدمة لغة الضاد إلى يوم القيامة لا يضُرُّهم من خالفهم ولو اجتمع الثقلان على تدنيس اللغة العربية ومخالفة خادمها قبيلًا..والحمد لله الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم ورفع الذين أوتوا العلم درجات عليّة، اللهم أدخلنا في زمرةهم يا رحمن يا رحيم .

مرحبا اعزائي الكرام ها قد اتينا لكم اليوم بعدد جديد لمجلتكم المؤقّرة!

يسعدني أن أعرض على القراء الكرام العدد الثاني والثلاثين من "مجلة التلميد" الدولية

المحكمة (أغسطس 2021م / ذو الحجة 1442 هـ)

نجدد آمالنا بأن يكون هذا العدد مليئاً بالبحث العلمي المتميز على غرار سابقاته ، ومواكبة للتوجهات البحثية العالمية المعاصرة في جميع المجالات الأدبية و العلمية بهدف نشر فائدته الفكرية والنظرية لأكبر عدد من الأساتذة والباحثين معاً.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل مجلتكم نافعة لكل من يحب الضاد و نتمنى أن يزكو خيرها وينمو عطاؤها ليستمر مع الأيام القادمة بفضلله عز وجل. ونسأله سبحانه وتعالى مخلصا أن يأخذ بأيدينا إلى مواقع الحق والصواب، وأن يرزقنا جميعا صادق القول وصالح العمل، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، إنه سميع قريب.

فإننا ندعو جميع المهتمين بالضاد إلى تقديم الدعم العلمي والمساهمة الفاعلة لإنجاح جهود هذه المجلة الدولية ومساعدتها العلمية البحتة.

وأخيرا ، أجد من الضروري أن أتقدم بخالص الشكر الجزيل والاحترام والتقدير إلى جميع أعضاء هيئة تحرير المجلة ؛ وذلك لجهودهم الرائعة الفعالة لما قدموه لخدمة المجلة من أعمال مُتقنة، وناجحة، في تطويرها، وتقديمها بشكل ملحوظ.

مرحبا بكم معنا في العدد الحادي و الثلاثين ومرحبا بكل باحث ، وبكل قارئ متعطش.واقــرأوه بكل رغبة وشوق ليكون لنا ولكل الناس من حولنا حياة أوفر وأفضل علما وأدبا. مع تحياتي لكم الخالصة.

www.tilmeezjournal.in

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

سرينجر كشمير بالهند

صلتان للرافة والرحمة: (الباء) و(على)



د. أورك زيب الأعظمي

مدير تحرير "مجلة الهند"

وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،

الجامعة الملكية الإسلامية، نيودلهي

Abstract: Arabic is a very peculiar language spoken by a nation that depends on its memory than on pen and papers. It is a language that derives many forms and words from a single root of letters. It has several words and multiple expressions for a single object or reality. Similarly, it applies one and the same preposition to a word, to its synonyms and to its antonyms as well. It is a characteristic that is rarely found in any other language.

In our previous discussions we have taken different verbs and prepositions applied to it like the verbs *jahila yajhalu jahlan*, *ħalla yaħullu ħallan*, *bakhila yabkhalu bukhlan* and *khafiya yakhfā khafā'an*. Today we will take two words 'ra'fat' and 'rahmat' and discuss the prepositions applied to it as well as to its synonyms and antonyms.

Key Words: The Qur'an, Arabic Poery, the Ḥadīth, Ra'fat and Raḥmat.

المدخل: الرأفة والرحمة كلمتان شائعتان في اللغة العربية ونجدهما كذلك في القرآن الكريم والشعر العربي فقد جاءت كلمة الرأفة بمختلف مشتقاتها إحدى عشرة مرة إذ يصعب على القارئ تعداد مجيء كلمة (الرحمة) ومشتقاتها في القرآن الكريم. وأما كلام العرب فقد استعملها كل من الشعراء الجاهليين والإسلاميين كما سترون الأمثلة.

لم يورد القرآن الكريم إلا صلة واحدة للرأفة وهي الباء كما أنه أورد للرحمة صلتين وهما (الباء) و(على) فقال الله تعالى:

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠٧". (سورة النساء)

وقال أيضاً: "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٣٠". (سورة آل عمران)

وقال في سورة النور: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ

كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ هَدًى عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢.

وأما أمثلة كلمة الرحمة فقال تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩". (سورة النساء)

وقال أيضاً: "رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦". (سورة الإسراء)
وقال في سورة الأحزاب: "هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣".

وجاء في سورة هود: "قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ٧٣".

ونجد أمثلة عديدة أورد فيها القرآن الكريم الرأفة مع الرحمة مستعملاً صلة (الباء) فقال تعالى:

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣". (سورة البقرة)

وقال أيضاً: "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧". (سورة التوبة)
وقال في سورة التوبة: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨".

وجاء في سورة الحج: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ٦٥".
وقال في سورة الحديد: "هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ٩".

كلمتا (الرأفة والرحمة) في كلام العرب والصلات الداخلة عليهما: والآن نرجع إلى كلام العرب فننتبع استعمالهما فيه ونتحرى الصلات التي أوردوها فأولاً نأخذ كلمة (الرأفة). قال أمية بن أبي الصلت:

دعانا النبي به خاتم	فمن لم يجبه أسر الندم
نبي هدى صادق طيب	رحيم رؤوف بوصل الرحم ¹

¹ خزانة الأدب، 252/1

وقال الكميت الأسدي:

وهم الأرفون بالناس في الرأ	فة والأحلمون في الأحلام ¹
----------------------------	--------------------------------------

وقال علي بن أبي طالب ؓ:

فثق بمولك الكريم فإنه	بالعبد أرأف على ² أب ببنيه ³
-----------------------	--

وقال مروان بن أبي حفصة:

كان أمير المؤمنين محمداً	لر أفته بالناس للناس والد ⁴
--------------------------	--

وأما استعمالها بصلة "على" فقالت الخنساء:

لهفي على صخر فإني أرى له	نو اقل من معروفه قد تولت
لهفي على صخر لقد كان عصمة	لمولاه إن نعل بمولاه زلت
يعود على مولاه منه بر أفة	إذا ما الموالي من أخيها تخلت ⁵

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرثي عمر بن الخطاب ؓ:

وفجّعنا فيروز لا دردره	بأبيض يتلو المحكمات منيب
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا	أخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله	سريع إلى الخيرات غير قطوب ⁶

"بأبيض" أي برجل أبيض. وغير قطوب: أي مسفروجه مثل "لا يحب" أي يبغض.

وقال شعبة بن قُمَيْرٍ مستخدماً هذه الصلة لكل من الر أفة والرحمة:

فإن شئتم كنا صديقاً مصافياً	جديراً عليكم بالر أفة والرحم ⁷
-----------------------------	---

وأما مجيء كلمة (الرحمة) بصلة (الباء) فقال الأسود بن يعفر:

وضبة المشتري العاربنا	وذاك عم بنا غير رحيم ¹
-----------------------	-----------------------------------

وقال علي بن أبي طالب ؓ:

¹ ديوانه، ص 498
² لعله: من أب ببنيه لأن الرب أرأف بالعبد من والد بولده
³ ديوانه، ص 105
⁴ ديوانه، ص 38
⁵ ديوانها، ص 22
⁶ شرح ديوانه، ص 40-41
⁷ النوار في اللغة، ص 369

أ فاطم قد أبلتُ في نصر أحمد

ومرضاة ربِّ بالعباد رحيم²

وقال أبو الأسود الدؤلي:

فإنك ما علمتُ، وكلّ نفسي	تُرى صفحائها ولها سريره،
لندو قلبٍ بذى القربى رحيم	وذوعين بما بلغت بصيره ³

وجاء في حديث ضعيف: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أرحم أمي بأمتي أبو بكر وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".⁴

ولقد جاءت هذه الكلمة بصلة (على) أيضاً فقالت الخنساء:

أيها الموتُ لو تجافيت عن صخر	لألفيته نقيّاً عفيفاً
عاش خمسين حجة ينكر المنكر	فينا ويبدل المعروفا
رحمة الله والسلام عليه	وسقى قبره الربيعُ خريفاً ⁵

وقال الحارثي الشاعر الحماسي:

فما حيلتي إن لم تكن لك رحمةً	عليّ ولا لي عنك صبرٌ فأصبر ⁶
------------------------------	---

وقال عملس بن عقيل بن علفة:

فأما إذا عضّت بك الحربُ عضّةً	فإنك معطوف عليك رحيم ⁷
-------------------------------	-----------------------------------

فالرحيم هنا مرحوم أي مرحوم عليه.

وقال كثير عزة:

على أم بكرٍ رحمةً وتحيةً	لها منك والنائي يودُّ وينصح ⁸
--------------------------	--

وينسب إلى كثير ما يلي:

¹ ديوانه، ص 69² ديوانه، ص 89³ ديوانه، ص 65-66⁴ الموطأ والترمذي⁵ ديوانها، ص 84⁶ شرح ديوان الحماسة، 848/2⁷ شرح ديوان الحماسة، 852/2، ولسان العرب وتاج العروس: رحم⁸ ديوانه، ص 464

كلّما قام قائمُ الإسلام¹

رحمةُ الله والسلامُ عليهم

وقالت عاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب:

رحمةُ الله على ذاك الجسد²

جسدٌ لُقِفَ في أكفانه

مرادفاتهما والصلات الداخلة عليهما: وحتى نجد أنّ الكلمات المرادفة لهاتين الكلمتين تأتي لهما نفس الصلتين

(الباء) و(على) فقال النعمان بن بشير الأنصاري:

من الدهر ألقى عاريًا متقسّمًا

وإني بحمد الله لم تُمس ليلاً

عزوفٌ إذا كان التجنّبُ أحزماً³

ولكن رفيقٌ بالوصال ومزحلّ

ف"رفيق بالوصال" هو الرؤوف بالوصال.

وقال عيلان بن شجاع:

وأعلم أنّ الرفق بالمرء أرفق⁴

أحبُّ أبا مروان من أجل ماله

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي عن بشر:

على كلّ حافٍ من مَعَدٍ وناعل⁵

حليمٌ على الجهّال منّا ورحمةٌ

وقال مهلهل بن ربيعة مستخدمًا هذه الصلة لكلمة "شفيق":

برأي محمودٍ عليهم شفيق⁶

فاحتلّ أوزارهم إزره

والأمثلة لهذا كثيرة.⁷

¹ ديوانه، ص 537

² شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 169

³ ديوانه، ص 116

⁴ شرح شواهد المغني، 780/2

⁵ شعره، ص 112

⁶ ديوانه، ص 54

⁷ مثلاً قال عمرو بن الأهم:

لصالح أخلاق الرجال سروق	ذريني فإنّ الشخّ يا أمّ هيثم
على الحسب الزاكي الرفيع شفيق	ذريني وحطّي في هواي فإنني
نوانب يغشى زُرّؤها وحقوق	ذريني فإنني ذو فعّال ثمّني

شرح ديوان الحماسة، 974-973/2

وقال إبراهيم بن هرمة القرشي:

أُمني عليك من المنون شفيقا	لا عيب فيك يُعاب إلا أني
----------------------------	--------------------------

أضدادهما والصلات الداخلة عليهما: وليس هذا فحسب بل نجد هاتين الصلتين داخلتين على الكلمات الأضداد لهما فقال امرؤ القيس في حمار الوحش:

عنيفٌ بتجميع الضرائر فاحشٌ	شتيمٌ كذلِكَ الرُّجْ ذي ذمرات ¹
----------------------------	--

وقال آخر:

ألا يا لقومي للنوائب والردى	ودهرٍ ملجٍ بالكرام عنيف ²
-----------------------------	--------------------------------------

وأنشد الليث:

أحنى وأرحم من أمٍ بواحدِها	رُحماً، وأشجع من ذي لِبْدَةٍ ضاري ³
----------------------------	--

وقال سُبَيْع بن الحطيم التيمي شاعرو فارس محسن:

واستبدلتُ غيري وفارق أهلها	إنَّ الغنيَّ على الفقير عنيف ⁴
----------------------------	---

وقال رجل من بني قريع:

إذا المرءُ أعتته المروءة ناشئاً	فمطلبها كهلاً عليه شديد ⁵
---------------------------------	--------------------------------------

وقال تعالى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ"---". (سورة الفتح: 29)

وقال عروة بن أذينة:

من حبٍ سُعدي شَقَّتْ عليك وقد	شَطَّتْ نواها وغارقيمها ⁶
-------------------------------	--------------------------------------

وقال سراقه البارقى بعد أن ذكر فتاة جميلة:

تلك التي شَقَّتْ عليّ فلا أرى	أمثالها فارحل ولا تستقتل ⁷
-------------------------------	---------------------------------------

وقال الفرزدق:

وبالله لولا أن تقولوا: تكاثرتُ	علينا تميمٌ ظالمين، وأسرفوا
--------------------------------	-----------------------------

شعره، ص 149

¹ ديوانه، ص 51، الضرائر: الأتُن، ذمرات: زجر ودفع بشدة وعنف

² شرح أبيات مغني اللبيب، 278/1

³ لسان العرب: رحم

⁴ ديوان المفضليات، ص 370

⁵ شرح ديوان الحماسة، 708/2

⁶ شعره، ص 75، غار: أتى الغور، قِيم: القائم بشأنها وولها

⁷ ديوانه، ص 58

لما تُرِكَتْ كَفُّ تَشِيرُ بِأَصْبَعٍ	وَلَا تُرِكَتْ عَيْنٌ عَلَى الْأَرْضِ تَطْرِفُ
لَنَا الْعِزَّةُ الْغَلْبَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي	عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يُتَحَلَّفُ ¹

ملخص الكلام: رأينا فيما سردناه من الأمثلة من كلا المصدرين المهمين للعربية القرآن الكريم وكلام العرب أنّ كلمتي (الرأفة) و(الرحمة²) شائعتان في القرآن الكريم وكلام العرب وأنهما يعمّ استعمالهما بصلة (الباء) و(على) وأنّ مرادفاتهما تأتي بنفس الصلتين كما أنّ أضدادهما تدخل عليها هاتان الصلتان. وهذا من ميزات اللغة العربية أنّ صلة من صلاتها تدخل على العديد من كلماتها فتفيد معاني عديدة كما تفتح للقرءاء جوانب مختفية للبلاغة داعية إياهم إلى إمعان النظر في سعة نطاق دلالتها ومن ثم إلى تنوع معاني كلمة أو صلة وردت في بحبوحتها.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م
3. خزائن العرب ولبّ لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م
4. ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998م

¹ ديوانه، ص 392

² وكذا نجد أنّ الرحمة تأتي متعدية بنفسها كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ	رَحْمَةُ الْمُشْتَهِي ثَوَابَ الْجِهَادِ
شرح ديوانه، ص 134، وقال قيس بن ذريح:	
وَأَرْحَمُ خَدَّيْهَا إِذَا مَا لَحَظْتُهَا	حَذَارًا لِلْحَظِي أَنْ يُؤَثَّرَ فِي الْخَدِّ
ديوانه، ص 73، وقال عبد الله بن الحجاج:	
أَدْنُو لِرَحْمَتِي وَتَجِبِرْ فَاقَتِي	فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ

شعراء أمويون، ص 309.

ولكن لما أجد الرأفة متعدية بنفسها.

5. ديوان الأسود بن يعفر، صنعة: الدكتور نوري حمودي القيسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الجمهورية، 1970م
6. ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م
7. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
8. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6
9. ديوان النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1985م
10. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
11. ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق ودراسة: د. عبد الحميد السطلي، دمشق، 1974م، د.ت.
12. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، 1988م
13. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، شرح: ضابط بالحربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت
14. ديوان قيس بن ذريح، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م
15. ديوان كُثَيِّر عَزَّة، جمع وشرح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م
16. ديوان مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق وتقديم: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط3، 1982م
17. ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د.ت.
18. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمع وترتيب: بشير يموت، المطبعة الوطنية، ط1، 1934م
19. شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1988م
20. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهرسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
21. شرح شواهد المغني للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، لجنة التراث العربي، د.ت.
22. شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1869م
23. شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1974م
24. شعراء أمويون للدكتور نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م
25. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
26. النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981م

الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في سلطنة عُمان



لطيفة بنت راشد المقبالية

أستاذة في كلية السلطان قابوس لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

Abstract: The study, which was prepared in 2018-2019, aimed to identify the training needs for Arabic language teachers for non-native speakers in Oman in addition to test the effect of years of experience, qualifications, and gender on the training needs. The study employed the descriptive approach and the questionnaire divided into three domains: planning, implementation, and evaluation.

Key Words: Arabic for Non-speakers, Training Needs, Planning, Implementation, Evaluation.

الملخص: هدفت هذه الدراسة والتي أعدت في 2018-2019 إلى تحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في سلطنة عُمان، بالإضافة إلى بيان أثر متغيرات الدراسة: الخبرة، والمؤهل العلمي، والنوع الاجتماعي في تحديد تلك الاحتياجات. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت الاستبانة من ثلاثة محاور: التخطيط، والتنفيذ، والتقييم. الكلمات المفتاحية: اللغة العربية للناطقين بغيرها، الاحتياجات التدريبية، التخطيط، التنفيذ، التقييم.

المدخل: إن الاهتمام بقضية إعداد المعلم وتدريبه بصفة عامة ومعلم اللغة العربية بصفة خاصة قد زاد نتيجة لما يشهده العصر الحاضر من تغييرات وتطورات معرفية وعلمية وتكنولوجية، تؤثر بشكل مباشر في أداء معلم اللغة العربية وفي مسيرته للتقدم العلمي في مجال التعليم.

وهو ما يؤكد الكثير من الباحثين في هذا المجال؛ فدراسا الكوري (2006)⁽¹⁾ والنمري (2008)⁽²⁾ على سبيل المثال قد أشارتا إلى أن هناك حاجة مستمرة إلى تنمية وتطوير معلمي اللغة العربية؛ لمواكبة المستجدات من خلال التدريب أثناء العمل على الأفكار والتطورات الجديدة. في هذه المقالة سنعرض تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في سلطنة عُمان، ومفهوم الاحتياجات التدريبية، وأنواعه،

وأهميته، ومصادره، وختاماً خلاصة الدراسة.

تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في سلطنة عُمان:

مجال تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة يعتبر مجال جديد، ففي عام 2012 انشأت أول كلية مختصة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هي كلية السلطان قابوس لتعليم اللغة العربية في ولاية منح، إضافة إلى بروز عدد من المعاهد الحديثة التي صارت تحقق رغبة الكثير من الناطقين بغير العربية في السلطنة وخارجها في تعلم هذه اللغة الجميلة، الأمر الذي يعكس اهتمام السلطنة في نشر اللغة العربية.

وعلى الرغم من أهمية هذه الأعمال والجهود المبذولة من قبل تلك المعاهد لخدمة اللغة العربية-في السلطنة-إلا أنه من الملاحظ أن معظم المعلمين في هذا المجال إما جدد أو أنهم معلمون يعملون في وزارة التربية والتعليم في تعليم اللغة العربية لأبنائها؛ مما يتطلب وجود جهة خاصة راعية للتدريب والتي من ضمن عملها تحديد الاحتياجات التدريبية للمتدربين ضمن خططها التدريبية السنوية على غرار مراكز التدريب والإقامة المهني التابعة لوزارة التربية والتعليم.

وبناء على ذلك فقد حددت الباحثة مشكلة دراستها في تحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة من خلال السعي إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:
ما الاحتياجات التدريبية اللازمة لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في سلطنة عُمان؟

- (1) الكوري، عبدالله علي. (2006) الاحتياجات التدريبية اللازمة لتطوير النمو المهني لمعلمي اللغة العربية بالمرحلة الثانوية دراسة ميدانية، مجلة المناهج وطرائق التدريس-القاهرة، العدد(110) ، ص136-164
- (2) النمري، حنان سرحان (2008) الاحتياجات التدريبية المهنية اللازمة لمعلمات اللغة العربية في المرحلتين المتوسطة والثانوية في ضوء متغيرات العصر ومستجداته في المملكة العربية السعودية، مجلة القراءة والمعرفة، مصر، ص230-258

وتفرع عن سؤال الدراسة الرئيس السؤال الآتي:

ما الاحتياجات التدريبية اللازمة لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في مجال تخطيط وتنفيذ وتقييم الدروس؟

مفهوم الاحتياجات التدريبية

تتعدد الاحتياجات الإنسانية، وتختلف باختلاف الأفراد والبيئات، ويرتبط مفهوم الاحتياجات بمفهوم الحاجة، والحاجة في اللغة هي ما يحتاج إليه الإنسان ويطلبه، والاحتياج هو الافتقار إلى شيء معين، والفعل من احتياجات: احتاج، حاج، حوجاء، ويعني افتقر، واحتياجات جمع حاجه وتعني ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه. أنيس (1973).⁽¹⁾

وقد ظهرت تعريفات كثيرة للاحتياجات التدريبية تعكس اتجاهات متعددة، تختلف باختلاف المجال والتخصص لمن قام بتعريفها، فقد ذكر طعيمة (2004، 251)⁽²⁾ أن الاحتياجات التدريبية: "هي مختلف التغيرات التي يرجى إحداثها في المشاركين في أي برنامج تدريبي، بما في ذلك المعارف والقيم والاتجاهات والسلوك؛ لتمكينهم من الأداء الكفاء لعمل معين يشتمل على مجموعة من المهام المطلوبة، ويرجع شعور هؤلاء بأهميتها".

ويرى الأحمـد (2005، 208)⁽³⁾ أن الاحتياجات التدريبية للمعلم هي: "مجموع التغيرات المطلوب إحداثها في معارف وخبرات المعلمين؛ لتجعلهم قادرين على أداء أعمالهم على الوجه الأكمل متمثلاً في معلومات المتدربين ومهاراتهم، وطرائق العمل والتعليم التي يستعملونها وما يتبع ذلك من مهارات في الأداء وتطوير الاتجاهات الإيجابية".

(1) أنيس، إبراهيم وآخرون (1973) معجم الوسيط، ج1، القاهرة، دارالمعارف.

(2) طعيمة، رشدي؛ والبندري، محمد (2004) التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤى التطوير. ط1، القاهرة، دار الفكر العربي. ص251-255

(3) الأحمـد خالد طه (2005) تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، العين-الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، ص208-209

أما توفيق (2006، 24)⁽¹⁾ فيعرف الاحتياجات التدريبية بأنها "تحليل مجالات عدم التوازن بين الأداء المستهدف والأداء الحالي من ناحية والفرص التدريبية المتاحة من ناحية أخرى".

وفي ضوء التعاريف السابقة يتضح أن الاحتياجات التدريبية مترابطة بوجود فجوة بين ما يمتلكه الفرد وما يجب أن يمتلكه من معلومات ومهارات سواء في مجال تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها أم في مختلف مجالات العلوم التربوية الأخرى وتوظيفها في العملية التعليمية، ويمكن القول إن مفهوم

الاحتياجات التدريبية يستند إلى تحديد جوانب القصور لدى معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة، والمتمثلة في بعض المعارف والمهارات؛ بغرض تنميتها أو تعديلها أو تطويرها، مع الأخذ بعين الاعتبار مدى توفر الفرص والإمكانات التدريبية التي تساعد الفرد على تطوير أدائه والانتقال من المستوى الحالي الذي لا يخلو من الضعف أو القصور إلى مستوى الأداء المرغوب، وهذا بالطبع في حدود الإمكانيات المتاحة زماناً ومكاناً.

وتعرف الباحثة الاحتياجات التدريبية إجرائياً بأنها: الاحتياجات المعرفية والمهارية اللازمة لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة؛ لتطوير أدائه في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها تخطيطاً، وتنفيذاً، وتقويماً.

أنواع الاحتياجات التدريبية:

قبل أن نتعرف على أنواع الاحتياجات التدريبية من الجيد أن نشير أولاً إلى تعريف التدريب. فالتدريب لغة: يقال درب فلان بالشيء ودرب على الشيء: عوده ومرنه. واصطلاحاً: عبارة عن نشاط منظم يركز على الفرد؛ لتحقيق تغيير في معارفه ومهاراته وقدراته؛ لمقابلة احتياجات محددة عن الوضع الحاضر أو المستقبل. الوسيط (2004) ⁽²⁾

وتعرفه الباحثة على أنه مجموعة فعاليات أو أنشطة توجه إلى عدد من المتدربين خلال فترة زمنية محددة؛ لتحقيق أهداف معينة في برنامج منظم يسمى البرنامج التدريبي.

⁽¹⁾ توفيق، عبد الرحمن (2006) تحديد الاحتياجات التدريبية بين الإهدار والاستثمار، موسوعة التدريب والتنمية البشرية، الجزء الثامن، القاهرة، مركز الخبرات المهنية، ص 24-25

⁽²⁾ أنيس، إبراهيم (2004) المعجم الوسيط، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، ص 182

أولاً: التدريب قبل الخدمة:

يرتبط مفهوم التدريب في الإطار التربوي ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التربية المستمرة أو التعليم المستمر، ومهمة التدريب تطوير قدرات المعلمين المعرفية والتربوية، والعمل على إثراء معلوماتهم بأساليب متنوعة، وصقل خبراتهم، وتقويم سلوكهم التربوي الميداني وتعديله. طه (2005، ص 37) ⁽¹⁾

ويعد التدريب قبل الخدمة وسيلة مهمة لأي فرد يسعى إلى تطوير مهاراته ومعارفه وقدراته، مما يهيئ الفرصة أمام المتدرب للاطلاع على كل ما هو جديد في مجال أداء مهنته، ولاكتساب معارف ومهارات جديدة في مجال عمله.

ثانياً: التدريب أثناء الخدمة:

للتدريب أثناء الخدمة تعاريف متعددة وهذا التعدد والتنوع يعكس اتجاهات التدريب، وهي كلها تسير في خط واحد وهو تحسين وتطوير الأداء.

عرفه الطعاني (2002، 14) ⁽²⁾ بأنه: "الجهود المنظمة، والمخطط لها؛ لتزويد المتدربين بمهارات ومعارف، وخبرات متجددة تستهدف إحداث تغييرات ايجابية مستمرة في خبراتهم، واتجاهاتهم، وسلوكهم من أجل تطوير كفاية أدائهم". بينما يرى العنزي (2009) ⁽³⁾ التدريب أثناء الخدمة بأنه: "برنامج منظم ومخطط بناءً على أهداف وضعت وفقاً لاحتياجات الفرد التدريبية من أجل إحداث تغييرات إيجابية تمكنه من تطوير أدائه بشكل صحيح".

في ظل التعاريف السابقة للتدريب يتضح أن التدريب أثناء الخدمة يشير إلى الأنشطة والفعاليات والخبرات والمهارات الميدانية التي يتم تدريب المعلمين عليها أثناء فترة خدمتهم في التعليم، وتهدف تحسين أداء المعلمين وتطوير مستواهم المهني بصورة مستمرة أثناء حياتهم المهنية، ويتم تخطيطها وتنفيذها

(1) خالد طه الأحمد (2005) تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، ط1، الإمارات العربية المتحدة دار الكتاب الجامعي. ص 37

(2) الطعاني، حسن أحمد. (2002) التدريب: مفهومه وفعالية بناء البرامج التدريبية وتقويمها. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع. ص 14-15

(3) العنزي، قاط (2009) الاحتياجات الأولية لمعلمي الصفوف الأولية من وجهة نظرهم ووجهة نظر مديري مدارسهم. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، السعودية.

اعتماداً على المستجدات التربوية وطبقاً لاحتياجات المعلمين المتجددة، ومع عمليات تطوير وتجديد في المقررات الدراسية.

أهمية تحديد الاحتياجات التدريبية

يعتمد تحديد الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية على معرفة مقدار ما يملكه المعلمون المستهدفون بالتدريب من معارف، وقدرات، ومهارات، ثم مقارنتها بالمستوى المطلوب الوصول إليه، ثم حصر جوانب الضعف أو مجالات الاحتياج الفعلي لدى المعلمين المتدربين؛ لعمل برنامج تدريبي لهم بغرض رفع مستوى أدائهم.

وترى الباحثة أنه يمكن للقائمين على برنامج تدريب معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، البحث

في احتياجات المعلمين في برامج التدريب عن طريق إثارة الوعي التدريبي لديهم، واستطلاع آرائهم بطريقة علمية سليمة؛ للكشف عن نواحي الضعف التي يُراد علاجها، وتوجيههم لأهمية برامج التدريب وطبيعتها؛ حتى يتكون لديهم اتجاهات إيجابية نحوها، وذلك من خلال إشراكهم في مراحل التخطيط، والتنفيذ، والتقويم. بالإضافة إلى أهمية تنمية مهارات المعلمين في مجال تحديد احتياجاتهم التدريبية بطريقة ذاتية، وإشعارهم أن البرامج التدريبية يتم تصميمها في ضوء الاحتياجات التي يحددها واعتماداً على رغبتهم الحقيقية في التدريب.

ويُعدُّ حصر الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية، وبناء برامج التدريب في ضوءها، من أهم المداخل المستعملة في تدريبهم أثناء الخدمة، وفي هذا الصدد أشار موسى (1997، 48) ⁽¹⁾ إلى أن تحديد الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية يفيد في تدريب المعلمين في الجوانب التالية: تحديد أهداف البرنامج التدريبي بطريقة علمية وموضوعية، كما تعد الأساس الذي يبنى عليه التدريب ويتم له التخطيط؛ إذ يمكن الاعتماد عليها في تحديد أهداف البرنامج التدريبي، وفي تقويم النتائج النهائية له، وقد تستعمل كمعايير؛ لتقويم الآثار النهائية للبرنامج التدريبي، وبالتالي تحسين كفاءة النظام التربوي، إضافةً إلى ذلك فإنها توجه البرنامج التدريبي التوجيه الصحيح؛ لأنها تحدد المقصود منه، كما تحدد الإمكانيات المتاحة للتدريب أثناء الخدمة من قوى بشرية ومادية ومالية نحو الهدف الصحيح بحيث تستثمرها استثماراً حقيقياً مناسباً، ومن ثمَّ توفر الوقت والجهد والمال في إجراء البرنامج التدريبي.

⁽¹⁾ موسى، عبد الحكيم. (1998) التدريب أثناء الخدمة. القاهرة: دار النهضة العربية. ص 42-50

ويرى حداد (2004) ⁽¹⁾ أن الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية، تعني العمل على تقوية قدراتهم وتنمية مهاراتهم، من خلال برامج تساعد على توظيف معارفهم للمتطلبات الجديدة في المهنة، وكذلك تقوية القدرات؛ لتطبيق طرائق مبتكرة ومتجددة، تمكنهم من الإسهام في أداء الوظيفة.

وذكر عبد السميع وحوالة (2005) ⁽²⁾ إنَّ أهمية تحديد الاحتياجات التدريبية تبرز في جوانب كثيرة مهمة منها: معرفة أحدث طرائق التدريس وتكنولوجيا التعليم، وكيفية تطبيقها ميدانياً، كما يسهم التدريب في تنمية الجوانب الإبداعية لدى المتدرب، بالإضافة إلى ذلك فإن التدريب يكسب المتدرب آفاقاً جديدة في مجال ممارسة المهنة، وذلك من خلال تبصيره بمشكلات المهنة وأسبابها، وكيفية التقليل من أثارها على أداء العمل، كما تتضح أهمية التدريب أثناء الخدمة في تحسين أداء المعلمين وتطوير مستواهم المهني المستمر أثناء حياتهم المهنية، طبقاً لاحتياجاتهم المتجددة وبما يتناسب مع التغيرات المستمرة

والمتجددة.

وإذا كانت تلك الأهمية في تحديد للاحتياجات التدريبية تشمل جميع معلمي المواد المختلفة فإن لها عند معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها مكانة خاصة ونوعاً من الخصوصية؛ نظراً لمكانة هذه اللغة وأهميتها؛ مما يجعل الاهتمام بتدريب معلمها ضرورة ملحة؛ لأنهم المنوط بهم تحقيق غايتها والمحافظة على أهميتها من خلال تمكنهم من مهارات تدريسها كما أن تلك البرامج التدريبية تسهم إسهاماً كبيراً في جعلهم يواكبون التطورات الحديثة والإفادة منها في تعليم اللغة العربية. ومن خلال تجربة الباحثة في متابعة حصص المشاهدة في التدريب الميداني، وعملها في مجال تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، فإنها ترى أن عملية تحديد الاحتياجات التدريبية مهمة وضرورية؛ لتطوير تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة. وقد رصدت الباحثة عدداً من التحديات التي كانت تواجه المتدربين، ولعل من أبرزها حاجة المتدرب الجديد؛ لمعرفة كيفية تقديم المادة ومهاراتها للدارس غير الناطق بالعربية، وهذه الحاجة اقتضت دراسة الاحتياجات التدريبية لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة؛ لتكون ملائمة لتلبية احتياجاتهم، وهذه الدوافع وغيرها تبرز الضرورة الملحة لتدريب معلمي اللغة العربية؛ لما يحققه من تحسين الأداء.

ومجمل القول فإن التدريب عملية حيوية؛ لتنمية مهارات المعلمين، إذ يعمل على تحسين أدائهم، ويسهم في ارتقاؤهم خلال تنفيذهم لرسالتهم التعليمية.

(1) حداد، محمد بشير (2004) التنمية المهنية لعضو هيئة التدريس الجامعي. القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة.

(2) عبد السميع، مصطفى وحوالة، سهير. (2005) إعداد المعلم: تنميته وتدريبه، ط 1، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.

وإذا كان السعي إلى تنمية معلمي اللغة العربية وتدريبهم المستمر أثناء العمل جانباً مهماً فإن هذه الأهمية تزداد مع كل تطور يلحق بمجال تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ نظراً لارتباط تلك الاحتياجات بكيفية تعليم اللغات الأجنبية وهو ما يتطلب من المعلم مواكبة الحديث والإعداد الجيد والمناسب الذي يكسب هذا المعلم المهارات اللازمة لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.

مصادر تحديد الاحتياجات التدريبية

يرى الأحمد (2005)⁽¹⁾ إن عملية تحديد الاحتياجات التدريبية من أهم الأعمال التدريبية، لذلك

قبل تحديد الاحتياجات التدريبية لا بد من المرور بالخطوات الآتية:

- التعرف على مستوى الأداء الحالي.
- وضع معايير أو مقاييس واقعية للأداء الأمثل للمتدربين.
- توفير الوسائل والإمكانيات المناسبة والكافية؛ لتنفيذ التدريب وقياس أداء المتدربين.
- الأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الفعلية للمدرسين وسواهم في العملية التعليمية التعلمية والمشكلات التي تعترض المؤسسات التعليمية والتي تكشف عنها الاستبيانات.
- اقناع المدرسين بأهمية التدريب؛ حتى يلتحقوا به ويتابعوا أنشطته بفعالية وحماس.
- إشراك المتدربين في عملية تخطيط وتنفيذ البرنامج التدريبي وإدارته وتقويم نتائجه، وسيادة جو مُفعم بالثقة والتعاون بين جميع الفئات المعنية.

أما الحديث عن مصادر تحديد الاحتياجات التدريبية فهي متعددة، ويتفق العديد من الباحثين واختصاصي التدريب ومنهم: (عليوه، 2001، ص24؛ الطعاني، 2002، ص33؛ توفيق، 2006، ص50؛ عبد الوهاب، 2007، ص322)⁽²⁾، على أن أبرز المصادر لتحديد الاحتياجات تتمثل في الآتي:

(1) أحمد خالد طه (2005) تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، العين-الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، ص209

(2) عليوه، سيد (2001) تحديد الاحتياجات التدريبية، القاهرة، ايتراك للنشر. ص47-20

(3) الطعاني، حسن أحمد. (2002) التدريب: مفهومه وفعالية بناء البرامج التدريبية وتقويمها. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع. ص60-15

(4) توفيق، عبد الرحمن ثابت (2006) التخطيط وأساليب تحديد الاحتياجات التدريبية، القاهرة، مركز الخبرات المهنية للإدارة بالجيزة. ص50

(5) عبد الوهاب، علي محمد (2007) إدارة الموارد البشرية. القاهرة، منشورات جامعة عين شمس. ص314

330

1- تحليل احتياجات المنظمة أو المؤسسة: وهو يهدف إلى تحديد درجة ملائمة التنظيم الإداري للأهداف المحددة له، ومتطلبات العمل وتقويم فعالية التنظيم، وتحديد التعديلات اللازمة لزيادة فعاليته، إذ ينصب التركيز على المكان (القسم أو الإدارة أو الفرع) الذي يحتاج التدريب؛ لمعالجة المشكلات التي

يعاني منها، بمعنى: أين تقع الحاجة؟ وماهية هذا التدريب؟ وذلك بهدف معالجة المشاكل التي تعاني منها المنظمة أو المؤسسة.

2- تحليل احتياجات العمل (الوظيفة): ويقصد به دراسة المهمات التي تقوم بها المؤسسة والمهارات المطلوبة لإنجاز هذه المهمات، وكذلك المواصفات التي يجب توافرها فيمن يقوم بها، كالمهارات والقدرات والمؤهلات والخبرات. وتنحصر في ثلاثة أنواع من المعلومات هي: معلومات تتعلق بواجبات الوظيفة ومهامها، ومعلومات تتعلق بالمسؤوليات المترتبة على شاغل الوظيفة حتى يتمكن من أدائها، ومعلومات تتعلق بالمهارات والمعرفة الضرورية لإنجاز هذه المهمات بشكل ناجح.

3- تحليل احتياجات الفرد (المعلم): في هذا التحليل يتم التركيز على القدرات والدوافع الفردية التي يمتلكها الفرد، مع ما يتطلبه العمل من قدرات ومعارف ومهارات؛ لتحديد الفروقات الموجودة بينهما والعمل على تعزيز ما يمتلكه الفرد وتوسيع قدراته ومهاراته بالشكل الذي يجعله قادراً على الوفاء بالتزامات عمله. ويأخذ هذا التحليل بنظر الاعتبار العمل المتوقع تكليف الفرد به مستقبلاً، وعادة يعتمد أسلوب تحليل الأفراد بعد الأخذ بأسلوبي تحليل التنظيم وتحليل الوظائف وتحديد الاحتياجات التدريبية على مستوى المنظمة ومستوى العمل.

ويكاد يكون هناك إجماع بين الدراسات السابقة حول مصادر تحديد الاحتياجات التدريبية بأنها تشمل تحليل النظم وتحليل العمل وتحليل الأفراد. وترى الباحثة أن تحديد الاحتياجات يعتبر من العناصر المهمة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة؛ لأن التحديد الدقيق للاحتياجات يساعد على جعل أي نشاط ذي معنى للمنظمة والعمل والفرد، ويجعله كذلك نشاطاً واقعياً يوفر كثيراً من الجهد والوقت والنفقات.

الخاتمة:

بعد دراسة واقع الاحتياجات التدريبية اللازمة لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة، وفي ضوء النتائج البحث توصي الدراسة بالآتي:

1- اظهرت نتائج الدراسة أن هناك درجة احتياج عالية جداً للتدريب في محاور تخطيط، وتنفيذ، وتقويم الدروس، وتوصي الدراسة الحالية بتزويد المعلمين بالمهارات اللازمة حول تخطيط، وتنفيذ، وتقويم

- الدروس، وذلك بعقد دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة، بحيث تشمل أولوياتها تدريب المعلمين على الاحتياجات حسب درجة الأهمية في المحاور الثلاثة السابقة.
- 2- الاستفادة من خبرات الأكاديميين المتخصصين في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ لعقد دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- 3- مراعاة تقويم الدورات التدريبية بعد تنفيذها بغرض التأكد من تزويد المعلمين بالمهارات التدريسية المناسبة لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- 4- توثيق العلاقة بين مراكز التدريب التربوي في التعليم العام، والمعاهد المختصة بتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة؛ لتأهيل معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها وتدريبهم قبل تعيينهم.
- 5- ضرورة توفر دراسات مستمرة، ومقارنة نتائجها بنتائج الدراسة الحالية؛ لتحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في السلطنة.

ونخلص إلى القول بأن للغة العربية أهمية ومكانة كبيرة لم تتوافر في أي لغة من لغات الشعوب الأخرى، فلغتنا العربية ترتبط بها ديناً ودنياً، فارتباطنا بها دينياً ينبع من أنها لغة الإسلام الذي ارتضاه الله للناس، وأما ارتباطنا بها دنيوياً، فينبع من حاجتنا إلى التعبير والتواصل والتفاهم والإقناع ونقل التراث الحضاري واكتساب العلوم والمعارف ولأنها الوسيلة لوحدة الأمة، من هنا ينبغي بذل الجهود الفردية والجماعية من أجل رفع شأن اللغة العربية والحفاظ عليها وتعلمها وتعليمها.

المصادر والمراجع

1. الأحمد خالد طه (2005) تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، العين-الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، ص209
2. أنيس، إبراهيم (2004) المعجم الوسيط، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، ص182
3. أنيس، إبراهيم وآخرون (1973) معجم الوسيط، ج1، القاهرة، دارالمعارف.
4. توفيق، عبد الرحمن (2006) تحديد الاحتياجات التدريبية بين الإهدار والاستثمار، موسوعة التدريب والتنمية البشرية، الجزء الثامن، القاهرة، مركز الخبرات المهنية. ص24-25

5. توفيق، عبد الرحمن ثابت (2006) التخطيط وأساليب تحديد الاحتياجات التدريبية، القاهرة، مركز الخبرات المهنية للإدارة بالجيزة. ص 50
6. حداد، محمد بشير (2004) التنمية المهنية لعضو هيئة التدريس الجامعي. القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة.
7. خالد طه الأحمد (2005) تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، ط1، الإمارات العربية المتحدة دار الكتاب الجامعي. ص 37
8. الطعاني، حسن أحمد. (2002) التدريب: مفهومه وفعالية بناء البرامج التدريبية وتقويمها. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع. ص 15-60
9. طعيمة، رشدي؛ والبندري، محمد (2004) التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤى التطوير. ط1، القاهرة، دار الفكر العربي. ص 251-255
10. عبد السميع، مصطفى وحوالة، سهير. (2005) إعداد المعلم: تنميته وتدريبه، ط1، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.
11. عبدالوهاب، علي محمد (2007) إدارة الموارد البشرية. القاهرة، منشورات جامعة عين شمس. ص 314-330
12. عليوه، سيد (2001) تحديد الاحتياجات التدريبية، القاهرة، ايتراك للنشر. ص 20-47
13. العنزي، قاط (2009) الاحتياجات الأولية لمعلمي الصفوف الأولية من وجهة نظرهم ووجهة نظر مديري مدارسهم. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، السعودية.
14. موسى، عبد الحكيم. (1998) التدريب أثناء الخدمة. القاهرة: دار النهضة العربية. ص 42-50

دور وسائل الإعلام في نشر قيم الحوار الحضاري والثقافي



الدكتورة زهراء علي دخيل

المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
الجامعة اللبنانية

Doctor Zahraa Ali Dakhil
Lebanese University

ABSTRACT: This paper deals with the topic "The role of the media in disseminating values civilizational and cultural dialogue".

The researcher discussed the subject of the study through the following:

Focusing on the role of the media institutions in spreading and strengthening the culture of the dialogue in pluralistic societies, the importance of the media and their influence in spreading values .And done, indicate the conditions for a culture of dialogue in multicultural societies, and focus on the requirements of a culture of dialogue in plural societies . The culture of constructive dialogue was mentioned civilization in order to build a distinct civilized society.

This paper concluded with a set of recommendations confirming the strengthening of the role of the media educating and educating society in the values of tolerance and working to perpetuate it in its cultural discourse .The journalist , Media discourses were not free from tribalism and ideology .And then, the media is the mouthpiece of a citizen looking for safety , progress, tolerance ,and love. And strengthening the role of educational and educational institutions in order to avoid inculcating a culture of hatred and those who disagree with them about views, ideology and belief, and work to cultivate human values and principles which calls for love, dialogue, tolerance, and acceptance of the different, we can reach to achieve it through the preparation of educational curricula in the various educational stages.

The Key words: Dialogue-Culture of Dialogue- Requirements for tolerance- Human Values and Principles- The other the diverse- the media- multicultural societies- civilizational dialogue and culture-Values of Civilizational and Cultural Dialogue-Educational and Educational Institutions- Reality Social, cultural and political- religious symbols.

ملخص البحث:

تناولت هذه الورقة البحثية موضوع " دور وسائل الإعلام في نشر قيم الحوار الحضاري والثقافي".

تناولت الباحثة موضوع الدراسة من خلال الآتي:

التركيز على دور المؤسسات الإعلامية في تعميم ثقافة الحوار وتعزيزها في المجتمعات التعددية، وأهمية وسائل الإعلام ومدى تأثيرها في نشر القيم. وتمت الإشارة إلى شروط ثقافة الحوار في المجتمعات متعددة الثقافات، وتم التركيز على متطلبات ثقافة الحوار في المجتمعات التعددية. وتمت الإشارة إلى ثقافة الحوار البناء والحضاري من

أجل بناء مجتمع حضاري مُميّز.

واختتمت الورقة البحثية بمجموعة من التوصيات تؤكد تعزيز دور وسائل الإعلام والتثقيف والتوعية في المجتمع بقيم التسامح والعمل على تكريسها في خطابها الثقافي والإعلامي؛ فإنّ بعض الخطابات الإعلامية لم تتحرّر من القبليّة والأيدولوجيّة. ومن ثمّ، فالإعلام لسان حال المواطن الذي يبحث عن الأمان والتقدّم والتسامح والمحبة. وتعزيز دور المؤسسات التربويّة والتعليميّة بغرض تجنّب غرس ثقافة الحقد والكراهية لمن يخالفونهم في الرأي والفكر والعقيدة، والعمل على زرع القيم والمبادئ الإنسانية والتي تدعو إلى المحبة والحوار والتسامح، وقبول الآخر المختلف، يمكننا التوصل إليه عبر إعداد مناهج تربويّة في مختلف المراحل التعليميّة.

الكلمات المفتاحية: الحوار-ثقافة الحوار-مُتطلّبات التسامح-القيم والمبادئ الإنسانية-الآخر المختلف-وسائل الإعلام-المجتمعات المتعدّدة الثقافات- الحوار الحضاريّ والثقافي-قيم الحوار الحضاريّ والثقافي- المؤسسات التربويّة والتعليميّة-الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسي-الرموز الدينيّة.

المقدّمة:

تؤدّي وسائل الإعلام دورًا بارزًا في حياة المجتمع المعاصر نظرًا إلى ما تتمتع به من قدرة فائقة في إيصال الخبر والمعلومة؛ فوسائل الإعلام كثيرًا ما يُعول عليها في إطار العمليّة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، لا سيّما إذا أراد المجتمع تبني فكرة معيّنة ونشرها بين أوساطه؛ إذ يتوقّف نجاح تلك العمليّة على طبيعة المجتمع ذاته، حتى أصبحت المؤسسة الإعلاميّة إحدى مقوّمات البناء الاجتماعيّ للمجتمعات الديمقراطيّة الحديثة التي تُسهم ليس فقط في إعلام الأفراد بكل ما يدور في مجتمعهم المحليّ من أخبار وأحداث؛ وإنّما بات لها دورها في نقل مجريات العالم إلهم حيث كانوا¹.

إنّ للمؤسسات الإعلاميّة دورًا بارزًا في تعميم ثقافة الحوار وتعزيزها في المجتمعات التعدديّة. إنّ دور تلك المؤسسات لا يقتصر فقط على تعميم تلك الثقافة وترويجها؛ وإنّما تتطلّع بشكل حيويّ إلى تعزيز ثقافة الحوار ومأسستها وتعميقها، ولن نغالي إذا قلنا: إنّ لها دورًا في تأصيلها.

يُعدّ الحوار الإنسانيّ بديلاً عن خيارات العنف والإقصاء؛ إذ تؤدّي المؤسسات الثقافيّة والتربويّة دورًا بارزًا في تشكيل ثقافة الحوار، ومعنيّة أكثر من غيرها وأكثر من أيّ مؤسسة أخرى بقضايا الحوار الدينيّ، وقبول الآخر المختلف في المجتمع التعدديّ، والتعامل مع الاختلاف في مناهج التفكير.

تكاد ثقافة الحوار تكون مفقودة في مجتمعاتنا المتعدّدة دينيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا. تحتاج من أجل اكتسابها إلى

¹أسامة عبد العليم الشيخ، وأسماء الهادي إبراهيم، الخطاب الإعلامي وأثره في نشر ثقافة السلام، أبحاث وقائع المؤتمر العام السابع والعشرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة وزارة الأوقاف المصريّة، ص23.

التنشئة عليها منذ الصغر، من خلال المؤسسات الدينية، والتعليمية، والتربوية، والإعلامية.

يؤدي الحوار دوراً بارزاً في إزالة التوترات، وذلك عندما يعرف كل طرف حقيقة ما هو موجود لدى الآخر، من دون أي حمولاتٍ سلبية غالباً ما تحصل نتيجة التباعد، ويُبرز القواسم المشتركة بين الأديان والمذاهب، كما أنه يُزيل الهواجس والمخاوف من الآخر المختلف في الرأي والفكر والدين؛ ثم نتيّن نتائجها على الأرض تكاملاً وشراكةً وعملاً.

أشار الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2011م، على برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك: "إنّ الحوار ليس فقط رداً ضرورياً على الإرهاب، بل هو خصمه اللدود؛ فحيث يسعى الإرهاب إلى بثّ الفرقة بين بني البشر، يهدف الحوار إلى توحيدنا، وحيث يستند الإرهاب إلى نظرة عدوانية تقوم على استبعاد الآخرين، يسعى الحوار إلى احتضان الآخرين، وإلى تقبل الفكرة القائلة على أنّ امتلاك الحقيقة ليس حكراً على أيّ جماعة دون غيرها، وحيث يسعى الإرهاب إلى جعل التنوع مصدراً للصراع، فإنّ الحوار بإمكانه أن يجعل هذا التنوع ذاته مصدراً أساساً للارتقاء والنمو. وعندما يتخذ الحوار مكانه في كلّ جزء من العالم، فإنّ الدعاوات للحرب سوف تواجه بالدعاوات للاتفاق، والكراهية سوف تواجه بالتسامح، والعنف سوف يواجه بالتسوية، فالحوار هو أفضل إجابة على أسوأ أعداء الإنسانية"¹

فالحوار لكي يؤتي ثماره، يحتاج إلى مؤسسات تؤدي دوراً مهماً ومباشراً في التأسيس لثقافة الحوار؛ لأنّ ثقافة الحوار تكاد تكون مفقودة في المجتمعات المتنوعة دينياً. من ثمّ، هي تحتاج إلى بنائها من خلال المؤسسات التعليمية، والتربوية، والدينية، والإعلامية. وما يرتكب من ممارسات وسلوكيات عنف وقتل باسم الدين، هي محصلة ثقافة خاطئة.

فالدعوة إلى ثقافة الحوار تطمح أن يصبح الحوار بوصفه مفهوماً وممارسة، أحد المكونات الأساسية لشخصية الإنسان الفكرية، ولممارساته المجتمعية.

إشكالية البحث:

ما فعالية دور وسائل الإعلام في نشر قيم الحوار الحضاري والثقافي بعد أن وصلنا من تطوّر تكنولوجي وتكاثر في المنصّات الإعلامية...؟

هل للمؤسسات الإعلامية أو وسائل التواصل دور ووظيفة في تعميم ثقافة الحوار والنقاش العام في المجتمعات التعدّدية؟

هل للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية دور في نشر ثقافة الحوار عبر مؤسسات التعليم المختلفة والوسائل

¹<http://www.academicimpact@un.org>

الإعلاميّة المملوكة للدولة؟

أهميّة البحث: تشجيع ودعم إنتاج خطاب إعلاميّ رصين وموضوعيّ قائم على المصداقيّة ، وقادر على التحوير البناء والنقاش العام بين مختلف الأطياف المكوّنة للمجتمع.

-الدعوة إلى إقامة حوار بين الأطياف المختلفة داخل المجتمع.

-دعم العقلانيّة والسلوك المنطقيّ، وعدم الاستسلام للغرائز والفكر العشوائيّ، والاطّلاع على وجهات نظر الآخرين.

-السعي نحو تحقيق صالح الشعوب والأوطان، وعدم تحقيق المصالح الفئويّة؛ فالأمة والأوطان هما الغاية التي يجب السعي إليهما في أيّ حوار.

-السعي إلى ارتباط الحوار بالقيم الإنسانيّة التي تدعو إليها جميع الأديان.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف تتمثّل في:

* تشجيع الحوار بين المكوّنات المختلفة على المستويّين: العالميّ، والمحليّ؛ كونه ضرورة إنسانيّة ومجتمعيّة؛ لإشاعة التعايش بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات في الأوساط الثقافيّة والإعلاميّة والتربويّة.

* تعزيز القيم السامية والمبادئ المثلى، والتعاون في مواجهة الظواهر المقيتة، وبث قيم الحوار الحضاريّ والثقافيّ.

* التعرف إلى مفاهيم الإعلام الجديد، والتعايش السلميّ في المجتمعات.

* نشر قيم التسامح، وتعزيز التعدديّة، والتنوّع الاجتماعيّ، وضمان السلم والأمن.

* التعرف إلى دور الإعلام الجديد في نشر ثقافة التعايش والتسامح ونبذ الكراهية والعنف والتعصّب بين أوساط الشباب.

* إنتاج مضامين إعلاميّة بديلة تحثّ أفراد المجتمع على التشبّع بقيم التعايش، وأهميّة التسامح، واحترام الآخر.

* أن يهتمّ الإعلام الجديد بنشر ثقافة الحوار والسلام والتفاهم، وأن يتحرى الدقّة والموضوعيّة والتوثيق في التعامل مع الموضوعات ذات الأثر الكبير في المجتمعات البشريّة، وأن يتجنّب إلصاق تهمة الإرهاب بأديان مرتكبيه.

* الدعوة إلى انفتاح جميع التيارات على بعضها بعضاً، وبناء جسور التواصل ليعبر منها الجميع إلى السلام.

* الاستفادة من جميع الإستراتيجيّات الهادفة إلى نشر ثقافة الحوار والنقاش العام.

* بناء مشروع تربويّ متماسك وملئم للعصر ينطلق من مقوّمات الأمة ومصادرها، ويُعلي من قيم ثقافة الحوار والتعايش السلميّ، والوئام، والتسامح، واحترام التنوّع، والاختلاف.

* إعطاء الأولويّة في نشر قيم ثقافة الحوار والنقاش العام وبثّ قيم الوئام للناشئة والشباب، ودعوتهم إلى

الانخراط الفعليّ في نشر ثقافة السّلم في المجتمعات المسلمة، وبلورة مقوّمات خطاب إعلاميّ جديد يناسب احتياجاتهم؛ لأنّهم أمل الأُمّة في تغيير ما بنفسها.

أوّلًا: الحوار من منظور إسلاميّ:

إنّ الحوار-في المنهج الإسلاميّ- يقوم على احترام الآخر؛ احترام فكره وعقيدته، ورأيه، وموقفه، فلا يستهزئ به، ولا يستخفّ به، ولا ينتقص منه ولا يزدري؛ بل يحترم احترامًا كاملاً كوجهة نظر قابلة للخطأ والصواب.

إنّ الحوار-في المنهج الإسلاميّ- ينبغي أن يكون هادفًا؛ ولما كان هدف المسلم هو الوصول إلى الحقيقة بمختلف ألوّنها، فلا بدّ من سلوك شتى السُّبل للوصول إلى هذه الحقيقة، والاقناع بها سبيلًا للإيمان، والإيمان يعني: الإيمان بالحقيقة المطلقة-الله سبحانه- وأنبيائه، وكتبه، ورسله، وشرائعه، وأحكامه.

إنّ الحوار-في المنهج الإسلاميّ- يعتمد إلى استخدام لغة سلسلة، خالية من الإسهاب والإطناب، بريئة من البذاءة والابتذال لا تجرح، ولا تستفز، تعبّر عن الفكرة بدقة وعمق وحياديّة. فاللغة أداة توصيل للأفكار، ووعاء لإبلاغ المقاصد والمعاني، فلا بدّ من أن تكون مترقّعة عن الأفكار السطحيّة، والمعاني المبتذلة¹.

إنّ اللّجوء إلى الحوار، هو في حدّ ذاته، تعبير عن نضجٍ فكريّ، ووعي حضاريّ، وتصميم على البحث عن أقوم السُّبل لتجنّب الخسائر، ولتفادي المخاطر، وللتغلّب على المشكلات، ولمعالجة الأزمات أو إدارتها، بعقل متفتح، وبضمير حيّ².

كذلك تأتي ثمرات الحوار في التربية من خلال غرس الثقة في الشخص لمناقشة الآخرين ومحاورتهم، وعدم الهروب من المواجهة والجدل؛ لأنّها لا تصنع أجيالاً قادرة على التفكير السليم والمنطقيّ، ذلك أنّ الإنسان الفاقد للثقة بنفسه لا يتمكّن من التفكير، أو ربما لا يفكر، وإن كان قادرًا عليه، ثم لا يجزم بنتيجة تفكيره...والحقيقة أنّ فقدان الثقة يعني فقدان الذات، في مقابل وجدان الذات والتي هي تعبير عن الوعي والذي بدوره شرط للمعرفة، والشجاعة أمام أفكار الآخرين، فيتعامل معها وفق المقاييس السليمة، لا تهوّر في الرفض، ولا رهبة وخضوع؛ وإنما حالة اعتدال يتمّ على أثرها الموقف السليم³.

المبحث الثاني:

مفهوم القيم ودلالاتها:

تُعرّف القيم بأنّها:"الرغبات والأهداف المتّفق عليها اجتماعيًا، والتي تدخل في عمليّات التعلّم والتنشئة

¹حسن بحر العلوم، الحوار بين التّأصيل والتّنظير، العارف للمطبوعات، بيروت، 2014م، ص29.
²د. عبد العزيز التويجري، الحوار والتفاعل من منظور إسلاميّ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيكو، الرباط، 1997م، ص22.
³محمد العليوات، المجتمع والتّحدي الثقافيّ، دار الصفوة، بيروت، 1993م، ص172.

الاجتماعية" نفهم من خلال هذا التعريف أنّ القيم يكتسبها الفرد من خلال التعلّم والتنشئة الاجتماعية¹. فالأفراد يستقون القيم من البيئة التي يعيشون فيها فتنتطبع قيمهم بطابعها، وبدورهم يُورثون القيم للأجيال القادمة.

أورد (كمال التابعي) تعريفاً للقيم من خلال مجموعة الاتجاهات التي وضعها لدراسة القيم، ويُعرفها: "بوصفها أشياء وموضوعات مرغوب فيها، أو مرغوب عنها"؛ فدراسة القيم والتعرّف عليها يظهر من خلال مؤشرات الاتجاهات والأفعال والسلوك ومن خلال الغايات، التي يُصرّح بها الأفراد، والمثل الثقافية، والتوجهات القيمية، والمعايير، والمعتقدات².

يُعرف (فير تشايلد) القيم بأنّها مواضيع يوجد اتفاق حولها. إنّ الحكم القيمي الذي يطلقه الناس ينبع من أشياء وهي الواجب والحسن والجميل والضروري، وأنّ القيمة هدف له علاقة بالعاطفة. ومن ثمّ، فإنّك تحب كل ما يساعدك على تحقيق أهدافك، ومن الجانب المعنوي ترتبط القيمة بالصفات والفضائل التي تكون محلّ الرضى، أو القبول، أو الإعجاب، أو التقدير، فتخرج القيمة من الدائرة الضيقة وتكتسب صفات معنوية³. ترتبط القيم بسمات عبر تاريخها، ويحدث التطوّر والتغيير لتلك القيم؛ لتواكب حركة التغيير، التي يشهدها المجتمع بوساطة التقدّم العلمي والثقافي⁴.

تشير القيم إلى الكيفية التي سيتعامل بها الإنسان في المواقف المستقبلية، وتساعد الإنسان على التفكير في ما ينبغي عليه أن يفعله تجاه تلك المواقف والأحداث وتحدّد له الأساليب والوسائل التي يختارها تجاهها بالإضافة إلى تفسير السلوك الصادر عنها، وتحفظ على المجتمع تماسكه، وتحدّد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئها الثابتة المستقرة التي تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة التي تسهل للناس حياتهم وتحفظ للمجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد تربط مختلف ثقافات المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والزعات والشهوات الطائشة، وتساعد على التنبؤ بما سيكون عليه المجتمعات، فالقيم والأخلاقيات الحميدة هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات⁵.

¹ غريب سيد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983م، ص 271، 272.

² كمال التابعي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص 19.

³ محمد محمد الزباني، القيم الاجتماعية، مطبعة الاستقلال الكبرى، مكان النشر لا يوجد، 1973م، ص 8، 9، 13.

⁴ قباري محمد إسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976م، ص 283.

⁵ <http://Muolaynadjem.elaphblog.composts.aspx?u=3706&A=83993>

ثانيًا_ وسائل الإعلام ودورها في نشر القيم:

تنبع أهمية القنوات الفضائية من قدرتها على احتواء أفراد المجتمع بجميع طبقاته وأطيافه، فهي تُقدّم ما يريده الصغير وما يرغبه الكبير من الجنسين، في أيّ مكان وزمان، وهي تلبي أهداف النسق الاجتماعي السياسي والاجتماعية والتربوية والتعليمية والصحية، وأهمية القنوات الفضائية يمكن تلخيصها في النقاط الآتية¹:

1- أنها تجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية ما يزيد من قوة تأثيرها.

2- تتميز بقدرتها على جذب المشاهد وخاصة المراهقين، وتحقيق درجة عالية من المشاركة من خلال ما تقدّمه من مواد تعليمية وترفيهية، إضافة إلى التأثير الاجتماعي الذي تقوم به.

3- تتعامل مع المشاهد مباشرة.

4- إمكانية نقل الأحداث الاجتماعية على الهواء مباشرة.

5- الصورة المتحرّرة الناطقة تجعل المشاهد يتابع الأحداث في مكانه دون أن يكلف نفسه عناء السفر، أو الخروج من منزله.

ثالثًا_ الحوار لغة واصطلاحًا ودورًا وظيفيًا من خلال وسائل الإعلام:

يحمل الحوار بوصفه مفهومًا ومصطلحًا وأهداف اختلافات دلالية وتفسيرية، على المستوى اللغوي، يعكس الحوار معاني كثيرة وإن تساوت في الإجمال على سياق واحد.

أ- الحوار في اللغة: من حاور يحاور محاوره، وقد ورد معنى " حور " في لسان العرب لابن منظور الحور الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حار إلى الشيء وعنه حورًا ومَحَارًا ومَحَارَةً وحُورًا رجع عنه وإليه وقول العجاج في بُرّ لا حُورٍ سَرى وما شَعَرَ أَرَادَ في بُرّ لا حُورٍ فَاسْكَنَ الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام.

والمحاوره: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وقد حاوره. والمَحُورَةُ: من المُحَاوَرَة مصدر كالمَشُورَة من المشاورة كالمَحُورَة².

ب- الحوار في الاصطلاح اللغوي: هو نشاط عقلي ولفظي يقدّم المتحاورون الأدلة والحجج والبراهين التي تبرّرونها نظريًا بحريّة تامّة من أجل الوصول إلى حلّ لمشكلة أو توضيح لقضية ما، ويكون الحوار بهذا المعنى مرادفًا

¹ إبراهيم حمد المبرز، القنوات الفضائية وتأثيرها على منظومة القيم الاجتماعية لدى طلاب الثانوية العامة في مدينة الرياض، دراسة مقدّمة إلى قسم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة ماجستير منشورة في شبكة المعلومات الدولية، الرياض، 1432هـ/2011م.

² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج4، ص264.

للمحاجة والمناظرة والمناقشة والمباحثة والتعبير.

قد يرتبط الحوار بالمحاورة وهي المجاوبة، أو مراجعة النطق والكلام في المخاطبة والتحاور والتجاوب. لذلك " كان لا بدّ في الحوار من وجود طرفين: متكلّم ومخاطب يتبادلان الدور.

فحينما يكون المتكلّم مرسلًا للكلام وحينما مستقبلًا له. أي يكون المتكلّم مخاطبًا حين يصمت ليسمع كلام نظيره. وهكذا يدور الكلام بين طرفين في إطار حلقة تبادلية يكشف كلّ منهما عمّا لديه من أفكار. فيتشكّل جزء ذلك ما يمكن أن نسمّيه بالخطاب المشترك الذي تستولده القضية المتحاورة بصدها. فالحوار، بهذا المعنى، هو تبادل أفكار بين فريقين أو أكثر في إطار موضوع ما، حول قضية ما، بغية الاتفاق على صيغة حلّ أو اتفاق أو تسوية في شأن القضية التي هي مدار الحوار"¹.

يرى بعضهم أنّ " الحوار حاجة بحدّ ذاتها وضرورة للاجتماع البشري" ولا بدّ أن يقوم الحوار بين مختلفين متعدّدين، فأما أن نؤمن بالحوار، وهذا يستبطن اعترافًا بالتعدّد والاختلاف، وإمّا نزعّم بأننا متطابقون، فلا نكون بحاجة إلى الحوار، والاختلاف ليس حالة شاذّة، بل هو قاعدة تكوينيّة شاملة ومتحقّقة بداهة في أيّ اجتماع إنسانيّ، وأنّ السعي إلى إلغائه بدعوى التوحّد والمطابقة، هو سعي عقيم ينمّ عن سوء تقدير في أحسن الأحوال"².
لقد أضحى الحوار، وهو النقيض للصراع والخصام والتزاع، ضرورة حيائيّة لبلوغ الأهداف المشتركة في بناء عالم يسوده الأمن والاستقرار، ومُتبنّيًا للتنمية المستدامة، وأصبح لغة العصر، التي من خلالها يمكن حلّ كثير من المشكلات، ولم يكن بوسع أي دولة، أو حتى في الإطار الإقليمي الضيق، التصدّي لها بمفردها، ولا سيّما في ظلّ عالم "معولم" في جانبه الإيجابي، وليس السلبي، حيث التنوّع والاختلاف في الثقافات لم يكن شيئًا جديدًا؛ وإنّما هو أساس الوجود الإنسانيّ نفسه الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من شعوب وقبائل، وهناك من يرى في الحوار أيضًا، بأنّه القدرة على التفاعل المعرفيّ والعاطفيّ والسلوكيّ مع الآخرين، وهو ما يميّز الإنسان عن غيره، والذي يتمّ من خلال عمليّتين هما: الإرسال (التحدّث) والاستقبال، أو الاستماع، ومن خلال ثلاثة مستويات للحوار: حوار داخليّ مع النفس لمحاسبتها وحملها على الحق، وحوار بين أفراد المجتمع³.

ج-الدور الوظيفي للحوار من خلال وسائل الإعلام:

لثريا أحمد البدوي، وسائل الإعلام تتحمل عبء تعزيز مفهوم الحوار ودعمه، أو فشله دور الإعلام بين تعزيز الحوار وتهديده، مقال متوفر على الرابط الآتي:

<http://araa.Sa/index.Php?view=article&id=4140:2017-07-24-07-36-43&Itemid=172&option=com-content>

²سعود المولى، في الحوار والمواطنة والدولة المدنية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2012م، ص9.

³ناظم عبد الواحد الجاسور، دور المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية في نشر ثقافة الحوار، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية.

[http:// www.arabthought.org/content](http://www.arabthought.org/content)

فالإعلام التقليديّ كان يوجّه الحوار من أعلى إلى أسفل؛ أي من النخب إلى الجماهير، وعلى العكس من ذلك، يتّجه الإعلام الجديد لشكل الحوار وصيغته من القاعدة والجمهور إلى السلطة والنخب، وبات يعتمد على إنتاج محتوى مصدره من الجمهور، حتّى أصبحت وسائل التواصل الاجتماعيّ رافدا للإعلام المحترف وليس العكس¹، ويمرّ عبر أشكال مختلفة من التعبير عن الذات والهوية الجمعيّة التي تتّخذ طابع التعبير، وتتّخذ طابع التعبئة والتمرد أحيانا، وهي أشكال من الحوار التي تتقنها الشعوب والجماهير بصورة خاصّة، حيث تتضمّن رسائل عنيفة بما تتضمّنه من أنماط "العنف الرمزيّ" بالاستعارة من تعبير "بيربوردو" صاحب نظريّة العنف الرمزي².

يقوم الدور الحواريّ على عمليّة صناعة "التعبير والتفاعل والتشارك والاطّلاع والتبادل والحوار المفتوح وغير المنظم"، وهو يتّصف بحشد وتجميع "عدد ضخم من المستخدمين والمواطنين وخاصّة من طبقة وفئة الشباب - الجيل الجديد- على منصّات إعلاميّة تواصلية واحدة مفتوحة للتفاعل والحوار التشاركي وتبادل الصور والبيانات والمعلومات وإبداء التعليقات والآراء والأفكار دون ظهور للشخصيّات والوجوه بالضرورة - إعلام وتواصل بلا وجوه حسب تعبير الخبراء - فهي مؤشّر على اتجاهات الرأي العام وتوفّر فرصا للمواطنين للاعتراض على سوء استخدام السلطة بعيدا عن النخبويّة التقليديّة، وهي إعلام بلا حدود وهو ما يختلف عن الإعلام التقليدي الممسوك والمضبوط، حتّى بلغنا عصر رقمنة الديموقراطيّة، والانتقال من باراديغم الضبط إلى بارديغم الاستقطاب"³.

كما تؤدّي الجهات الحكوميّة للدول الغربيّة وخاصّة الإدارة الأميركيّة دورا متزايدا في السيطرة على عمليّات الاتّصال والحوار من خلال سيطرتها على المواقع والمنصّات الإعلاميّة التي توفّرها وسائل التواصل الاجتماعيّ، وفق ما كشفه عدد من الخبراء الغربيّين¹.

في حين يرى بعض خبراء الإعلام أنّه إلى جانب أزمة المسؤوليّة لدى وسائل الإعلام، وعدم اهتمام الدولة، أو عدم قدرتها على ممارسة مسؤوليّتها القانونيّة الشرعيّة على وسائل الإعلام، هناك مشكلة إضافية موجودة في المناهج الجامعيّة لكلّيّات الإعلام على مستوى تدريس المفاهيم والنظريّات الاتّصاليّة والإعلاميّة، وعلى مستوى التدريب والتطبيق، وتتلخّص المشكلة من وجهة نظره "بعدم تعرّض مناهج تدريس الإعلام إلى الدور الذي يمكن أن

¹ موقع صحيفة العرب، تقرير "الجمهور يفرض المحتوى الإعلامي في الشكل الجديد، نُشر في 2017/9/15، العدد 10637، ص 18، متوفر على موقع الصفحة: <http://www.alarab.co.uk/article>

² عائشة لصلج، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعيّة الافتراضيّة، نشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016م، ص 2-4

³ مجموعة من الباحثين، تحرير محمد الراجحي، سلطة الإعلام الاجتماعي-تأثيراته في المنظومة الإعلاميّة التقليديّة والبيئة السياسيّة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2017م، ص: 57-58-95.

تلعبه وسائل الإعلام في المجتمع، خاصةً الحديثة منها، وأثرها في نشر قيم وتعميمها قد تؤدي إلى تغريب المواطن في وطنه.²

إذ إنّ غالبية برامج الإعلام الجامعية اللبنانية والعربية تنصرف إلى التدريب المهني على تقنيات وسائل الاتصال الاجتماعية الحديثة وتهمل إشراك طلابها في وضع خطط وسياسات إعلامية تعالج مشاكل مجتمعهم.

رابعاً عوامل نجاح ثقافة الحوار في المجتمعات التعددية:

للحوار منهجية وأخلاقيات، وإستراتيجية تعزيز "ثقافة الحوار" هو الخيار الوحيد أمام المجتمعات المتعددة لتجنب الصراعات والحروب الداخلية، وبما أنه لا حوار في الفراغ و"الهواء كما يقال"، فلا بد من رسم مضموم اجتماعي سياسي وطني للحوار للوصول إلى بناء الاستقرار والتوافق على العيش في إطار المواطنة المتعددة في دولة. وفي هذا الإطار تؤكد المعطيات حاجة المجتمعات المتعددة اثنيًا ودينيًا وعرقياً ولغوياً وثقافياً للحوار المفضي إلى التوافق الديمقراطي وفق قواعد تؤسس للتعايش الوطني، حيث "لا يوجد في العالم أكثر من 15 دولة أو وطن أو شعب أو مجتمع يستطيع الزعم أنه متجانس على المستوى الاجتماعي والقومي والديني، فالدول تستهدف قدر المستطاع أن تكون مجتمعاً مكوّنًا من أنداد وأتراب، حيث أنّ التجانس الاجتماعي والإجماع السياسي يعتبران شرطين مسبقين للديمقراطية المستقرة، أو عاملين يؤديان بقوة إليها، وبالعكس، فإن الانقسامات الاجتماعية العميقة، والاختلافات السياسية داخل المجتمعات التعددية، تتحمل تبعه عدم الاستقرار والانهيار في الديمقراطية والبناء الوطني، وهذا يتطلب تعاوناً للنخب، فهي السمة الأولى المميّزة للديمقراطية التوافقية"³. ويشير العديد من الباحثين والمفكرين إلى أنّ الحوار كعملية يحيط بها العديد من التهديدات، منها قبول الرأي العام للمفهومين التاليين:

الأخلاقيات المفروضة من خلال الثقافة Ethics Through Culture.

الديمقراطية من خلال القانون Democracy Through the Law.

ويضيف هؤلاء أنّ "الحوار يكون غامضاً نتيجة التناقض في الطبيعة البشرية ما بين رفض القهر وممارسته

¹ إبراهيم الموسوي، دور المؤسسات الإعلامية في تحفيز ثقافة الحوار، وقائع أعمال المؤتمر الدولي الأول لجامعة المعارف، بيروت 12-13 أيلول/سبتمبر 2017.

² نبيل دجاني، دور الإعلام في ثقافة الحوار، جريدة الأخبار، العدد 3123 الخميس 9 آذار 2017م.

³ آرنت ليبهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة حسني زينة، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد-بيروت، 2006م، ص 7-11.

تجاه آخرين في ذات الوقت"¹.

قد تحقق وسائل الإعلام التفاهم بين الجماعات على مستوى الثقافة الواحدة أو الثقافات المتعددة، لكنها في بعض الحالات يمكن أن تدعم الصدام بينهما. فمن خلال تقديمها - وبصورة غير محايدة - لأحداث مرتبطة بجماعات ثقافية أو لغوية أو دينية، فإنها تقوّي صوراً ذهنية تصنيفية Image Categorization حيث يتم تبعاً لها تصنيف الأفراد وفقاً للجماعات التي ينتمون إليها، مما ينمي روح المقاومة والعداء تجاه الآخر. وهذه العملية من شأنها أن تقود إلى صدامات عنيفة بين الأفراد الذين ينتمون إلى هويات مختلفة داخل الثقافة الواحدة. وتحت هذه الظروف يصبح الحوار مستحيلاً.

تثار - في سياق الحديث عن الإعلام والحوار بين الشعوب والثقافات - إشكالية حرية التعبير والحوكمة والمسؤولية الاجتماعية للوسائل الإعلامية. إذ لا بدّ من التأكيد على الدور البنائي للوسائل في تكوين مواطنين صالحين رشداء من خلال تنمية الفكر والعقل النقدي، في ضوء مساندة القيم الإنسانية العالمية التي تروج للتسامح والحوار بين الثقافات والأديان. وهنا يسهم الإعلام ليس فقط في الحوار بين الحضارات ولكن في التحوّل تدريجياً نحو حوار حضاري بكل ما للكلمة من معنى².

في هذا السياق، أكدت المواثيق والمنظمات الدولية على " دور وسائل الإعلام في تعميق الخلاف أو في تقريب وجهات النظر ومدّ الجسور بين الشعوب والتعريف بها وتاريخها بما يعزّز التفاهم بين الثقافات على نحو أفضل. وبهذا الصدد، اعتمد المجلس التنفيذي لليونسكو بالإجماع قراراً يقضي بمناصرة "ممارسة حرية التعبير بروح من الاحترام المتبادل والتفاهم"، وحثّ على "الاحترام المتبادل للتنوع الثقافي والمعتقدات الدينية والرموز الدينية"³.
خامساً- دور الجامعة في تشكيل ثقافة الحوار:

تؤدي الجامعة دوراً مهماً وبارزاً في تشكيل ثقافة الحوار لدى طلابها الذين ينتسبون إليها؛ حيث يتعرفون إلى المفاهيم، والقيم، والنظريات، والاتجاهات، التي تُسهم في بناءهم المعرفي من جهة، وفي تكوين نظرهم عن العالم، من جهة أخرى. فالجامعة، بسبب بنيتها الأكاديمية، ودورها الفاعل في خدمة المجتمع عبر نقل العلم، وإنتاج المعرفة، فهي معنية أكاديمياً وبحثياً، بقضايا الحوار الديني، والمجتمع التعددي، وصورة الآخر المختلف، والتعامل معه في مناهج التفكير.

¹ ثريا أحمد البدوي، وسائل الإعلام تتحمل عبء تعزيز مفهوم الحوار ودعمه، أو فشله دور الإعلام بين تعزيز الحوار وتهديده.

² إبراهيم الموسوي، دور المؤسسات الإعلامية في تحفيز ثقافة الحوار، مصدر سابق، ص 275.

³ دور وسائل الإعلام في تعزيز الحوار بين الثقافات، مستمر منظمة الأونيسكو، 2005، النص على الرابط الآتي:

<http://www.unesco.org/new/ar/unesco/events/prizes-and-celebrations/>

سادساً- "ثقافة الحوار" وتعزيز القيم المشتركة:

للحوار منهجية وأخلاقيات، واستراتيجية تعزيز "ثقافة الحوار" هو الخيار الوحيد أمام المجتمعات المتعددة لتجنب الصراعات والحروب الداخلية، وبما أنه لا حوار في الفراغ و"الهواء كما يقال"، فلا بد من رسم مضموم اجتماعي سياسي وطني للحوار للوصول إلى بناء الاستقرار والتوافق على العيش في إطار المواطنة المتعددة في دولة. تؤكد المعطيات حاجة المجتمعات المتعددة إثنياً ودينياً وعرقياً ولغوياً وثقافياً للحوار المفضي إلى التوافق الديموقراطي وفق قواعد تؤسس للتعايش الوطني، حيث "لا يوجد في العالم أكثر من 15 دولة، أو وطن، أو شعب، أو مجتمع يستطيع الزعم أنه متجانس على المستوى الاجتماعي والقومي والديني، فالدول تستهدف قدر المستطاع أن تكون مجتمعاً مكوناً من أنداد وأتراب، حيث أن التجانس الاجتماعي والإجماع السياسي يعدّان شرطين مسبقين للديمقراطية المستقرة، أو عاملين يؤدّيان بقوة إليهما، وبالعكس، فإن الانقسامات الاجتماعية العميقة والاختلافات السياسية داخل المجتمعات التعددية تتحمل تبعه عدم الاستقرار والانحيار في الديموقراطية والبناء الوطني، وهذا يتطلب تعاوناً للنخب، فهي السمة الأولى المميّزة للديموقراطية التوافقية"¹.

سابعاً-ثقافة الحوار:

إنّ الاهتمام بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، وخلق أنماط متميّزة من الوعي والسلوك، ومنظومات القيم والقواعد الاجتماعية والعقلية التي تسهم في تعزيز الحوار مع الآخر، المختلف في ثقافته وأنساقه الحضارية مع معتقدات وعادات وحتى في طرق التفكير والسلوك.

إنّ الحضارة العربية والإسلامية تُمثّل ينبوع الصافي المعطاء بفكرها ومعتقداتها وأخلاقها ومنظومتها القيمية التي شدّدت على قيم التسامح والاعتراف بالآخر المختلف، واحترام آرائه وأفكاره ومعتقداته ما يُشكّل نبراساً وأساساً راسخاً تستند إليها المؤسسات التعليمية والتربوية في إرساء ثقافة للحوار ولغة التسامح والتعايش المشترك.²

النتائج: الحوار ضرورة عملية يفرضها الواقع العالمي القائم على الاتصال والتفاعل والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات والحركات؛ ما يوجب فهم الآخرين، وتفهم واقعهم، ومعرفة الحقائق للتعامل معها. والحوار ضرورة لبناء مستقبل الأمة؛ للانفتاح على قواعد تأخذ في الحسبان خلاصة التجارب الإنسانية، والسعي إلى تأصيلها.

الاتفاق على حدود الحرية الإنسانية ومحاولة ترجمتها إلى معالم واضحة وتطبيقات عملية. وكذلك الاتفاق

¹ آرنت ليبهار، الديموقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة حسني زينة، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد - بيروت، ط 1، 2006، ص 7-11.

² محمد أبو القاسم علي، وسائل إشاعة قيم التسامح والعمق ونشر ثقافة الحوار، ص 27. (بتصرف)

على القيم الاجتماعية، ومقومات المجتمع السليم الخالي من الانحرافات¹.
 - لا بد أن يرتبط الحوار بالقيم الإنسانية التي تدعو إليها جميع الأديان.
 - إحياء الدين أو "البعد الأيديولوجي للدين الذي يمثل مرادفًا لذلك" الذي ينبغي التخلص منه "أو" هذا الذي يمثل حجر عثرة" من منظور العديد من المجتمعات العربية والغربية.
 - محاربة مختلف أشكال الكراهية والحقْد بين أبناء المجتمع الواحد عبر سنّ القوانين التي يجب أن تَطال كل من تسوّل نفسه ذلك، ويجب أن يُوضع من يكتب أو ينشر أو يُذاع في شبكة المعلومات الدولية تحت مراقبة المؤسسات الرسمية.
 - دعم العقلانية والسلوك المنطقي وعدم الاستسلام للغرائز والفكر العشوائي والاطّلاع على وجهات نظر الآخرين والتسامح.
 - يجب أن تُولي وسائل الإعلام والتثقيف والتوعية في المجتمع بقيم التسامح، وتعمل على تكرسها في خطابها الثقافي والإعلامي؛ فالخطابات الإعلامية لم تتحرّر من القبليّة والأيديولوجيّة. ومن ثمّ، فالإعلام لسان حال المواطن الذي يبحث عن الأمان، والتقدّم، والتسامح، والمحبة.
 - السعي إلى تحقيق صالح الأوطان والشعوب وعدم تحقيق المصالح الفئويّة، فالأمة والأوطان هي الغاية التي يجب السعي إليها في أيّ حوار. والدعوة إلى إقامة حوار بين الأطياف المختلفة داخل المجتمع، وافتتاح عقول الأطراف الفاعلة لفهم وجهات النظر المعارضة، والمشاركة الكاملة لكلّ الأصوات التي يمكن أن تشارك في هذا التبادل الفكريّ أو تثرية.
 - تعزيز دور المؤسسات التربويّة والتعليميّة بغرض تجنّب غرس ثقافة الحقْد والكراهية لمن يخالفونهم في الرأي والفكر والعقيدة، والعمل على زرع القيم والمبادئ الإنسانية والتي تدعو إلى المحبة والحوار والتسامح، وقبول الآخر المختلف، يمكننا التوصل إليه عبر إعداد مناهج تربويّة في مختلف المراحل التعليميّة.
 - إنّ المؤسسات التربويّة والتعليميّة والرموز الدينيّة في المجتمع تتحمّل مسؤوليّة كبرى في إشاعة متطلّبات التسامح وتعميقه في الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ، وتلك المسؤوليّة تقع على عاتق مؤسسات التعليم العالي في العمل على إقامة الندوات والمؤتمرات والدراسات عن موضوع نشر ثقافة الحوار.
 - عدم التحيز لمفاهيم واتّخاذ مفاهيم وأفكار مُسبقة عن الآخر قبل بدء الحوار معه.

¹ محمد علي التسخيري، من الظاهر العامة في الإسلام، المجتمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، طهران، 2009م، ص 265.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج4، دون تاريخ.

-أسامة عبد العليم الشيخ، وأسماء الهادي إبراهيم، الخطاب الإعلامي وأثره في نشر ثقافة السلام، أبحاث وقائع المؤتمر العام السابع والعشرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف المصرية.

-إبراهيم الموسوي، دور المؤسسات الإعلامية في تحفيز ثقافة الحوار، وقائع أعمال المؤتمر الدولي الأول لجامعة المعارف، بيروت 2017.

-إبراهيم حمدا المبرز، القنوات الفضائية وتأثيرها على منظومة القيم الاجتماعية لدى طلاب الثانوية العامة في مدينة الرياض، دراسة مُقدّمة إلى قسم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة ماجستير منشورة في شبكة المعلومات الدولية، الرياض، 1432هـ/2011م.

-حسن بحر العلوم، الحوار بين التأصيل والتنظير، العارف للمطبوعات، بيروت، 2014م.

-حمد محمد الزلياني، القيم الاجتماعية، مطبعة الاستقلال الكبرى، مكان النشر لا يوجد، 1973م.

-سعود المولى، في الحوار والمواطنة والدولة المدنية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2012م.

-د.عبد العزيز التويجري، الحوار والتفاعل من منظور إسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيكو، الرباط، 1997م.

-غريب سيد أحمد، علم الاجتماع الرفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983م.

-قباري محمد إسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976م.

-كمال التايبي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

-محمد العليوات، المجتمع والتحدي الثقافي، دار الصفوة، بيروت، 1993م.

-محمد علي التسخيري، من الظاهر العامة في الإسلام، المجتمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، 2009م.

-محمد أبو القاسم علي، وسائل إشاعة قيم التسامح والعفو ونشر ثقافة الحوار، مجلة العلوم الإنسانية، 01-01-2018 published online مجموعة من الباحثين، تحرير محمد الراجحي، سلطة الإعلام الاجتماعي-تأثيراته في المنظومة الإعلامية التقليدية والبيئة السياسية، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2017م.

-نبيل دجاني، دور الإعلام في ثقافة الحوار، جريدة الأخبار، العدد 3123 الخميس 9 آذار 2017م.

-آرنتلبيهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد-بيروت، 2006م. المصادر الإلكترونية:

-دور وسائل الإعلام في تعزيز الحوار بين الثقافات، مستمر منظمة الأونيسكو، 2005، النص على الرابط الآتي:

<http://www.unesco.org/new/ar/unesco/events/prizes-and-celebrations/>

-عائشة لصلح، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، نشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016م.

<http://Muolaynadjem.elaphblog.composts.aspx?u=3706&A=83993>

-ناظم عبد الواحد، دور المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية في نشر ثقافة الحوار، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية.

<http://content/www.arabthought.org/>

-موقع صحيفة العرب، تقرير "الجمهور يفرض المحتوى الإعلامي في الشكل الجديد، نُشر في 15/9/2017، العدد 10637، متوفر على موقع الصفحة: <http://www.alarab.co.uk/article>

-ثريا أحمد البدوي، وسائل الإعلام تتحمل عبء تعزيز مفهوم الحوار ودعمه، أو فشله دور الإعلام بين تعزيز الحوار وتهديده، مقال متوفر على الرابط الآتي:

<http://index.Php?view=article&id=4140:2017-07-24-07-36-43&Itemid=172&option=com-content/araa.Sa>

تمكين المرأة في منظور الإسلام و سائر الأديان

شحنة سي.بي

باحثة الدكتوراه بكلية مدينة العلوم العربية

جامعة كالكوت بالهند

shahnacpchoorathil@gmail.com



Abstract: The world has witnessed many discussions on women's existence and their freedom. These discussions have grown and developed in the present scenario. There is no doubt that women are integral part of the society and educators of generations. They are considered essential components in the advancement of civilization, playing the roles of mothers, sisters, wives, aunts etc.

Islam gave woman a decent position above all other creatures. Playing her role in its entirety, she performs her functions at various moments in her life. A Muslim woman leads her life based on divine instructions by fulfilling the obligations to her husband, parents and dependents with patience and tolerance.

This paper aims to mention the status and empowerment of Muslim women, comparing them to women in other religious customs and traditions

ملخص البحث :- قد شهد العالم مناقشات عديدة حول المرأة ووجودها وحريتها كما زادت النقاشات تنمو وتتطور حسب الظروف الراهنة لاشك أن المرأة جزء لا يتجزأ من المجتمع ومربية الأجيال وشريكة أساسية في ارتقاء الحضارات كالأم والأخت والزوجة والعمة... إلخ، قد أعطتها الإسلام مكانة مرموقة من سائر المخلوقات، والتي تقوم بدورها بأكملها وتؤدي وظيفتها في مختلف اللحظات في ميادين الحياة، تتكون حياة المرأة المسلمة على الإرشادات الإلهية بأداء الفرائض في حق الزوج والوالدين والأجيال صابرة على الطاعة و صابرة عن المعصية و صابرة على أقدار الله تعالى راغبة فيها وجه الله متحفظة القواعد والإرشادات من الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله. يهدف هذا البحث إلى ذكر مكانة المرأة المسلمة وحريتها مقارنة بالديانات الأخرى وعاداتهم وتقاليدهم.

بغض النظر إلى الحوادث التي تقع بيننا تعيش المرأة المسلمة اليوم متجرعة في جوفها بما يحاك حولها من مغامرات أعداء الأمة، بالدفاع عن كل الطعن الذي تواجهه اليوم من مختلف الأطراف من أنحاء العالم في دينها ولباسها وخصوصا في حرمتها، ويعتقدون ليس للمرأة حق في المجتمع والأسرة ولا

يجوز المشاركة مع الرجال في الوظائف والأعمال العادية كالمدرسة والمهندسة والطبيبة... إلخ، ويقرون ذلك بقول الرسول "ناقصات العقل" وهذا حديث سياقي، أما نقصان العقل هنا شهادة امرأتين تعدل شهادة الرجل حتى يزعم هؤلاء ليس لها حق في اختيار زواجها، لكن منح دين الله الإسلام المرأة المسلمة كل حق يلائمها، عالج الإسلام المرأة بكل حب واحترام واهتمام حيث منحها المكانة التي تستحقها في المجتمع وشجعها على المشاركة الكاملة في خدمة وطنها ومجتمعها مثل مصيرة النهضة النسائية في عهد الإسلام إنجازا استثنائيا ليس فقط على مستوى دولة العرب فحسب، وإنما في العالم كله حيث استطاعت المرأة أن تنمو في فكرها وعلمها ومكانتها وقد فتحت آفاق مستقبلها بيدها.

كما صار هذا الموضوع متشعب الأفكار والعناصر، لا تتم المعرفة عن ثقافة المرأة المسلمة المعاصرة إلا بمعرفة حال النساء في العصور السابقة، واجهت المرأة كثيرا من الصعوبات حتى لم تكن لها حرية في أي أمورها اليومية حتى بحث بعض من "المحققين" في المرأة أنها من جنس البشر أم لا؟!.

شاهد التاريخ آلام المرأة في مختلف العصور الماضية في ميادين شتى. والآنترفع ضجة في آفاق الدنيا عن تحرير المرأة في كل ميدان المهن والعمل والأمور الأخرى، مع الإضافة إلى بعض من المستشرقين الذين يدعون لحرية المرأة المسلمة ويسعون أن تتخرجوا المرأة المسلمة إلى ميدان الظاهر بترك لباسها وعزل دينها وثقافتها. ولكن تعيش المرأة المسلمة مع عزة تحت إرشادات دينها بالهدوء والإطمئنان. تحصل المرأة المسلمة على كل وظيفة من الوظائف تلائم لبيئتها، وختمت بصمتها حتى وصلت إلى السماء بجدها وحرية، وذاعت صيتها إلى الآفاق كالتطبيقات المهارات والمهندسات البارعات والصحفيات المتميزات وغيرها من المهن المتنوعة.

لا شك في أن للمرأة كما لها الحضور اللافت في وجودها وحضورها اليومي المعتاد بوصفها الكائن المرئي والمحسوس أي الكائن الأنثوي الخلاب بجلد ناعم فهي عنصر رئيسي من عناصر الكائنات الحية وهي توجد وتحضر وتظهر في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية. كما هي ترتبط بالقدرات الذهنية والعقلية نراها متمسكة بالقيم الدينية والثقافية والتربية.

وقد واجه الإسلام انتقادات شتى في مكانة المرأة وحرية حتى يدعي بعض الناقدين أن دين الإسلام يحجز المرأة بين جدران المنزل ويتصرفها كالأمه أو يعتبرها كالمزرعة أي رحم مولد للعيال الأكثر ويدعون المرأة المسلمة تعيش دائما تحت سطوة ذكورية الرجل وفي طليعة هؤلاء الناقدين الرأسماليون الذين يرون المرأة كالسلعة التجارية، والصهيونيون الذين يعتبرون المرأة كالمال كينة الحرفية، والملاحدون الذين يرون

المرأة كسبا عاما للدولة. ما هي الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة؟ وما هو موقف سائر الأديان تجاهها في أمورها الدينية والشخصية والاقتصادية؟ بالإضافة إلى سائر المجالات مثل اكتساب العلم والاحتراف والميراث والزواج والطلاق والأمومة.

الديانة اليهودية هي ديانة سماوية نزلت تعاليمها إلى النبي موسى عليه السلام، وقد غيّر الأحبار والرهبان في هذا الدين تعاليمه وكتابه وحرفوها حيث شأؤوا حتى في حقوق المرأة، حيث قال الله تعالى: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين..¹، وفي الحقيقة التورات الأصلي كتاب مقدس لديهم الذي اهتم المرأة وأعطى حقوقها وكرمها حيث الأم والزوجة والبنت وغيرها، يوجد بعض من الإرشادات والقانون متعلقة بالمرأة في كتاب اليهود حتى اليوم لأنه كانت هذه التعاليم من عند الله تعالى، ورأت الديانة اليهودية أن الزوجة الصالحة سعادة للرجل، كما حرّم على الرجل النظر إلى المرأة الأجنبية كمنظور الديانات السماوية الأخرى.

يعتقد النصارى أن المرأة هي التي سببت في توريط الإنسانية في شرك الإثم، هي التي أكلت الثمرة المحظورة وأغرت زوجها لأكلها، يقول العهد القديم " فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخبتأت، فقال من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت (تكوين 3: 10-13). وفي رأي النصارى لولا المرأة لما صلب المسيح ابن الله في الصليب. يقول أسفار الهندوكية أن المرأة هي البؤرة لجميع الآثام والمصائب للإنسانية، لذا تضع مبادئ الهندوكية لها أغلالا بتحديد أفكارها واعتقادها وأقوالها، وحسب آية السابع عشر من سفرينجويلكيوبانشات " المرأة هي الشبكة التي جعلت آلهة الغرام لاجتذاب الرجال. وأما القرآن ويقول في سورة النساء " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء:1)

في هذا الإطار عندما ننظر إلى عادات الجاهلية يعدون المرأة من سقط المطاع لا قيمة ولا مكانة كمتاع من الأمتعة مثل الأموال والهائم ويتصرفون فيها كيفما شأؤوا. لقد أبغض العرب بالبنت، وكان أحدهم إذا بشر بمولود أنثى يظهر على وجهه الكآبة والحزن. ثم يفكر في مصير تلك الأنثى أي مسكها على هون

¹ سورة النساء 46

أم يدسها في التراب. كما قال تعالى : "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون"¹. بهذه الآية بين القرآن أن الجاهليين كانوا ينظرون إلى مولود الأنثى كإثم وعار وإهانة للمجتمع والأسرة.

كانت في الجاهلية عادات وتقاليد إيجابية وسلبية في أمور النساء, يظهر من القصائد العربية القديمة أن كان للمرأة مكانة شريفة في الشعر والأدب وكانت تسمح لها المشاركة في المحفل والحلقات كالرجال. كما شاركت المرأة في الحروب , سمح لها بعض من القبائل حريتها لمشاركة الشعور ومعاملتها الأدبية في القبائل. وكانت لها حرية التنقل والاختلاط وحق الضيافة , وجدير بالذكر أن بعضاً من القبائل اشتهر باسم المرأة, وكان ينتسب إلى أمهاتهم. ومن أسوأ عاداتهم وأد البنات في بعض القبائل إن لم يكن هذا الأمر شائعاً في القبائل بل كان نادراً, كان بعض العرب يكرهون البنات فوأدوها حية, وأول من سن هذا الأمر عند العرب قبيلة تميم زعيمها قيس بن عاصم المنقري, ثم انتشرت في القبائل الأخرى, ذكر المبرد في الكامل عن الوأد "إنها أول ما ظهرت في قبيلة تميم على يد زعيمهم قيس بن عاصم المنقري, ثم انتشرت إلى القبائل العربية الأخرى"

ومن اللافت الانتباه هنا أن الكتاب المقدس قد حرم التربية والتعليم للبنات والنساء حسب آياته التالية ".... ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسلن رجالهن في البيت (الرسالة إلى أهل كورنثوس 14: 37) كما صرحت أسفار الهندوكية أنه لا حاجة للبنات التعلم والتربية بما ورد في أبيات مانو "زوجوا بناتكم إلى أسرة كريمة فأعطوا الأبناء التعلم والتربية". فيظهر هنا أهمية حديث النبي ﷺ عن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَصَبَرَ عَلَيْنَّ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» (أبوداود)

المرأة والميراث

وإذا ألقينا النظر إلى ما قال الأديان العالمية عن امتلاك ميراث الأب للبنات نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي منح قسماً معيناً للنساء، وأن العهد القديم يحرق حق الميراث للمرأة بقوله " إذا كان لرجل امرأتان إحداها محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة، فإن كان الابن البكر

¹ سورة النحل 59, 58

للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له أن يقدم ابن المحبوبة (التثنية 21 : 16-17) وتوضح بعض الآيات أن البنت لا تستحق من مال أبيه إن كان له ولد مثل آية " أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه إلي ابنته (العدد 27 : 8) وأما القرآن أعطى للنساء حق الميراث بقوله في سورة النساء " لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (7).

وبناء على هذا ليس دين الإسلام مخالفا لحرية المرأة، وإن كان معنى الحرية إخراج المرأة من البيت وتنصيبها في الأسواق والفنادق والمكاتب، لا يعترف الإسلام مثل هذه الحرية. ولو أن امرأة قامت بدورها في الأسرة مع التزام وظيفتها في المصانع والمكاتب لا ينكر الدين تكسيها دون إهمال مسؤولية رعيته كعناية الأطفال وتنظيف البيت وتهيئة الطعام إن كان الجوى ضمن لها الأمن لأداء وظيفتها كالمراة. وأما هيامها في الأسواق دون الاحتجاب والتزام الحرمة لا يعترف الإسلام مثل هذه الحرية. ولو كان معنى الحرية خروج المرأة لقضاء شهواتها مع من تحب من الأجانب لتكون حاملا بلا شرعي، أو طرح حجابها فلا يجيز الإسلام مثل هذه الحرية. ولو كان معنى الحرية رقص المراة العارية في النوادي والفنادق حيث تدغدغ شهوات الرجال فلا يجيز الإسلام مثل هذه الحرية.

الزواج والطلاق

قد جمع أعداء الإسلام على انتقاد أهله في أمر الزواج والطلاق وتعدد الزوجات، وأن اليهود والنصارى والهندوكيون والملحدون والشيوعيون وسائر مبادئ الهدامة لا يتبقون في كنانتهم أي سهم إلا ورمى به على الإسلام في هذا الصدد. ومما يدعو الشيوعيين لإطلاق النار على الدين الحنيف أن مذاهبهم وكتبهم لم يتلفظ حرفا عن حقوق المرأة وعن الزواج والطلاق وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بالأسرة والمعاملات. لذا يجترئون أن يقولوا ما بدا لهم عن المرأة المسلمة. وأن كتب الزنادقة خليت من العبارات التي تدل على حقوق المرأة وأمورها، ولم يذكر فيها عن كيفية الزواج وعن شروطها وفرائضها من المهر والوليمة والإنفاق، كما لم يبين كيف يعالج المشاجرة الناتجة من الزوجين وقواعد الطلاق إن أدي الظروف إليه. وإن كان في كتبهم توجيها أفضل مما وجه القرآن والحديث ليكون لهم الحق في انتقاد المسلمين.

ولا يمكن أن نصارع في هذا المجال إلا لمن كان في كتابه تصريح عن المرأة ، فإن العهد القديم يجعل المرأة أمة للرجل بقوله " ولكن لست أذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت (1 تيموثاوس 2: 12). يقول تلمود الهندوكية " إن الزوجة المحصنة تخضع لزوجها وتطيعها وإن كان مسافحا

أو ذو خلق قبيح؛ من حيث يأذن للزوج طلاق زوجته إن كانت سيئة (مانو 9:81) . وأما القرآن يبين حكمة الزواج وآداب المعاملة بينهما بقوله في سورة الروم "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وبلغ إعزاز الإسلام بأمر النساء أن امرأة جادلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر زوجها كما قال القرآن في سورة المجادلة "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) عندما يغفل مبادئ المادية أمور المرأة ويأمر سائر الأديان لقهرها وإخضاعها وإجبارها للطاعة يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ النَّاسِ إِيْمَانًا وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (ابن حبان)

وعند مناقشة توجهات الإسلام وسائر الأديان في أمر الطلاق نرى أن القرآن وضع قانونا عمليا في هذا المجال. ولا يخفى على أحد أن الزواج هو العلاقة المتينة التي تربط طرفيها بالمودة والثقة والتراحم والتعاطف. ولكن هذه العلاقة ليست خالية من النشوز والإعراض وأحيانا يشتد الخلاف بينهما حتى يؤدي إلى حالة يتغير المحبة إلى كراهة وتصير المودة حقدا والثقة كفرانا؛ حتى تصبح هذه العلاقة أشبه حال السجن أو السجين. وكثيرا ما يوفق الجمع بينهما كما قال القرآن في سورة النساء "وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128). وأحيانا تؤدي محاولات الجمع بينهما إلى الهلاك والفساد، عندئذ يمنح القرآن الإذن للطلاق بقوله في سورة النساء: وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130) وليس الطلاق محصورة في إذن الزوج بل للزوجة أيضا تمكن أن تخلع زوجها ولو كانت مستعدة لرد مهره. وأن القرآن يرحم للمطلقة أيضا حتى يأمر زوجها أن يعطي لها المتاع بالمعروف بقوله في سورة البقرة: وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241) وهل يوجد كتاب غير القرآن يأمر أن يمنح المهر عند الزواج والمتاع عند الطلاق، ولكن الناقدون يعترضون على هذه الحقائق ويلومونه بما لا يعلمون.

زواج المطلقات

لا مجال للمطلقة أن تتزوج برجل آخر إلا في دين الإسلام، لأن سائر الأديان التي تسمح الزواج تحرم زواج المطلقة، وبعبارة أخرى أن المرأة إذا تمت أن تعيش سعيدة بعد ممات الزوج أو بعد ما طلقه فإن

الكتب المقدسة تدمر هذه الأحلام. يقول تلمود الهندوكية " إن الأرملة تضني جسمها بأكل الخضار ولا يجوز لها تلفظ أسماء الرجال مع الشهوة. (مانو 5: 159) والزوج الذي مات عنه الزوجة يتزوج من جديد بعد أن أضرم النار علي جثتها (مانو 5: 168) تكشف هذه الآيات الفرق الهائل والبون البعيد بين الرجل والمرأة في الحقوق والقوانين، وأن الكتاب الذي يأمر الزوجة أن تلقي نفسها إلي كومة حطب النار المضربة بجثة زوجها، ينصح الزوج أن يتزوج من جديد قبل أن يضطرم جثتها. وحسب قانون الهندوسية أي امرأة أبت أن تلقي نفسها إلي النار التي تحترق جثة زوجها فيجب عليها المكث في الغرفة المظلمة بعد تحليق الرأس وارتداء الثوب الأبيض. وتاريخ الهند القديم يبين لنا أن كانت هناك فتيات كثيرة ضحيت شبابهن في الغرف المظلمة بعد موت أزواجهن. أليس من الغريب أن أهل هذا الدين أيضا يركب على المسلمين في حقوق المرأة .

وأن الكتاب المقدس يحرم حق الطلاق للمرأة بقوله " وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا نفارق المرأة رجلها، وإن فارقتة فلتلبث غير متزوجة (1 كورنثوس 7: 11) كما أن العهد الجديد يحظر لها الحظ في زواج رجل آخر بعد ممات الزوج الأول أو بعد طلاقه. بقوله " فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بأخر تزني " (إنجيل مرقس 10: 12) وبعض الآيات من الكتاب المقدس تشجع المرأة لكي تترك الزواج كقوله " المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا، ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج ممن تريد في الرب فقط، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأي (كورنثوس 7: 40) وأما القرآن الكريم يجيز الزواج للأرملة بقوله " وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (البقرة: 235) فضلا عما منح الإذن لزواج المطلقات أيضا.

المرأة والأمومة

يري الكتاب المقدس أن الحمل والوضع عقاب على المرأة بما أجمرت بأكل الثمرة المحظورة كقوله "" وقال للمرأة كثيرا أكثر حبلك بالوجع تلدين أولادا إلى رجلك اشتياقك وهو يسود عليك " (التكوين 3-19) " وأما القرآن يعتبر الأمومة كأفضل شيء في الوجود كقوله تعالي : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا

عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (لقمان:14) ويجدر هنا الذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْرُوقَ جِثَّتْ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَالزَّمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا» سنن النسائي.

وعن أبي هريرة ؓ قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: ثم أمك قال: ثم من؟ قال: ثم أمك قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك. ولا ينحصر فضائل النساء في الدنيا فحسب بل ثمة آيات كثيرة تدل عن ميزة المرأة في الآخرة. كقوله تعالى "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَكَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) وكقوله في سورة غافر "مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40)

يوجد في الإنجيل الذي هو موجود في أيد المسيحي اليوم وردت فيه الكثير من النصوص التي تأمر المرأة بتغطية رأسها أثناء الصلاة، أو أثناء التواجد في الكنيسة، أو المعبد عند اليهود وأكثر ما تنسب هذه النصوص إلى القديس بولس. وإذا كان الحجاب يفترض على المرأة في المسيحية خلال الصلاة فقط، فهو في اليهودية والإسلام دائم. ولم تلزم المرأة المسيحية بمواصفات معينة للباس الحجاب أو شكله كما في الإسلام. ولا يزال يطلب من النساء وضع الحجاب على رؤوسهن عند زيارة الكنيسة والصلاة فيها ليومننا هذا.

بدأت التغيرات في شؤون المرأة النصرانية في أوروبا بعد الثورة الصناعية وثورة الفرنسية. كان فيه صوت لحرية المرأة النصرانية والإخاء والمساواة، حيث كانت تمنع من ملكية مالها وتصرفاتها دون إشراك الزوج في ذلك، وكانت هذه العادات في بريطانيا حتى الثلاثينات من القرن العشرين، يعني لم يكن للمرأة الإنجليزية حق التصرف في ممتلكاتها.

يبين الشيخ قاسم أمين أحوال النساء الرومانية في كتابه "المرأة الجديدة": "عند الرومان كانت المرأة في حكم القاصروفي مبدأ تاريخ أوروبا عندما كانت خاضعة إلى سلطة الكنيسة وقانون الروماني كانت في أسوأ حال حتى إن بعض رجال الدين أنكروا أن لها روحا خالدة وعرضت هذه المسألة على المجمع الذي انعقد فيما كون في سنة 586 فقرر بعد بحث طويل ومناقشة حادة أن المرأة إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل وكان من الضروري أن تعيش تحت قيامة رجل وهو أبوها قبل زواجها ثم زوجها بعد الزواج واحد

أبنائها إذا مات الزوج أو أحد أقاربها من الذكور أو أقارب زوجها إن لم يكن لها أولاد ولا يجوز لها في أي حال أن تتصرف بنفسها وكانت غير أهل لشهادة في العقود ولا للصاية على أولادها القصر ولا لأن تكون حكما أو أهل خبرة"¹. فلما وقع فتح الإسلامي في مصر بيد عمرو بن العاص عام 641م انتهى العهد الروماني وكان المجتمع أغلبيا مسيحية، وتغيرت أحوال المجتمع بإدخال المسلمين المهاجرين في مصر فصارت أمة مسلمة. دارت إطار حكم المسلمين في مصر بأيدي الفاطميين سنة 969م، واهتموا المرأة حيث هي زوجة وأمة وشقيقة وغير ذلك من مرتبتها، وأبرز دليلها أن الأزهر الشريف سمي باسم الأزهر من اسم فاطمة الزهراء ابنة محمد رسول الإسلام حاكم مصر آنذاك. ومن المعلوم أن لسيدات الممالك أثرا عظيما في الأمور السياسية مساعدات لها في مختلف الأمور. ومن ثم منعت النساء في العهد من الخروج من البيوت لمدة سبع سنوات وأيضا أبيع دم المرأة التي نخرج من منزلها، وحرمت صنع الأحذية للنساء، وجدير بالذكر ملكة "ست الملك" قامت بعد زوال حكم الحاكم بأمر الله بتنصيب ابن أخيها ليتولى الخلافة نيابة من أبيها، واستطاعت إصلاح الأمور واسترجاع حرية النساء، حتى حافظت ست الملك على توطيد أركان الدولة الفاطمية بذكاء ودهاء. وكان للنساء من الأسر حق تملك القطع الذهبية والجواهر والأراضي وغيرها.

وبناء على هذا نجد إن المرأة هي الحجر الأساسي في بناء المجتمع حيث كانت المرأة متعلمة، مثقفة، واعية بثقافتها الإسلامية، مترجمة ذلك في عملها، أصبح جيلها هو الجيل الواعي، المدبر، المفكر، وهذا الجيل هو الذي ينشي الأمة فيصبح المجتمع مجتمع محبة وأمن وسلام، متمثلا ذلك في قول الرسول ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته.

يتضح من ذلك قد تحولت المرأة المسلمة تحولا كبيرا في حياتها اليومية من ظلمة الجاهلية إلى عصر التقنية المعلومات كما تنعكس ذلك في المجتمع المعاصر. ولم تترك المرأة المسلمة مجالا بدون أن توقع بصمتها، حتى نقش مشاركتها في علوم الفضاء والصناعة والرياضات وغيرها من الفنون المتنوعة. واستطاعت أن يقف مع الرجل كأنها أخت وأم وزوجة وصديقة وحبيرة تؤيده بمالها وحسبها بأهلها وأيضا بحكمتها والأهم من ذلك الثقة البشرية التي يحصلها من وراء الستار (المرأة) أعلى من الجواهر واللائل وهذا الذي ثبت قلب الرسول (صلى) بمواساة أم المؤمنين خديجة (ر) بقولها والله لا يخزيك الله أبدا.... إلخ

¹ المرأة الجديدة ص 4-5 لقاسم أمين

ويظهر مما سبق ذكره لم يمنع الإسلام المرأة من اكتساب أي تعليم عال بالنسبة للمرأة المسلمة ولكن يشجعها للتعليم و التثقيف و التمكين بحضارة الإسلام الراقية التي تمثل طبقة جديدة في المجتمع أفرزتها تطورات و منجزات الحراك الاجتماعي و التعليمي و الثقافي و الاجتماعي و التنموي. لم تعرف البشرية ديناً و لا حضارة عنية بالمرأة أجمل عناية و أتم رعاية و أكمل اهتماماً كالإسلام. أشاد الإسلام بفضل المرأة و رفع شأنها و عدها نعمة عظيمة و هبة كريمة يجب مراعاتها و اكرامها و إعزازها و المحافظة عليها. و لابد علمها أن تحتذي بشخصيات اللاتي أجادهن القرآن الكريم كمریم و آسیة و السير المتتابع على منوال الصالحات كخديجة و فاطمة و عائشة رضي الله عنهن. قد أكد الإسلام للمرأة التي عاشت حسب تعاليم الشريعة مقتدية خطاهن الجنة الخالدة بقول الرسول (صلى) إذا صلت المرأة خمسها و صامت شهرها و حفظت فرجها و أطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت " و هذا عرض خاص للنساء... أيها النساء عليكم أن تستيقنوا أمام مغامرات أعداء الأمة الإسلامية باجتناّب الشبهات الفاسدة و اسعوا إلى الخيرات و سارعوا إلى تلك الجنة عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين.

المصادر و المراجع:-

1. القرآن الكريم
2. صحيح البخاري
3. الشعراوي، محمد متولي (د.ت) مكانة المرأة في الإسلام، (د.ط)، بيروت: دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع
4. الحجاب، أبو الأعلى المودودي - دار الفكر بدمشق
5. المرأة في تصوير الإسلام، عبد المتعال محمد الجبري
6. هاني أيوب، الواد عند العرب قبل الإسلام، مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 36، العدد 1، 2009م
7. قاسم أمين، المرأة الجديدة - الطبعة الأولى 1987
8. الدكتور مصطفى السباعي، كتاب شرح قانون الأحوال الشخصية، دار النيرين دمشق، الطبعة التاسعة 1422هـ 2001م
9. المرأة بين شريعة الإسلام و الحضارة الغربية، وحيد الدين خان، مكتبة دار الصحوة النشر و

التوزيع- القاهرة

"روائع وجمهرانية في قصائد غزلية"

مختارات من ديوان علي الفيتوري رحومة "خفقات قلب" وبعض من شعره المخطوط



الدكتور الزُّرُوق عبد الحميد علي
عضو هيئة التدريس بجامعة مصراتة/ ليبيا
كلية التربية/ قسم اللغة العربية

المبحث الأول: ترجمة الشاعر

اسمه، مولده، نشأته: هو علي الفيتوري رحومه، ولد في مدينة مصراتة/ ليبيا عام 1946م، تلقى مراحل التعليم الأولى في مدينة مصراتة، ثم التحق بالكلية العسكرية في مدينة بنغازي فحصل منها على البكالوريوس في العلوم العسكرية. (مليطان: 2001م، 1/ 146، 147)

عمل ضابطاً في القوات المسلحة الليبية، وأسندت إليه رئاسة تحرير جريدتي "الجندي" ثم "الفتاح"، إضافة إلى إشرافه على مجلة "جيش الشعب"، وكان عضواً في رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، وشارك عضواً في الوفد الليبي لمؤتمر اتحاد الكتاب العرب بتونس عام 1973م.

شاعروطني وقومي، ووجداني، يشكو ضياع الحب، ويسعى للوصل، وله شعر في رفض الظلم والحلم بغلاص الشعوب المقهورة، وكذلك في حب الوطن معترفاً بتاريخه النضالي.

بعد تخرجه من الكلية العسكرية انتقل إلى مدينة طرابلس، وباشربها عمله، ثم عاد عام 1979م إلى مسقط رأسه مدينة مصراتة.

انتسب -رحمه الله- إلى الحركة الكشفية في مدينة مصراتة، وكان مهتماً بل ومغرمًا بالرياضة البدنية، وتتبع أخبارها، فأسس النادي الأهلي المصراتي بقرية الزروق، وظل متابعا له حتى توفاه الله.

كان في عمله حازماً، فلا تهاون مع المقصرين، حريصاً على مال الدولة بما تحمله الكلمة من معنى، حتى إن جميع العاملين التابعين له يحسبون لشخصه ألف حساب، وبرغم ذلك فهو صاحب علاقات اجتماعية قوية وطيبة مع الأصدقاء والجيران، وعموم أهل المدينة. (باكير: 2020/ 1/ 17م)

دراسته: درس مراحل التعليم الأولى بمدينة مصراتة، ثم توجه إلى مدينة بنغازي فدرس بالجامعة الليبية،

كلية التجارة مدة عامين؛ لينتقل بعدها إلى الكلية العسكرية ببغداد، ويتخرج منها برتبة ملازم ثانٍ، وكان ذلك بتاريخ 9 / 8 / 1969 م. (باكير: 1/17/2020م)

عمله و آثاره الأدبية: بعد تخرجه في الكلية العسكرية، اشتغل بالدفاع الجوي، ثم بالحرس الجمهوري، وفي إدارة التوجيه المعنوي بطرابلس، وكذلك الاتحاد العسكري طرابلس، ثم انتقل إلى مدينة مصراتة، فشغل منصب آمر مكتب الاستخبارات بها، ثم أمرا لاستخبارات المنطقة العسكرية الوسطى، وبرغم أن المرحوم غلب على حياته الطابع العسكري؛ إلا أنه كان شاعرا رقيق المشاعر، يحب الجمال ويعشقه، يُسَطِّر ما يجول في خلجات نفسه بنظم بديع رائع، وعبارات سلسلة مُتَقَنَّة، تَنَمُّ عن شخصية مرفهة، ذواق. (باكير: 1/17/2020م)

ومن أبرز آثاره الأدبية:

1 ديوان "خفقات قلب"، دارالكتاب بالعربي - طرابلس 1972 م.

2 ديوان علي الفيتوري رحومة - الدار الجماهيرية للنشر (سابقا)، طرابلس 1994 م.

3 ديوان علي الفيتوري رحومة (ج2) - جمعه وقدم له - عبدالكريم الدناع، ويشتمل - إلى جانب القصائد الشعرية الفصيحة - على قصائد باللهجة الليبية. (مليطان: 2001م، 1/146، 147)

وفاته: بعد رحلة من البذل و العطاء الأدبي و الوطني، انتقل رحمه الله إلى الرفيق الأعلى بتاريخ 7/7/1985 م، إثر حادث سير أليم. (باكير: 1/17/2020م)

المبحث الثاني: الغزل في الشعر العربي

1 مفهوم الغزل في الشعر العربي

مما لا شك فيه أن الغزل يُعدُّ من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعاً؛ لاتصاله بطبيعة الإنسان، وتجاربه الذاتية، فالحب محرك لكل القلوب؛ إلا أن الشعراء دون غيرهم - يُصَوِّرون هذا الحب بعاطفة صادقة جيّاشة، فيتدفَّق على ألسنتهم، معبراً عما يجيش في خواطرهم، وما يختلج في قلوبهم، فالغزل منبعه النفس بعد تفجر الحب في الأعماق، وبما أن الحب إحساس مُشْتَرَك بين الناس، فقد وجدوا في أشعار الغزل لذة عند الاستماع إليها؛ لأنَّ كلَّ مَجِبِّ يتخيَّل أنَّ هذا الشعر الغزلي يمثِّل تجربته، ويروي آلامه وآماله. (سراج الدين محمد: 6)

وعلى الرغم من قسوة الصحراء وصمتها العميق، وفراغها الممتد، ومساحاتها الواسعة، وما وُجِد فيها من حروب وويلات؛ إلا أنَّ الإنسان العربي تغنَّى بأروع العواطف وأنبلها، وأرقَّ المشاعر وأعذبها، فكم زفرت أهات المحبين في ليالي الصحراء، وكم تاقَت الأنفُس المُجَبَّة إلى لقيا على ضفاف نهر، أو مجرى ماء، فتدفقت ينباع

الحب لتماماً فراغ الحياة، وتُزج قسوة الصحراء بتراث فكري، وحوار أدبي، صار إراثاً به نعتز، وفكراً يحرك الوجدان لدى الشعراء والنقاد، وعلماء اللغة، وغيرهم. (دعيبس سعد: 3)

احتل الغزل حيزاً كبيراً من الشعر في مختلف العصور، ونظّمه أكثر الشعراء، وتغنّوا بالمرأة، و وصفوا عواطفهم، وخفقات قلوبهم، فكان منه العفيف والإباحي، ووقفوا على الأطلال، وبكوا الديار، ورسموا مشاهد ارتحال الأحبة، وتحدثوا عن صفات المحبوبة، ووصفوا المحاسن الجسدية، ولون الشعر والعينين، وغيرها..؛ إلا أن الغزل يظل كغيره من الأغراض الشعرية. خاضعاً للتطور في الأسلوب، أمّا الحب فيبقى شعوراً سامياً لا يستشعره ولا يحسّه إلا المحب. (سراج الدين محمد: 7)

العرب أمة شاعرة، وهذا لا يعني أن كل عربي شاعر، وإنما نقصد أن الشاعرية بجمالها المطبوع لا المصنوع؛ ذلك أن العربي ذكيّ سريع البديهة، جيّاش العاطفة، حسّاس بأسره الجمال، يودع الشعر أحلامه، ويؤنس به وحشته، يغرد به العاشق معبراً، ويلجأ إليه الولهان مُفضضاً، فكانت قصائدهم تطير في الصحراء أسرع من الرياح؛ لتُحدث الأثر العظيم في قلوب متلقّيه. (الحوفي: 1952م، 109 - 111)، والمتتبع لدواوين شعراء الجاهلية يلحظ أن للغزل الحظّ الأوفر في شعرهم، فهي وإن لم تكن قاصرة عليه، فهي متصلة به بسبب مباشر أو غير مباشر.

(فيصل: 1959م، 3، 4)

فعتبر على سبيل المثال في معلقته الشهيرة يقول:

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَاسْلَمِي (عنترة: 183)

فهو لم يكن يفتخر للفتخر ذاته، ولم يكن يتمدّح بخصاله للغرض ذاته، إنما كانت محبوبته عيلة ملء ذهنه، ومسكن فؤاده، ثم منطق لسانه، فكان منها ينطلق إذا تغزل، وإليها ينتهي إذا افتخر، وكان طيفها خلفه دائماً في ركوبه وصولاته وجولاته، فصار الغزل عنده هو المنطلق الأول والباعث الحثيث. (فيصل شكري 1959م: 6) وال حال كذلك عند زهير بن أبي سلمى، ففي قصيدته الشهيرة التي مدح فيها سنان بن أبي حارثة افتتحها بقوله:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَمِنْ سَلَمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَفُلُ (فاعور: 83)

فقد احتل الغزل حيزاً كبيراً من الشعر العربي في العصر الجاهلي، وطفى على معظم الفنون الشعرية التي وصلت إلينا؛ لارتباطه الوثيق بحياة الشاعر الذي يهزّه الحب، وتعصف به العواطف، بعيداً عن الزخرفة والتكلف، وفي عفوية واضحة. (سراج الدين محمد: 8)

وفي العصر الإسلامي وتحديدًا صدر الإسلام، وعند التمعّن في هذه الفترة، وما وُجدَ فيها من شعراء، نجد أننا

أمام طائفتين مختلفتين، وأن هذا الاختلاف لا يعود إلى التخالف في الأسلوب، أو التفاضل في التعبير، وتراكيب الألفاظ، وإنما يعود قبل كل ذلك إلى التجاوب في الحياة الجديدة، بما فيها من أوامرونها، وتوجهات دينية، فالطائفة الأولى: شعراء أسلموا، ولكن نفوسهم لم تسلم من آثار الجاهلية، فلم يستطيعوا الابتعاد عما كانوا عليه، فظلَّ يعيش معهم. (فيصل شكري: 1959م، 191)

يطالعنا من هذه الطائفة حميد بن ثور الهلالي قائلاً في إحدى قصائده:

إِنَّ سُلَيْمِي وَاصِحٌ أَبْدَانُهَا لَيْنَةُ الْأَطْرَافِ مِنْ تَحْتِ السَّبَجِ (البيطار: 128)

أما الطائفة الثانية فهم شعراء انقادوا للحياة الجديدة، وآمنوا بمثلها، والتمزوا حدودها، وتقيّدوا بقواعد الإسلام، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فكانت أشعارهم عفةً وطهارة ونقاء، حتى وإن وُجد فيها بعض أثار الجاهلية. (فيصل شكري: 191، 192)

يتضح ذلك. على سبيل المثال. من قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد"، يقول:

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولٌ (العسكري: 1994م، 26)

في العصر الأموي تطور الغزل، وأكثر الشعراء من التّظلم فيه، معبرين عن عواطفهم المتعقّفة والملتهبة في آنٍ واحد، فتعددت أنواعه وصنوفه، معبرين عن أحوالهم، وآلامهم، وآمالهم. (سراج الدين محمد: 19، 20)

من ذلك قول عروة بن حزام:

وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ رَعْدَةٌ لَهَا يَنْ جِسْمِي وَالْعِظَامُ دَيْبٌ (عكيدي أحمد: 2014م، 151)

أما العصر العباسي، فقد شاع فيه الفسق بين العامة والخاصة، بسبب تعدد مظاهر اللهو والرفاهية، وضعف أثر الدين والأخلاق، فانطلق الشعراء يتغزلون بجرأة كبيرة، ولم يعد يقتصر الغزل على المرأة العربية الحرة، فتعداها إلى التغزل بالإماء والمغنيات، بل تعدّى الأمر إلى أكثر من ذلك، فظهر التغزل بالذكور والغلمان، فلم يعد الحب في هذا العصر نموذجاً مثالياً، بل صار يخضع لمقاييس الشاعر واعتبارات الشخصية. (سراج الدين محمد: 44، 45)

من ذلك قول بشار بن برد:

يَا رَبُّ لَا صَبْرَ لِي عَنْ قُرْبِ جَارِيَةٍ تَنَأَى دَلَالًا وَفِيهَا إِنْ دَنَتْ غَنَجٌ
غَرَاءُ حَوَازٍ مِنْ طَيْبٍ إِذَا نَكَهَتْ لِلْبَيْتِ وَالْدَّارِ مِنْ أَنْفَاسِهَا أَرْجُ

(عاشور: 2007، 57/2)

في العصر الأندلسي تطور الغزل. كما هو الحال في العصر العباسي. من التقليد إلى التجديد، بدافع بيئة جديدة لزم أن يُصَبَّغَ الأدب بصاوغها، فأخذ الشعراء يمثّلون بيئتهم الجديدة، ونزعات نفوسهم، من دون

إهمالهم للتقليد إهمالا تاما، (الفاخوري: 1953 م، 805، 806)، ووجدوا في أوروبا ما لم يجدوه في غيرها من الحياة المتنوعة، والمناظر المختلفة، والخمائل الجميلة، فصفت أذهانهم، وسما وجدانهم، فاتسعت دائرة الأدب عندهم، واستحدثوا الموشح في حلاوة لفظ، ورقة أسلوب، وروعة صنعة. (الزيات: 314) من شعراء هذا العصر ابن زيدون، يقول في إحدى قصائده متغزلا بولادة بنت المستكفي، طالبا منها البقاء على العهد:

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلَامِن تَدَانِينَا وَنَابَ عَن طَيْبِ لُقيَانَا تَجَافِينَا
أَلَا وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ صَبَحَنَا حِينَ قَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا

(فرحات يوسف: 1994، 298)

في العصر الحديث أصبح الغزل تعبيراً عن تجربة نفسية كاملة، منسجماً مع التقدم الحضاري، فتبنى معظم الشعراء الغزل العفيف، وسمّوا به واتخذوه رمزاً لوجدانياتهم، فلم يعد الشاعر يرى في المرأة الحبيبة فقط، بل يرى فيها الأم والصديقة والزوجة، داعياً إلى تحررها، ناظراً إليها باحترام، كجزء مكمل له. (سراج الدين محمد: 71)

يقول إسماعيل صبري في قصيدته سحر الجمال:

تَاهَتْ بِسُخْرِ جَمَالِهَا عَيْنَاكَ ** لَمَّا تَمَلَّكَ فِي الْقُلُوبِ هَوَاكَ
لَعِبْتَ بِمَيْدَانِ الْغَرَامِ سُيُوفُهَا ** وَهَوَتْ مَوَاضِعُهَا عَلَى قَتْلَاكَ

(القصاص، بحيري، زكي: 193)

2. أنواع الغزل في الشعر العربي:

يُعَدُّ الغزل لوناً من ألوان الحياة، ينشأ ويتربع، ويزدهر، متأثراً بما حوله من أسباب الحياة قوة، أضعفاً، وازدهاراً أو ذبولاً، وقد تحدثنا عن ذلك في أول هذا المبحث؛ إلا أن حديثنا هنا سيكون عن أنواع الغزل في الشعر العربي، فقد وُجِدَ عند العرب ثلاثة أنواع للغزل هي:

أ. الغزل الصناعي "المصنوع":

ويُنتج فيه الشاعر إلى الغزل بوحى من الصناعة الشعرية، مستخدماً أعذب الألفاظ، ومُبرزاً أروع المعاني، دون أن يغرق قلبه في الحب، غير قاصد حبيبة معينة تعلّق بها، أو تملّكت عواطفه، وهو بهذا يصور حالة المحبين العامة، دون ما يحدث من خصوصيات بينهم؛ لأنه لم يرها بنفسه ولم يعيشها بقلبه، وبذلك فإن هذا النوع من الغزل لا يمثل حبا خاصاً، فصاحب هذا النوع ليس مدفوعاً بحرارة الحب ولا لوعة الاشتياق، فيكون تصويره للمعاني فاتراً. (أبورحاب: 1947 م، 158، 159)

من ذلك قول البحري:

رُدِّي عَلَى الْمُشْتَاكِ بَعْضَ رُقَادِهِ ** أَوْ فَاشْرُكِيهِ فِي اتِّصَالِ سُهَادِهِ
أَسْهَرْتِهِ حَتَّى إِذَا هَجَرَ الْكَرَى ** خَلَّيْتُ عَنْهُ وَنَمَتِ عَنْ إِسْعَادِهِ

(الصيرفي: 702 / 2)

ب. الغزل العذري:

هذا النوع مختلف عن سابقه تماماً، فهو يتحدث عن القلب الذي أحبَّ، واكتوى بنار الحب، وهو حب صادق بري، صادر عن وفاء وإخلاص، ووُدٍّ متبادل، لا يشوبه ولا يداخله أي لون من ألوان الفجور، ولا اللهو ولا المجون، يتحدث عن حبيبة واحدة تملكت القلب، وسكنت الفؤاد، فصارت منبع الحديث في الغدو والرواح، وفي الحلِّ والترحال، وحين تجود بالوصال، أو تقسو بالجفاء، وحين يلتئم الشَّمْلُ، أو تفرق بينهما الأيام، فما أروع ذاك الحديث، وما أعذب تلك الكلمات؛ لأنها نابعة من قلب محب، فأكرم به من حب، وأجمل بها من معاني، والشاعر العذري رقيق في لفظه، عميق في تصويره، صادق في إحساسه، مبدع في خياله؛ لأنه صاحب حسٍّ مرهف، وقلب حي، وهذه الطائفة من الشعراء يمثلون الشعر الصادق، والغزل الحي، وشعرهم ضرب من المثل العليا، والحب الطاهر العفيف، وقد عُرف هذا النوع في العصر الأموي، ففيه نشأ، وترعرع؛ ذلك أنَّ هذا العصر عصر بناء وعمران، جاء بعد جهاد ونضال في محاربة الظلم والطغيان، فكان لزاماً بعد أن سكنت النفوس أن تبحث لها عن تقاليد جديدة في الحياة. (أبورحاب: 1947م، 167 - 170)

من شعراء هذا النوع - على سبيل المثال - جميل بن معمر، يقول في إحدى قصائده:

رَمَى اللَّهُ، فِي عَيْنِي بُئِينَةً، بِالْقَدَى وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا، بِالْقَوَادِحِ
رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضِرْ ظَوَاهِرَ جِلْدِي، فَهَوَى الْقَلْبَ جَارِحِي

(جميل: 68)

ج. الغزل الماجن "الصريح":

يميل هذا النوع إلى وصف المرأة، وذكر مفاتها التي تثير اللذة والشهوة، وينشأ هذا النوع حيث وُجد الترف، عند قوم همُّهم التَّنَعُّمُ بالحياة بكل وسائلها وملذَّاتها، فحمل إلينا صوراً ماجنة في وصف المرأة، تُرضي الطبقة المترفّة، وجعلوا من المرأة أداة هذا العبث. (أبورحاب: 1947، 176، 177)

لم يكن انتشار الغزل الصريح ناتجاً عن طبيعة في الشعر العربي، وإنما ناتج عن عوامل خارجية أثّرت عليه، يؤكد ذلك أنَّ مع معظم شعراء المجون يرجعون إلى أصول غير عربية، فقد كان لاتصال الأدب العربي بالأدب الغربية - وبخاصة الفارسية واليونانية - دور كبير في انتشار الغزل الصريح بين الوسط الشعري. (الجندي

أنور: 1985م، 161، 162)

من رَوَاد هذا اللون عمر بن أبي ربيعة، يقول في قصيدته طرب الفؤاد:

عَلِقَ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ بِغَيْرَةٍ ** رَيَّا الرَّوَادِفِ ذَاتَ خَلْقٍ خَزَعِبِ
تُجْرِي السَّوَاكَ عَلَى أَعْرَافٍ ** عَذْبُ اللَّثَاثِ لَذِيذِ طَعْمِ الْمَشْرَبِ

(فايز محمد: 1996م، 80)

المبحث الثالث: الغزل عند علي الفيتوري رحومه

هَبَّتْ على بلاد العرب في العصر الحديث نسمة من البعث والحياة، نفث بها العربي غبار الظلم عن عينيه؛ لتتفتح عيناه على رقي وحضارة، وعلم وأدب وفنيّ ينعم بها العالم، فحمل إلينا رسل العلم نور المدنية، حتى أصبح لنا من الأدب العربي تراث نحتديه، ونتأثر به، فكانت أغراض الشعر المختلفة، وبما أنّ العربي بطبعه يأنس إلى المرأة، وتأنس هي إليه في ظلال الحب والود والعطف، فقد كان للغزل نصيب وافر في العصر الحديث. (أبورحاب: 1947م، 218.222)

شاعرنا علي الفيتوري رحومه، وبرغم طبيعة حياته الجديّة التي عاشها، وطبيعة عمله الذي يتطلب الحزم والصرامة، إلّا أنه امتلك إحساساً مرهفاً، ومشاعر فياضة، وقلبا رقيقا، يتحسس الجمال ويستعذبه، ليذيقه في شعره بعبارة سلسلة معبرة، ومعاني رائعة تسكن القلوب، وتحرك الوجدان. تملكت المرأة هواه، وسكنت فؤاده، فكان لها النصيب الأوفر في شعره، فتغنّى بها، ووصف دلالها، وذكر مفاتها، وتحدث عن آهات المحبين، ولوعة الاشتياق، وسنعرض لذلك من خلال تحليل بعض قصائده الواردة في ديوانه "خفقات قلب"، أو التي أثبتتها له رفاقه الذين عاصروه.

فيسم هذا المبحث إلى قسمين:

1. الغزل الصريح عند الشاعر:

نبدأ الحديث عن الغزل الصريح عند الشاعر من خلال استعراض بعض قصائده؛ لتكون البداية بقصيدة "معبودتي"، التي يقول فيها:

مَعْبُودَتِي ضَاعَ الْهَوَى مَعْبُودَتِي	فَجَعَلْتُ مِنْ ذِكْرِي الْهَوَى أَنْشُودَتِي
يَا قِبْلَةَ الْعِشَاقِ فِي صَلَوَاتِهِمْ	أَنْتِ الْحَيَاةُ وَأَنْتِ سِرُّ سَعَادَتِي
عَيْنَاكَ بَحْرُ تَهْتُ فِي أَمْوَاجِهِ	وَتَحَطَّمْتُ فِي شَاطِئِهِ سَفِينَتِي
وَالْخَدُّ وَرْدٌ مُزْهِرٌ فِي رَوْضِهِ	يَا لَيْتَهُ قَدْ كَانَ ضِمْنِ حَدِيقَتِي
وَالشَّعْرُ يَلْهَتْ خَلْفَ ظَهْرِكَ مَاشِيًا	فَضْفَرْتُ مِنْ شَعْرِ الْحَرِيرِ مِظْلَتِي

وَرَأَيْتُ وَجْهَكَ فِي الْخَيَالِ مُنَوَّرًا فَتَسَجَّتُ مِنْ سِحْرِ الْخَيَالِ قَصِيدَتِي
وَبَكَتْ عُيُونِي مَنْ فَرَاقِكَ أَدْمَعًا فَجَعَلْتُ مِنْ دَمْعِ الْعُيُونِ وَسَلَاتِي
وَحَضَعْتُ لِلْحُسْنِ الَّذِي أَحْبَبْتُهُ وَوَهَبْتُكَ الدُّنْيَا بِمِلءِ إِرَادَتِي
أَنَا يَوْمَ أَنْ أَحْطَى بِقُرْبِكَ لَحْظَةً سَيَكُونُ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمَ وَلَا دَتِي
وَاللَّهِ لَوْ جَعَلُوا الْغَرَامَ عِبَادَةً لَجَعَلْتُ حُبَّكَ مَا حَيَّيْتُ عِبَادَتِي

(رحومه:43)

يبدأ الشاعر قصيدته بلفظة معبودتي، ويكررها موضحاً أن هذه المعبودة هي محبوبته التي تعلق بها قلبه، فإذا كان المعبود بحقي هو الله، الذي يُعبد، والذي نخضع ونذل له طاعة والتزاماً وانقياداً، فإنَّ المعبودة هي المحبوبة التي خضع لها قلبه فانقاد حباً وهياماً وولهاً، مؤكداً ذلك من خلال تكرار لفظ "معبودتي".
جاء الشاعر بهذا اللفظ الذي شاع استعماله في الأدب الحديث لدى الشعراء، فهذا محمود درويش في قصيدته "حبيبتي تنهض من نومها" يقول:

عَيْنَاكَ يَا مَعْبُودَتِي عَوْدَةٌ مِنْ مَوْتِنَا الضَّائِعِ تَحْتَ الْحِصَارِ

جاء شاعرنا اللفظ الذي يحمل معاني العبادة والتقديس، جاء بما يناسبه، فذكر القبلة والصلاة، وإن كان هنا على غير المعنى حقيقة، وربما كان لهذه المعاني القدسية أثر في التخفيف من حدة وصرامة الغزل هنا.
- عَيْنَا كَبْخَرُ تُهْتَفِي أَمْوَاجِهِ: عيناها بحريتيه البحاري أَمْوَاجِهِ، وتكسر السفينة على شواطئه، فبرغم جمال البحر وحسنه، إلا أن له عنفواناً يصارعه البحار ليصل إلى بر الأمان، كذلك جمال العينين وسحرهما الفتان أصابت القلب بسهامهما، فظل يصارع ذاك العنفوان، ويمخر عباب بحرهما متحملاً المشاق، رغبة في الوصول، فياله من تشبيهه بديع أبرز مواطن الحسن والقوة في آن واحد.

- وَالْخَدُّورُ دُمُزْهَرٌ.....

- وَالشَّعْرُ لَيْهَتْ.....

لله درّه في استعمال هذه الألفاظ، فبرغم صراحتها إلا أنه وظفها توظيفاً جميلاً عكس بها جمال محبوبته في غير فحش، فحسيتيها لم تحرك شهوة بقدر ما لفتت إلى جمال وحسن.
يقسم الشاعر في ختام قصيدته أنه لو جعل الغرام عبادة لكانت عبادته هي دين العشق لحبيبته، وهنا نلاحظ شيئين:

الأول: تأكيد المعنى الذي أورده في بيته الأول (معبودتي).

الثاني: خرج عن هدوء نفسه الذي انتهجه في أبياته السابقة، وهذا تأكيد على أن الشاعر يعيش اضطراب

نفس بين تهدئتها ومحاولة السيطرة عليها حتى لا يحيد عن العقل، وبين تغلُّبها عليه وخروجه عن طوره، لكنه يفشل ويصرخ بأعلى صوته وبحال يخرج فيها عن العقل، فيأثمه ربما يعبدها - الحبيبة -، وكما أسلفنا العبادة هنا تعني، اضطرام الجبوعدم السيطرة فيه على العقل.

وفي قصيدته "إلهيا" نجد أنفسنا أمام لون من الصريح يتجاوز فيه الشاعر الحياء، ولا يراعي البيئة - كما في القصيدة السابقة -، ولا يهتم لمكانة اجتماعية ولا وظيفية.

نجد أنفسنا أمام ضلال امرئ القيس، ومجون عمر بن أبي ربيعة، وميل نزار، أمام خروج عن المألوف في بيئة حييَّة، ترى في مثل هذا الغزل خروج عن الأدب والذوق العام، ومع ذلك فهو لم يبال، ولم يكثرث.

لنقرأ قوله في مطلع قصيدته:

دَعِيْنِي أَقْبِلُ الشَّفَقَتَيْنِ إِلَيَّ ** سَأَلَقِي فِي رَحِيْقِهِمَا دَوَائِي
دَعِيْنِي الْمَسُّ التَّهْدِيْنِ إِلَيَّ ** سَأَنْسَى عِنْدَ لَمْسِهِمَا شَقَائِي
(رحومه: 65)

إنه باستعماله لهذا الفعل وتكراره يعلن في غير خفاء ولا حياء أنه في قمة النشوة والشهوة التي أوصلته إليها حبيبته، جهارا يعلن أنه لن يُشْفَوِيستفيق إلا بالتَّقبيل واللمس، وربما استعماله للفعل "دعيني" يجعل المثلقي يخرج إلى استقراء أو تذكُّر الشعر الممنوع في الحديث، فكثيرا ما يُطالعنا شعراء الشهوة إن صحَّت التسمية بهذا اللفظ.

وهذا يقول:

دَعِيْنِي أَعِيْثُ بِجَسَدِكَ ** وَ أَقْبِلْ كُلَّ تَفَاصِيْلِكَ

ملاحظ أن الأوامر هنا جاءت جليَّة في الأبيات، دعيني - ميلي - اتركني، وهي ولاشك أوامر خرجت عن أصلها إلى التودد والاستعطاف، وهذا يعكس الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر من جرَّاء هذا الحب، ولنا أن نتخيَّل أنها ملكت فؤاده ولُبَّه، فما عادت الدنيا تعني له شيئا: "أودَّعْهُ هَذَا الدُّنْيَا وَرَائِي"، وهذا المعنى نجده عند ابن الرومي:

أَعَانِقُهَا وَالتَّفْسُبُعْدُ مَشُوقَةٌ ** إِلَيْهَا وَهَلْبُعْدُ الْعِنَاقِ تَدَانِي
كَأَنَّفُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيْلَهُ ** سَوَاءَ نَزَرْنَا أَلَوْ حَيْنَ مَزَجَانِ

(نصَّار حسين: 2475 / 6)

- عَجَزْتُ عَنِ الدِّفَاعِ فَجِئْتُ طَوْعًا ** إِلَيْكَ مُقَدِّمًا أَقْصَى وَلَائِي
اعتراف وإقرار بعجزه عن التحرر من حبها، فلا يملك إلا أن يأتي طائعا، مقدِّما الولاء والطاعة عن عجز مع

رضاً لهذا المالك الذي تحكّم في حياته، بل حتى في أنفاسه، فما عاد يتنفس غير هواها.

إنه يذكرنا بمجون عمر، ولهونزار في قوله:

فَمَا جَدَوَى الدِّفَاعِ بِغَيْرِ حَقِّ ** وَمَا جَدَوَى الْحَيَاةِ بِلَا نِسَاءِ

يقول نزار:

قد نلتقي في نجمة زرقاء .. لا تستبعدني .. تصوّري ما ذا يكون العمر لو لم تُوجدي

وقوله: أنا ما تورّطت يوماً بمدح ذكور القبيلة ولا أدين لهم بالولاء....

لكنني شاعر قد تفرّغ خمسين عاماً لمُدح النساء.

ربما لا نأتي بغريب إذا قلنا إن شاعرنا يو افق نزاراً في أفكاره عن المرأة، فهو يتفق معه كثيراً، ونلاحظ هذا من

القصيدة التي بين أيدينا، يقول:

وَلَسْتُ أَنَا بِشَيْخٍ أَوْ أَمِيرٍ ** غَزِيرِ النَّفْطِ مَوْفُورِ النَّزَاءِ

وَلَسْتُ بِحَاكِمٍ سَلَّطْتُ نَفْسِي ** وَدَبَّرْتُ الْمَكَائِدَ فِي خَفَاءِ

وَلَسْتُ بِنَاسِكٍ ضَيَّعْتُ عُمْرِي ** أَرُدُّ عَلَى الْمَصَائِبِ بِالْدُّعَاءِ

وَلَكِنِّي بِسَيِّطٍ فِي حَيَاتِي ** أَعِيشُ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالصَّفَاءِ

وهذا هو المعنى نفسه الذي أراده نزار عندما قال: الأنثى لا تريد رجلاً غنياً ولا وسيماً ولا حتى شاعراً.. هي تريد

رجلاً يفهم عينيها عندما تحزن.

2. الغزل العفيف عند الشاعر:

جرت العادة لدى شعراء الغزل العفيف أن تكون قصائدهم مبنية على عتاب المحبوب، وبيان ألم الفراق،

ولاكتواء بنار الهجر، وهذا ما سار عليه شاعرنا علي الفيتوري ارحومة، ففي قصيدته "رسالة حب"، يقول:

إِلَى مَنْ أَبْعَ رُؤْيَتَهُ ** وَمَنْ فِي الْقَلْبِ سَكْنَاهُ

أَتَذْكُرُكُمْ تَسَامَرْنَا ** وَكَمْ لَيْلٍ قَضَيْنَاهُ

(رحومه: 9.7)

يخاطب الشاعر محبوبته مبرزاً مكانتها عنده في لوم وعتاب، مذكراً إياها بأوقات قضائها في قرب وحب،

مستميلاً قلبها حتى تجنّ فتنعّم عليه بالوصل، فقد أضناه البعد، وأزقه السُّهاد، وأوجعه الشوق، ويؤكد هذا

الوجع في قوله:

وَجُرْحُ الْهَجْرِ يُؤْلِمُنِي ** فَأَيْنَ الْعُمْرُ رَبَّاهُ

حَبِيبِي لَا تَلُمْ قَلْبِي ** فَإِنَّ الْحُبَّ أَضْنَاهُ

عَذَابُ السُّهْدِ أَرْقَهُ ** وَطُولُ الْهَجْرِ أَبْكَاهُ

هذا الصديق الذي تنطق به عباراته التي اختارها، توجي للمتلقى أو السامع بالضنى، والمعاناة، التي يعيشها الشاعر من عذاب الحب وهجر محبوبته.

وليس ذلك بغريب على شعرنا العربي، فهذا جميل يطالعنا بقوله:

وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بُثَيْنَةَ شَاقِي ** وَذَكَرْتُ أَيَّامِي وَشَرَّ شَبَابِي (جميل: 101)

وقيس يقول:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى ** بَلِيلٍ، فَفِي قَلْبِي جَوَى وَحَرِيقُ

(عبد الغني يسرى: 66)

وفي قصيدته "قربة الزروق"، يقول:

قَرِيَّةَ الزُّرُوقِ يَا أُمَّ الْقُرَى ** خَبَّرَنِي أَيْنَ أَيَّامِ الْهَوَى
خَبَّرَنِي عَنْ حَبِيبٍ لَمْ يَزَلْ ** حُبُّهُ فِي الْقَلْبِ جَمْرٌ وَلَظَى
وَأَذْكَرِي لِلنَّاسِ دَوْمًا حُسْنَهُ ** فَهَوَى الْحُسْنِ مَلِيكًا سَيِّدًا
قَرِيَّةَ الزُّرُوقِ إِنِّي مُغْرَمٌ ** هَدَنِي الشَّوْقُ وَمَا نِلْتُ الْمُنَى
اشْتَكِي لَيْلًا نَهَارًا حُبَّهُ ** وَهُوَ يَلْهُو بَيْنَ أَقْرَانِ الصَّبَا
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَقْضِي وَقْتَهُ ** بَيْنَمَا وَقْتِي دُمُوعٌ وَبُكَاءُ
قَرِيَّةَ الزُّرُوقِ لَا تَبْكِي مَعِيَ ** لَمْ يَعُدْ فِي الْحَبِّ يُجَدِّدُنِي الْبُكَاءُ
قَدْ كَفَانِي أَنَّنِي أَعْشَقُهُ ** زَغَمَ كَيْدِ الْحَاسِدِينَ اللَّوْمَا
وَهُوَ يَدْرِي أَنَّ قَلْبِي مُغْرَمٌ ** وَهُوَ يَدْرِي كَيْفَ يَشْفِي الْمُغْرَمَا
قَرِيَّةَ الزُّرُوقِ هَلْ شَاهَدْتَهُ؟ ** وَهُوَ يَمْشِي مِثْلَمَا تَمْشِي الضَّبَّاءُ
هَلْ رَأَيْتِ الْحُسْنَ فِي نَظَرَاتِهِ؟ ** وَارْتَوَيْتِ مِنْهُ شَهْدًا بَلَسْمًا
لَوْ رَأَيْتِ مَا رَأَيْنَا مَرَّةً ** كُنْتُ قَدْ ذُبْتُ غَرَامًا مِثْلَنَا
قَرِيَّةَ الزُّرُوقِ قَدْ كَانَ مَعِيَ ** ذَاتَ لَيْلٍ لَمْ نَرَفِ فِيهِ الْكَرَى
وَاحْتَسَيْنَا خَمْرَةَ الْعِشْقِ مَعًا ** أَيُّ خَمَرٍ غَيْرُهَا لَا يُحْتَسَى
لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ ** كَيْفَ ذَاكَ الْحُبُّ أَمْسَى خَبْرًا

القصيدة لم ترد في الديوان، وإنما نقلتها عن الأستاذ عبد الحميد أحمد الطاهر بن منصور، لذلك تعمّدت كتابتها

في البحث كاملة، إبرازا لها، وإثباتا لقائلها، وحفظا لها من الضياع.

يناجي الشاعر موطنه، ومسقط رأسه، ومسرح غرامه، راجيا إخباره عن حبّه الذي ضاع، وأيام عشقه التي ولّت،
بعبارات تقطر أسى وحزنا، ومعان تفيض حرقة وألما.. جَمُرُؤَلْظَى: أبرزت شدة الألم، ونار الفراق التي تستعري داخله.
- مليكا سيدا: فمكانة المحبوبة عظيمة عند الشاعر، فقد تربعت على عرش قلبه، فلا يراها إلا متوجّهة بتاج الملوك
والسادة.

- هَدْنِي الشُّوق: بلاغة في التعبير وانتقاء رائع للألفاظ، أبرز معاناة الشاعر، فصَرَّحْهُ تَهْدَمُ نتيجة هجر المحبوبة
وفرأها.

.اشْتَكِي لَيْلَانَهَا رَاحِبَةً: أبرز آلامه التي يمسي ويصبح عليها، بينما ذاك الغزال الشارد يلهو مع أقرانه غير آبه بمعاناته.

.فَدُكْفَانِي أَنَّنِي أَعَشَّقُهُ: الرضا والقناعة بحبها، ولو كان من طرفه فقط.

.قَرْنَةُ الزُّرُوق: تكرار أفاد توكيدا، وأثبت ارتباطا بين الشاعر وموطنه، وإشراكا له في معاناته.

.وَاحْتَسَيْنَا خَمْرَةَ الْعِشْقِ مَعًا: هيام أوصلهما لدرجة الهذيان، ونشوة الطرب.

. كَيْفَ ذَاكَ الْحُبُّ أَمْسَى خَبْرًا: تناص مع قول الشاعر إبراهيم ناجي في قصيدته، "الأطلال": كَيْفَ ذَاكَ الْحُبُّ أَمْسَى
خَبْرًا** وَحَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الْجَوَى. (ناجي إبراهيم: 33)

جاء النص في مجمله بألفاظ سلسة، ومعانٍ معبرة، فأبرز معاناة الشاعر وحرقة، مُشْرِكَ موطنه في آلامه، باثا
أحاسيسه إليه، شاكيا لوعة الفراق، وألم البعاد.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الأكرم...

الخاتمة:

بعد رحلة ماثرة بين طيّات الكتب، ودراسة وتدقيق في وجدانيات شاعرنا علي الفيتوري رحومة من خلال ديوانه "خفقات
قلب"، وبعض من قصائده المؤثقة عند رفاقه، أكون قد وصلت إلى نهاية المطاف في هذا البحث، غير مدّعٍ الكمال، ولا جازم
بالنجاح، إنما هي دراسة قابلة للصواب والخطأ، فما كان فيها من صواب فبتوفيق الله، وما وجد من خطأ، فمن نفسي
والشيطان، وقد خلص الباحث إلى التالي:

1. الشاعر برغم طبيعة عمله الذي يتطلب الحزم والصرامة: إلا أنه يملك إحساسا مرهفا، قلبا رقيقا، يحب الجمال، وينحني له.
2. تأثر الشاعر بشعراء الغزل قديما وحديثا، يتضح ذلك من الشواهد التي ذكرت.
3. الأدب الليبي جزء من الأدب العربي العريق: إلا أنه لم يلق اهتماما من الدارسين.
4. الشعر الليبي عامة مواكب للحركة الثقافية المتعاقبة عبر الأجيال، حامل لرؤى وأفكار الأمة.
5. تأثر الشاعر بنزار قباني، وهذا يتضح من خلال نصوصه الشعرية.
6. من صفات الشاعر أنه تأثر على العادات والتقاليد.
7. في ديوانه وإن كان يغلب عليه الغزل، لكنه ينوع في أسلوبه، فتارة مع الصريح نسمع الحياء والعفة، وتارة نسمع الفحش
والخروج عن المألوف، وهذا يعكس. كما أشرنا. اضطراب نفس الشاعر.

الإبداع الفني في شعر العلامة أنور شاه الكشميري



فصيل نذير

باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الملوية الإسلامية نيودلهي.

9818697294, faisalnazer40@gmail.com

تلخيص: يعرف العالم المحدث الكبير العالم الجليل أنور شاه الكشميري 1875-1933م بعلو كعبه ومكانته السامية في العلوم الإسلامية، ولكن قليلا من الناس يعلمون أنه كان يُنشد الشعر ويقرضه، ولأن طبع ديوانه ومجموعة أبياته. فعلمنا أن أبياته مملوءة بالمفردات المبدعة والمعاني القيمة. مع أنه كان لا يريد أن يُعرف كالشاعر في الأوساط العلمية وكانت مهمته الأولى والمفضل عنده هي الاشتغال بالدراسات الإسلامية مع ذلك أشعاره تهر القارئ.

الكلمات الدلالية: العلامة كشميري، الأشعار، الإبداع الفني.

قد سمعنا عدة روايات وقصص منذ طفولتنا عن هذه الشخصية الأسطورية عن حفظه وتعمقه في العلم والحديث والورع والفضل، ولكن لما رأيت إلجانب شخصيته كشاعر عربي ولما بدأت أطلع قصائده وأبياته لقد وضح لي جوانب أخرى من موهبته الأدبية وقدرته الشعرية. حينما نطالع شاعريته فقد نأى إلى نتيجة أن إنتاجاته الشعرية هي كانت بدهاء وفجأة وارتجالا، يتجلى من شاعريته لأي طالب أن يقول بأنه من أفذاذ الشعر وأعلام الأدب في الهند، مع أنه ما كان يجلس بنية أن يقرض الأبيات أو ينظم قصيدة رائعة، بل بسبب مطالعته الواسعة ومهارته المبهرة في اللغة العربية وبذوقه العالي الرفيع قال هذه الأبيات. كان يقرض الشعر أحيانا لأن وجدانه وقريحته محزونة بسبب نعي أي رفيق أو حبيب، وأحيانا يقرض الشعر ضد فتنة الارتداد والقاديانية، وأحيانا يقرض الشعر حول قضية علمية دقيقة يتردد إلى ذهنه وقريحته عن صحيح البخاري. علما بأن اهتمامه الرئيسي هو كان الحديث وأصوله ومبادئ هو الرد على القاديانية. أما شاعريته فقد انبعثت من ذهنه الخصب بأنه ملأ من العلم والأدب والأفكار، مع ذلك تعد شاعريته من أهم إنتاجات الشعرية التي أنتجها علماء شبه القارة الهندية.

والحق أن آثار الشعر العربي في الهند توجد منذ زمن قديم، علما بأن العربية ما نالت أي مرتبة رسمية من قبل الحكومة مثل شقيقتها الفارسية والأردية. ولكن العلماء والأساتذة في المدارس الإسلامي دائما قرضوا الشعر

والأبيات حيث جاء في خواطرهم. مع أن أشعارهم ما كانت تقوم على المعايير الفنية للشعر العربي كما كتب البروفيسور عبد الماجد القاضي رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بالجامعة الملوية الإسلامية في مقالة عنوانها "الشعر العربي في الهند بين الإبداع والمحاكاة" جاء فيها أن شعراء الشعر العربي في الهند قد حكوا وتقلدوا أشعار شعراء العرب. وهو يبين الفرق بين الشعراء في الهند والشعراء في العرب كما الفرق بين "النائية الثكلى والنائية المستأجرة".¹ وهو يزيد بصراحة أن أشعار الشعراء في شبه القارة الهندية هي في الحقيقة "هزل مكان الغزل بعض الأحيان".² بالرغم من هذه الانتقادات، يلزم علينا أن نقدّر إسهام الشعراء الهنود ونشجعهم على ما سعوا في هذا المجال الخطير، كما يقال: فان لم يصبه وابل فطل "أو" ما لا يدرك كله لا يترك كله".

وإنما تعد "ضرب الخاتم على حدوث العالم" للكشميري أرجوزة علمية منفردة. قال بعض النقاد إن هذه هي أطول القصائد التي قرضت ونظمت في الهند، تناول فيه العلامة الكشميري الموضوعات الفلسفية. وهي تحتوي على 256 بيتا. يقول العلامة الكشميري عن هذه القصيدة:

"هذه أبيات لي في إثبات الواجب تعالى شأنه، وقدم أسمائه وشؤونه، وحدث ما سواه من كتم العدد من عالم الإمكان، وما في غضونه وغصونه، ورفع الفاعل الإلهي، وخفض الفاعل الطبيعي وتوهية المادة واللواحق المادة ودحض المعدات والأسباب العادية، توجيه الأذهان والأذان إلى مسبب الأسباب ومالك الرقاب ذوقا ووجدانا ودليلا وبرهانا وعلمنا وعرفانا وبصيرة وإيقانا".³

ولما أنشأ الشيخ محمد إعزاز على الأمرهوي جمعية أدبية في دار العلوم بديوبند سنة 1307 هـ وكانت هذه الجمعية تتلاقى أسبوعيا في كل يوم الخميس وكان يحضر جلساتها عدة من أساتذة دار العلوم ديوبند وكان الشيخ يحدد بيتا معنا لكي ينظم كل من كانت عنده ملكة شعرية قصائد في نفس البحر والقافية والرياء. فكان الشيخ العلامة الكشميري يترأس هذه الجمعية وينشد في جلساتها أبياته بطريقته الخاصة.⁴

هو قرض قصيدة حول الشيخ قاسم النانوتوي والشيخ الغنغوي وغيرهما وقرض حول الرد على القاديانية وأحيانا يتلو المتنبي وأحيانا تماثل أشعاره بأشعار شعراء الجاهلية والمعلقات. وفي القرن الثامن عشر اشتهر غلام علي آزاد البلغرامي 1704-1786 م بسبب أشعاره في ثناء النبي ﷺ واشتهر بحسان الهند، وحين نقارن أشعاره

¹ البروفيسور عبد الماجد القاضي، "الشعر العربي في الهند بين الإبداع والمحاكاة"، https://www.nidaulhind.com/2016/05/blog-post_22.html, 2021/08/10.

² نفس المصدر

³ عبد الملك ومظفر خان الرسولفوري، العلامة محمد أنور شاه الكشميري: حياته وشعره (ديوبند: دار المعارف، 2011)، ص 223.

⁴ بلال أحمد شاه، "مسيرة علامة الهند الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في الشعر العربي"، <https://islamonline.net/34761>, 2021/08/10.

بأشعار العلامة الكشميري فنجد براعة الشعر أحسن وأبلغ في أشعار حسان الهند بلا ريب. لأنه كان شاعرا محضا، ولا يعد البلغرامي محدثا أو فقيها أو مجددا، ولكن للعلامة الشعر كان مهمته الأخيرة و للبلغرامي مهمته الأولى. يشير إليه كتاب مهمل مظفر خان رسولفوري حول شخصية العلامة أنور شاه: "هذه حقيقة لا تجحد بأن الشعر لم يكن شغله الشاغل، فلم يحفل به الشعراء المحترفون. ولم يشتغل به إلا عن دو افع من الموهبة التي أودعها الله. فكلما تغلغلت تلك الموهبة، أتت بنظم أو قصيدة".¹

والعلامة الكشميري كثيرا يستخدم ألفاظ وتراكيب شعراء المعلقات، قد يبدأ قصيدته و اقفا على الأطلال، وقد يبكي على الديار، فكما بدأ عنتر بن شداد قصيدته وقال:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مَنْ مَتَرَدَّمْ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ

يقول العلامة الكشميري:

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَكَلَّمْ فَاسْمَعْنِ وَتَفْهَمِ²

كذلك يخطو خطوة امرئ القيس ويقول في رثاء الشيخ رشيد أحمد الغنغوهي:

قفا يا صاحبي عن الأسفار بمرى من عرارٍ أو بهار

وكذلك يقول حين جاء نعي الإمام قاسم النانوتوي رحمة الله عليه:

قفا يا صاحبي على الديار فمن دأب الشحي هوى ازديار

وكذلك مرة أخرى استخدم نفس التعبير الذي استخدمه امرؤ القيس في معلقته الشهيرة "قفا نبك من ذكرى

حبيب ومنزل" فيقول العلامة في رثاء الشيخ محمود حسن الديوبندي:

قفا نبك من ذكرى مزارٍ فندمعا مصيفا ومشئى ثم مرأى ومسمعا

وقد كان دهرًا ثم دهرًا طريقي طريقه غرثم أولى فأوقعا

كذلك يقول في نعت الرسول ﷺ في وسط القصيدة:

قفا نبك أطلالا وهت أركانها أخنى عليها الدهر بالمرصاد³

والعلامة أنور شاه الكشميري كان عالما متحيزا ومتحمسا لم يستخدم براعته الشعرية للتمتع والتصفيق والتغزل والأشعار الغرامية، بل استخدم البحور والأوزان لتشريح الحديث وتفسير القرآن ولإصلاح المجتمع، ولرثاء العلماء البارزين والنخبة الممتازين من أهل العلم والفضل والكرامة. وربما هذا يعد من المعايير في الأوساط

¹ نفس المصدر، ص 190.

² مجموعة رسائل الكشميري ج 1، فصل الخطاب ص: 45.

³ عبد الملك، المرجع السابق، ص 267.

العلمية والأدبية وعند الفنان ولكن كما ذكرت، هو كان معلما ومحدثا ومفسرا ومقاوما ضد الكفر والشرك وفكرة القاديانية، أما الشعر والبحور والأوزان فقد انبعث من نفسه بسبب أن تلك الألفاظ مزينة في قالب البحور والقوافي والأوزان.

وأحيانا يأتي العلامة الكشميري بقصيدة ويأتي فيه بيت كامل من الشعراء الآخرين وبعده يستمر ببيتته، كما جرت العادة في شعراء مثل الرومي وإقبال وسعدي رحمهم الله وذلك لأن الشعر ملائم لذلك السرد، مثلا يقول في رثاء الشيخ عبد الرحمن الراي فوري نور الله مرقدته:

أَمَّا دِهَاكَ الْأَمْرِيذِي وَتَدْمَعُ وَهْلُ فِي بُكَيٍّ مِنْ مَفْزَعٍ لَكَ مَفْزَعٍ

أَعَدُّ ذَكَرَ نَعْمَانٍ لَنَا أَنْ ذَكَرَهُهُ الْمَسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوُّعُ

وَلِيَّ رُضِيٍّ سِيرَةً أَوْ سَرِيرَةً صَفِيٍّ وَفِيٍّ ثُمَّ أَرْضَى وَأَطْوَعُ¹

في هذه الأبيات المذكورة أعلاها استخدم العلامة الكشميري بيتا كاملا من أبيات الإمام الشافعي ونظم ببراعة مثالية. ففي كل قصائده نجد هكذا بأنه يستعير جملة أو فكرة أو تعبيراً، نلاحظ هذا العمل في أشعار الشيخ السعدي والرومي والعلامة إقبال كذلك. ونشاهد براعته العلمية والفنية والفكرية في أبيات قاله ضد حركة القاديانية، لأنه بكل باعه وقوته رد على القاديانية، فيبدو جودته ولباقته في هذه الأشعار يقول فيها:

صَدَعَ الصَّدِيعُ وَصَبِيحَةُ الْوَادِي لَمَنْ اهْتَدَى مِنْ مُحَاضِرِ أَوْبَادٍ

بِالْقَادِيَانِي ذَلِكَ الْآخِرُ الَّذِي أَمْسَى زَعِيمَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ

وَأَبَانَ عَنْ كُفْرِيْنِوَاءٍ بَعْصَبَةٍ وَيَبُوءُ بِالْأَغْلَالِ وَالْأَصْفَادِ

رَزَّ عَلَى دِينَ نَبِيٍّ يَهْدَاهُ خَرْفَهْلٍ مِنْ رَاشِدٍ فِي النَّادِي

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِدِينِهِ وَلَمْ يَضِلْ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ²

تعد هذه الأشعار المذكورة من أمثال "السهل الممتنع" بسبب سلاسة الكلمة ووضاحة المعنى. من أبدع القصائد التي قرضها هو ما قال بمناسبة مؤتمر عقده جمعية علماء الهند في ولاية بهار، ومما يجدر ذكره أن في كل من القصائد لا تجد ثناء أي رجل أو تقديس عالم أو تعظيم أي حاكم كما هو طريقة الشعراء المهنية (Professional Poets). بل كل القصيدة مملوءة بحمد الله تبارك وتعالى، وبثناء الرسول. يبدأ قصيدته ويقول:

الْمَلِكُ لِلَّهِ الرَّفِيعِ الشَّأْنُ ذِي الطُّوْلِ وَالتَّصْرِيفِ فِي الْأَزْمَانِ

وَقَضَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ خَفْضًا وَرَفْعًا كِفَّةَ الْمِيزَانِ

¹ نفس المصدر، ص 275.

² عبد القيوم حقاني، جمال أنور: تذكرة وسوانح (كشمير: القاسم أكاديمي، 2006م) ص 143.

لربما خال امرؤ عسرا له وبعسرته هذا له يسران
وما ترى لما عدت عن طورها غدارة اليونان والبريطان
فازداد شرفي البسيطة منهم ما كان يحكي منذ جنكيز خان
أوما تفرق عينهم أوقلهم من رحمة الصبيان والنسوان

ويتضح من قصائده أنه يأتي بقافية جيدة ومناسبة تزيد حسن الأبيات في القصيدة، لاحظوا كيف نظم الألفاظ وما أبدع وكيف رتب القوافي وما أروع، فيقول في قصيدة في مدح النبي ﷺ سماه "ضرب الخاتم على حدوث العالم" ويأتي بقوافي بيديعة ومخترة، مثل: مصطفى، المدى، هدى، اختفى، انتدى، القوى، فادر ذا، انتى، منتهى، أتى، كذا، كيف ذا، انجلى، فلا، هكذا، كذا، لما جرى، ما ترى، لوبدا، انبرى، البنى، يرى، من رعى، الرؤى، استوى، لا ولا، عرا، لمن برا، يا فتى، جدا، ههنا، من قصا، سدى، وامتنطى، اعتلى، مقتضى، وانسرى، بما حوى، لا مرى، دارة البلى، صوى، الحجى، مذ بدا، انبغى، الحجى وغيرها.

بعد قراءة قصائده الجميع يصل القارئ إلى نتيجة أن شاعريته ليست عن خد الحبيب، ولا تتكلم عن غدائر العشيق وبما أنها مستشزرات إلى العلى أو الأسفل. ولا يقرض الشعر عن سحر عين العشاق، ولا ينظم القصائد عن حاجب ليلي وسلى، بل هو يستخدم الأشعار كوسيلة علمية وأخلاقية والتسلية للطلاب ملت أذهانهم بالبحوث المغلفة والمشوشة في محاضرة صحيح البخاري والكتب الغامضة الأخرى، وهو يُلغ بها العقائد الصحيحة وينازل بها المعتقدات الباطلة، وهذه الأشياء لا تعد على مستوى الأدب العالي. لذلك هو لا يعد من أعرق الشعراء في الهند باللغة العربية عند بعض النقاد.

والحق أن من عاصره من الشعراء والعلماء يماثلونه في قرض الشعر، لأن لهم كان الاهتمام الأولى هي القراءة والكتابة للدرس النظامي والنظام الآخر، من أشهرهم الشاعر فيض الحسن السهارنفوري 1816-1887م هو أشهر من العلامة الكشميري في فن الشعر، له ديوان وقد قرض في كل الأصناف من القصيدة والغزل والرثاء، والشاعر حميد الدين الفراهي (1864-1930م) الذي قصائده تشابه بقصائد أمير الشعراء أحمد شوقي وهو شاعر له ديوان وكلاهما في أعلى مرتبة من العلامة الكشميري على المستوى الفني، كل منهم كان عالما جيدا ومعلما مجيدا.

كتب طالب العلامة الكشميري الرشيد الشيخ مناظر أحسن الغيلاني في كتاب بيان ندره حفظ العلامة:

"كان من عادة العلامة الكشميري أنه خلال المحاضرة يأتي بألفاظ صعبة أو تعبير شاق لإيضاح ذلك اللفظ يبدأ قراءة الأبيات، والجدير بالذكر، هو لا يقف بعد بيت أو بيتين بل أحيانا يقرأ كل القصيدة، ونحن الطلاب لا نفهم شيئا، فنصير مثل "شاة

الأخفش " التي لا تفهم شيئا فقط تحرك رأسها".¹

وقرض العلامة أنور شاه الشعر بكل من اللغة العربية والفارسية والأردية، ولكن كثر بالعربية. والجدير بالذكر في اللغات الثلاث قرض القصيدة في مدح النبي ﷺ، من هذا يتجلى ولوعه الرشيقي بشخصية الرسول ﷺ. أول متعرف وعرفه على شخصية العلامة الكشميري هو الشيخ سيد محمد يوسف البنوري، هو كان من كبار تلاميذه، وكان واسع النظر والفكر في الاطلاع على الشخصيات والجواهر المكنونة، فقد كتب سيرة العلامة الكشميري باللغة العربية تُعرف بـ "نفحة العنبر في هدى الشيخ الأنور".

قد راجعت نفحة العنبر في حياة إمام العصر قد كتب في صفحته الأولى: 'تحتوي حياته العلمية ومفاخره السائرة ومآثره الخالدة وشمائله الميمونة وآراء مشايخه وأماثل عصره في نبوغه وكمالاته وشيء من فوائد علومه وشعره'. ويقول العلامة في شمائل النبي ﷺ ويجيد:

تراه كحيلة وهو ليس مكحلا	رواه كذا الراوي فحق وما افترا
فما أطيب النظرين التقيا معا	وأطيب بعهد إذ يراك وإذ ترا
وهذا حديث الترمذي موثق ي	وليس جزا فاما أقول فيمترا
رآه صحابي فقابل بדרه	فلم ير بدرا منه أحسن منظرا
وأجمل خلقا في الزمان محاسنا	وأحسن خلقا ما رأيت ولن ترا
وكان فخيما بادئا متماسكا	أنج صبيح اللون أبيض أسمرا
إذا مر شعبا من شعاب مدينة	تضوع مسكا أو عيبرا وعنبرا
رجوت رسول الله منك شفاعا	ليوم عظيم اكفهر وقمطرا ²

كما ذكرت آنفا، قرض هذا الأديب الأريب اللبيب أشعارا في اللغات الثلاث أي العربية والفارسية والأردية. وإنما ملكته المهيرة تتجلى في أبياته العربية، وعالج فيها القضايا الدينية والإسلامية. وإن أبياته العربية أكثر بكثير ربما يظن القارئ أنه شاعر محض، في محاضراته وكتابات ورسائله يستخدم الأبيات بسلاسة وبغزارة. من ميزة أشعاره هو لا يستخدم الكلمات الغريبة والتعابير الركيكة. هو يستخدم الكلمات السهلة وكثيرا يحول أبياته إلى ما نقول "السهل الممتنع". وأنا بنفسني وجدت أبياته تجدر أن تدرس في مستهل الفصل العربي للمبتدئين خاصة أبيات التي قرضها في مدح الرسول ﷺ.

¹ سيد مناظر أحسن غيلاني، احاطه دار العلوم مينيته بونجند دن (ملتان: إدارة تأليفات أشرفية، 1418هـ) ص 103.

² عبد الملك، المرجع السابق، ص 211-213.

وإن أشعاره تتميز بحسن التراكيب وإنسجام الكلمات وتنوع المعاني، والموضوعات التي تناولها في أبياته هي الحمد ونعت الرسول، والمراثي والقصائد، والحكم والأمثال وغيرها، إنما قصائده تتصف بروعة وعذوبة وإبداع. والجدير بالذكر أن أستاذ دار العلوم بديوبند السيد محمد إدريس القاسمي ألف كتاباً باسم "حكمة الشعر" وشرح فيه باللغة الأردية "قصيدة أخلاقية مناجاتية" للعلامة هي تشتمل على 71 بيتاً، وطبع هذا الشرح من "مطبع قاسمي" عام 1336هـ.¹

وقال الدكتور حامد علي خان في بحث الدكتوراه الجامعية التي تم تقديمها في جامعة علي جراه الإسلامية، أترا براديس سنة 1962 حول الموضوع "الأشعار العربية في الهند" يقول فيها "قد اطلعت على أكثر من 747 بيتاً"،² مع أن يوسف البنوري ذكر 217 بيتاً.

يقول أديب إنكليزي ويليام وورد وورث (William Wordsworth) (1770-1850م) حينما سأل أحد ما هو الشعر؟ فقال: "الشعر هو سيلان تلقائيللمشاعر القوية".

(Poetry is the spontaneous overflow of powerful feelings) نظراً إلى ما قاله هذا الأديب الإنكليزي، العلامة الكشميري أيضاً قرض الأشعار حينما غلب على طبيعته مشاعر الفرح والسرور ومشاعر الضغط والاسترخاء.

يحلل الدكتور محمد شاهد في أطروحته الدكتوراه التي قدمها في سنة 2005م تحت إشراف البروفيسور فيضان الله فاروقي في جامعة جواهر لال نهرو حول موضوع "دراسة تحليلية للشعر العربي في الهند من 1850م إلى 1950م"³ يقول في أطروحته:

"ومن خلال مؤلفاته يبدو الشيخ الكشميري كاتباً قديراً. ولكنه مع ذلك كان شاعراً مفلحاً. وينحدر من أسرة ذات العلم والشعر. كان أبوه شاعراً مجيداً بالفارسية. كذلك كان أخوه الأكبر أشعر أهل كشمير بل كان أشعرين كثير من معاصريه. وللشيخ أنور شاه مقدرة على قرض الأبيات وصياغتها بدقة وروعة. مما يدل على مقدرته اللغوية وسليقته الشعرية، قصيدته "ضرب الخاتم في حدوث العالم" التي تشتمل على 400 بيت".⁴

¹ حكومة الهند، "شودهغنغا" <https://shodhganga.inflibnet.ac.in/handle/10603/73898> 2021/08/10

² أطروحة حامد علي خان، تم تقديمها عام 1962، بالجامعة علي جراه، الهند. ص 269

³ أطروحة محمد شاهد https://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/31034/1/01_title.pdf 2021/08/10

⁴ نفس المصدر، ص 190.

تلخص الشيخ يوسف البنوري عن شخصيته العبقريّة في هذه الفقرات الآتية:

"وإذا استشرف أحد إلى شعره لحسب أن الشيخ قدس سره لم يبرح عاكفا في سبك الشعر وصياغته، فإن قريضه ونشيده يبلغ إلى آلاف بيت، فله شعر في بعض ضوابط الفقه الحنفي على نحو الأراجيز، وشعر في بعض معارف الحديث، وشعر في شتات مسائل العلوم، ورسالة منظومة في مسألة وجود الصانع الحكيم وحدوث العالم من علم التوحيد والكلام، وشعر في مديحة رسول الله، وشعر في الحكم والأمثال، وشعر في الحقائق، وشعر في رثاء بعض شيوخه، وشعر في الأسف على العهد الغابر وعلمائه، وشعر في مديحة بعض أمثال معاصريه في ضمن بعض مكاتيبه إليه. ثم كل ذلك بكاء واستياء، وأدب وحكمة ومثال... والده شاعر مجيد في الفارسية، وقد أسلفنا من قبل أن أخاه الأكبر كان أشعر أهل كشمير بل أهل عصره، وثلاثة نفر من إخوانه كلهم شعراء بالفارسية، فكان الشعر خلط بلحمه وسبط بدمه"¹.

حينما نفكر عن أبيات العربية في العصر الحديث في الهند فيخطر ببالنا أسماء العلامة حميد الدين الفراهي 1930-1864م، والعلامة فيض الحسن السهارةفوري 1816-1887م، والشيخ أنور شاه الكشميري 1933-1875م، غلام علي آزاد البلغرامي 1704-1786م، والمفتي محمد عباس اللكنوي، ونواب صديق حسن خان 1832-1890م، والمفتي ذو الفقار عليالديوبندي 1904م، والعلامة فضل حق الخير آبادي 1797-1861م، وعبد العزيز الميمني 1888-1978 موقد قرض هؤلاء الشعراء كثيرا من الشعر باللغة العربية. وحينما ندرس أبياتهم دراسة مقارنة فنجد أنهم جميعا كانوا يتناولون الموضوعات تتعلق بالحب مع الرسول والحمد لله والثناء والقصيدة. أمامولانا حميد الدين الفراهي ومولانا فيض الحسن السهارةفوري فلهما ديوان في الشعر العربي وقد تناولوا الموضوعات التي تعتبر جيدا في الأشعار والأبيات أي من الغزل والمغازلة والقصيدة في الحب والمحبة في أبياتهم. ولكن العلامة الكشميري لم يمش هذا الوادي، بل حصر مشيه في الشعر إلى الموضوعات الدينية والعلمية والإسلامية.

كان العلامة الكشميري كثير المطالعة والدرس، فقريحة العلامة أنور شاه الكشميري قريحة خصبة جوادة وفياضة وخلاصة، فكان شعره بجملته سجلا للتاريخ قديما وحديثا، بسبب أبياته نعلم عدة شخصيات كبيرة ربما نسيناهم وفضلهم.

فخلاصة القول إن شاعريته هو من أبدع نموذج الموضوعات التي تناول شعراء ذلك العصر، وإنما أبياته

¹ محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري، نفحة العنبر في هدى الشيخ الأنور (كراتشي: المجلس العلمي، 1969م) الطبعة الثالثة، ص 177-178.

تنعكس فيها المجتمع من ذلك الوقت وأشعاره مرآة، وربما لاعتبر من أشعر الشعراء لو تناول الموضوعات المتنوعة مثل موضوعات الحب والفراق والعشق والهيام، كما يقول الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يُزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

المصادر والمراجع

1. الكشميري، أنظر شاه مسعودي، نقش دوا، المطبع: شاه أكاديمي، ديوبند، ولاية أتر ابراديش (الهند) الطبعة الثانية 1996 م.
2. البنوري، الشيخ محمد يوسف، تحفة العنبر، طبع في معهد الأنور، شارع العلامة أنورشاه الكشميري، قرب المصلى، بديوبند، أتر ابراديش (الهند) الطبعة الرابعة (عام الطباعة غير مذكور).
3. الكشميري، العلامة مولانا محمد أنورشاه، مشكلات القرآن، (وقام بتحقيقه: مولانا محمد يوسف البنوري) طبع في مطبعة علمي بريس (ماليكاؤن)، الطبعة الثانية، (عام الطباعة غير مذكور).
4. الحسني، العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر، ج8، ص: 90-94، مكتبة دار عرفات، دائرة الشيخ علم الله، رائبريلي، الهند، عام 1993 م الموافق 1413 هـ.
5. الندوي، د. مظفر حسين، مساهمة علماء كشمير في اللغة العربية، المكتبة الندوية، سري نغر، كشمير، ص 115-2004 م.
6. الرسولفوري، عبد الملك مظفر خان، العلامة محمد أنورشاه الكشميري حياته وشعره، دار المعارف ديوبند. 2011 م.
7. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، مصر 1959 م.
8. البلكرامي، غلام علي آزاد، سبحة المرجان في آثار هندوستان، معهد الدراسات الإسلامية جامعة عليكراه الإسلامية 1976 م.
9. الفاروقي، د. زبير أحمد، مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي دلهي الجديدة 1990 م.
10. مجلة الداعي الصادرة من ديوبند عدد خاص السنة 4، مارس وإبريل 1980 م.

تعليم السيرة النبوية للأطفال "دراسة موجزة"

محمد اسحاق

باحث بقسم اللغة العربية وآدابها
جامعة غلام شاه بادشاه راجوري، جامو وكشمير.
ishaqbgsbu97@mail.com



Abstract: Writing the biography of the Prophet is not an ordinary kind of writing, but rather it is the work of lovers of this fragrant and enlightening biography, and the importance of this topic increases particularly when it is directed to children and budding people, as it is the ideal way and the first and basic step in raising the young generation on fine human values. The life of Prophet (PBUH) is the divine method of guiding people, as God made him a human role model. Seerah literature for children is a beautiful, effective, and sincere literary expression which is inspired by the values, principles and creed of Islam, that may help immensely in a building the child's personality mentally, psychologically, emotionally, behaviorally and physically, and contribute to the development of his perceptions in accordance with Islamic educational principles.

الملخص: إن كتابة السيرة النبوية ليست عملية كتابة الكتب أو صياغة الأدباء ولا جهود المؤرخين ولا اقتراس الشعراء بل إنه عمل العاشقين لهذه السيرة العطرة، علينا أن لا نكتفي بدراساتي لسيرة النبي عليه الصلاة والسلام في الأدب العربي والأردني أو إلى غيرها، بل نحتاج إلى اهتمام خاص للأدب الأطفال في الآداب، ويتبين أن هذا الموضوع ذو أهمية بالغة في عرض الطريقة المثلى والخطوة الأولى والأساس في تربية أبناء الأمة، وهي الطريقة الربانية لهداية الناس، إذ جعل لهم قدوة بشرية، وعلمهم الاقتداء بها، وهي في جملتها أهداف تربوية وتعليمية وفنية، ويعرف بأنه التعبير الأدبي الجميل المؤثر الصادق في إحياءاته ودلالاته والذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقلياً ونفسياً ووجدانياً وسلوكياً وبدنياً ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية وقدراته المختلفة وفق الأصول التربوية الإسلامية.

المدخل:

إن السيرة النبوية من أهم الروافد التي تسهم في بناء شخصية الطفل المسلم وتشكيلها بحيث

استواء وتكاملا في شخصيته شابا ورجلا مؤثرا في جماعته بفضل حسن إعداده وتكوينه، كما أننا لا نريد أن نفصل القول في أهمية التعليم في الصغر، ومدى ما تلعبه القيم الأولى التي يستقبلها الطفل في حياته كلها، وإنما نعني في هذه الدراسة بأهمية السيرة بالنسبة للطفل المسلم الذي لا شك أنه يمر بمراحل عمرية يتشكل فيها وعيه بمن حوله وما حوله، وأن طبيعة الطفل القابلة للتشكيل الفكري والروحي والعقلي تحتاج إلى إحسان الغرس في هذه التربة البكر، وإتقان التشكيل لهذه العجينة الرخوة.

والسيرة النبوية للأطفال ذو أهمية بالغة، ولذلك كانت شخصية النبي محمد ﷺ أول شخصية عني بها الكتاب المسلمون على مر العصور، فكتبوا عنه باللغات المختلفة، وهذه الأهمية نشأت من بناء الإيمان الأصيل بأن الله جعل محبة النبي ﷺ جزء من الإيمان، وقال الله تعالى عز وجل: "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين" (القرآن، سورة التوبة: آية 24).

كما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (رواه البخاري).

وهذه الأهمية البالغة للسيرة النبوية في حياة المسلم المؤمن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة وتوفر الله سبحانه وتعالى عز وجل لحفظ السيرة والسنة بأسرها، كما تيسير الأسباب لحفظ كتاب الله المنزل عليه الصلاة والسلام، ومحمد ﷺ هو الخاتم الرسالة ورسالته هي الرسالة الخاتمة.

واهتمت المجتمعات المسلمة بترسيخ حب النبي ﷺ في قلوب الأطفال الصغار، ولكن الأمر المهم لتحقيق هذا الهدف النبيل بأن تغرس محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال بعرض السيرة المطهرة بصدقها وواقعيتهما، بطريقة مناسبة ومشوقة للطفل، وإن كان القرآن الكريم بما يحمل من قيم خلقية وفكرية وجمالية يعد من أول المكونات لشخصية الطفل المسلم، فإن السيرة النبوية بما تحمله هي الأخرى من قيم دينية وإنسانية تعد مكونا له خطورته هو الآخر إن أحسن تقديمها لذلك الطفل.

النثر الفني للأطفال في السيرة النبوية:

فمن المهم أن النثر الفني في السيرة النبوية للأطفال يراعي غاية أولى من بعثة محمد ﷺ، والمنهج المبين في دعوته، حيث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" (رواه أحمد وابن حبان).

فيجب تغريس مكارم الأخلاق في الأطفال خلال هذا النثر الفني، ولا يمكن اتمام مكارم الأخلاق في شخصية الطفل حتى يعرف ويتجنب من العادات السيئة فيجب على الكاتب أن يساعد الطفل ادراك معركة الخير والشر في الحياة، لأن الحياة ليست خيرا محضا أو شرا محضا إنها عبارة من صراع الخير والشر ولا يصح أن نخدع الطفل بأن نجعله يعيش فيه وهم كاذب، ومن الأفضل تربويا أن يعرف صراع الشر والخير في الحياة.

فبيان الشر في هذا النثر الفني لا بد أن لا يؤدي الإيغال فيه، والغوص المغري في تفاصيله، فقوة الإرادة عند الطفل الذي لم تكتمل تجربته، ولم تتحد مواقفه ضعيفة ناقصة، وقد يجره ذلك إلى متهاتات واضرابات تلوث صفحته البيضاء، وتوقعه في كثير من الحيرة والبلبة، لكن هذه كلها أمور يمكن ضبطها بمقاييس التجربة الإسلامية، ونتائج الدراسات النفسية والتربوية التي توصل إليها المخلصون من العلماء، والحاصل بأن الطفل بعد قراءتها يكره النشر ولا يميل إليه قط، ويجب الخير ويسعى له، ويفهم أن الباطل كان زهوقا.

فهمه التربية الاجتماعية تساعد على خلو المجتمع من الأمراض الاجتماعية، مثل الجريمة والحسد والحسر والبغضاء والعقوق وقطيعة الرحم، ويربط الطفل مع أطفال المجتمع برباط الأخوة والألفة والمحبة، ويسودها التراحم والتعاطف، ويغلب عليها الإيثار والكرم وصلة الرحم، والشفقة على الصغير واحترام الكبير.

ضرورة السيرة النبوية للأطفال

ففي السيرة النبوية خير زاد لإعداد الأطفال إعدادا سليما يعود بالنفع على المجتمع، فمن خلال السيرة النبوية يمكن أن: نصل الأطفال بماضيهم، ونعرفهم باللحظات المشرقة في تاريخنا، فيجمع بين أطفال الأمة تاريخ مشترك يعتزون به، ويجمعهم هدف واحد يسعون إلى تحقيقه، ويتمثل هذا الهدف في إعلاء الأمة، والنهوض بالمجتمع، من خلال التعرف على إيجابيات الماضي والحاضر وتلافي السلبيات، إن إحساسا ما بالفخر لامتلاك تاريخ مشترك حافل بالأحداث والتطور الحضاري يورث الطفل إحساسا آخر بالثقة في النفس لتجذر ماضيه في العمق التاريخي.

وفهم الأطفال بشخصية الرسول ﷺ (النبوية) "من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقرية بين قومه، ولكن قبل ذلك رسول الله ﷺ أيده الله بوحى من عنده وتوفيق من لدنه، وفارق كبير بين المفهومين في عالم لا يقدر سوى العلم

والتجربة سبيلا إلى المعرفة.

ويزداد فهم الأطفال للقرآن الكريم، فالسنة "هي التفسير العملي للقرآن الكريم، والتطبيقي الواقعي، والمثالي أيضا للإسلام، فقد كان النبي ﷺ هو مفسرا للقرآن الكريم، ومجسما للإسلام، وفي ذلك جمع بين مصدري التشريع الأولين وتأكيده ردا على القرآنيين على أهمية السنة النبوية ومكانتها. ويتعلم الأطفال القيم الأخلاقية الفاضلة "فحياة النبي عليه الصلاة والسلام كانت حياة جهاد وكفاح، وكانت مثالا تطبيقيا للقيم الأخلاقية الفاضلة التي تتناول الصدق والأمانة التضحية والبر والرحمة والوفاء والخير والنظافة والإنماء العطف والتواضع وغيرها من الأمثلة الحية للأسوة الحسنة والقُدوة الموجهة الصالحة، للإقتداء بها في كل زمان ومكان، وهذا التكريس لمعنى القُدوة أمر لازم في واقع يتنافس فيه شياطين الإنس بتقديم النماذج الشائنة والمنحرفة بوصفها قُدوة بديلة وأسوة جديدة.

ولهذا الأثر العظيم الذي تركه السيرة في نفوس أطفالنا، كان لابد من حمل الأطفال على قراءة كتب السيرة، وجعلهم يقبلون على قراءتها، وهذا لا يأتي إلا من خلال صياغة جديدة للسيرة النبوية فكتب السيرة تعتمد على تاريخ الأحداث، وتهتم بالسند وتزخر بالمفردات الغريبة، وتخلو من عنصر التشويق، وتسم بالطول، وكل هذه العوامل تجعل الأطفال يغزفون عن قراءة كتب السيرة، إذ يجد الكثير منهم نفسه إزاء نصوص غريبة مفهومة، بعد العهد بينه وبينها زمنيا ولغويا.

كتب السيرة النبوية للأطفال

لا يمكن أن نحدد كتابة السيرة بالزمان والمكان، ولا يخص بالأدباء والكتاب إنها عملية تنبع بحب النبي ﷺ في بقاع العالم، وأدب السيرة النبوية له أهمية بالغة في كل الآداب العربية والأردية والفارسية والإنجليزية وغيرها من الآداب المختلفة، فقد ألف فيه كتب كثيرة منذ زمن مبكر، فالسيرة النبوية هي الدين نفسه، فكتابة حياة النبي ﷺ هي كتابة قصة هذا الدين، إن قصة السيرة هي النموذج الأمثل لكل أب ولكل ابن، ولكل مرب ولكل معلم.

ولكن قد اهتم كتاب السيرة للأطفال كثيرا في هذا المجال في العصر الحديث، ومن أهم الأدباء الذين حاولوا كتابة السيرة للأطفال في الأدب العربي هم: عبد الحميد جودة السحار، عبد التواب يوسف، سيد علي قطب، محمد صديق المنشاوي، أبو الحسن الندوي، حامد عوض الله، وكذلك إهتم كتاب السيرة في الأدب الأردني والفارسي والانجليزي وآداب أخرى اهتماما كثيرا بالسيرة النبوية للأطفال بأسلوب ممتع وسهل.

ومن هؤلاء الأدباء والكتاب الذين ساهموا مساهمة في مجال السيرة النبوية للأطفال كما يلي:

- محمد بيومي كتابه "كتابه الصغير عن وفاة النبي ويقصد به" بما قال: هذه الرسالة عن وفاة الرسول ﷺ خاتم النبيين أن لا نبي بعده ورسالته خالدة قيمة إلى يوم القيامة.
- والشيخ محمد الصائم الذي كتب في قصة "هجرة الرسول للأطفال" يعنى الذي ألقى فيها هذه الحادثة العظيمة التي غيرت مجرى التاريخ وهي قصة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يعرف الأبناء الأعزاء جهود النبي ﷺ وأصحابه من أجل نصرة دين الله، وركزت فيه الشيخ على العلاقة بين شخصيات كفار قريش وبين شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام، حتى يعرف الطفل على دينه والوقوف لأجله ضد الكفار الحاقدين.
- عبد اللطيف عاشور غزوات الرسول للأطفال مبينا فيها كيف ومتى أذن الله لنبيه بالجهاد والقتال للدفاع عن الدين والمسلمين، وذكر فيه الغزوات وأسبابها المهمة وخاصة تذكرة شجاعة الصحابة أثناء الحرب وسلوكهم تحت قيادة وسولهم الكريم، وبين بذلك أن الإسلام ليس دين حرب وقتال بل دين الرحمة والمحبة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

رواه البخاري (15)، ومسلم (44).

السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، دار المعارف ط 1988 م.

فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، لبنان ط 10، 1991 م.

السيرة النبوية، سعيد جوفي، المجلد الأول.

حياة محمد في عشرين قصة، عبد التواب يوسف، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2000 م.

منهج التربية للطفل، ممد نور سويد، مكتبة المنار، الكويت، 1407 هـ.

كيف تتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، يوسف القرضاوي، دار الوفاء والنشر والتوزيع ط 3، 1990 م.

الأدب القصصي للطفل (مضمون اجتماعي نفسي)، محمد السيد حلاوة، مؤسسة حورس 2000 م.

أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائله، هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

سلسلة، "قصص السيرة"، عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة.

أمانة الكلمة



الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي
الدوحة دولة قطر

الإنسان جبل على فطرة التواصل فهو حيوان اجتماعي بطبعه ولم يخلق ليعيش وحيدا فريدا ، ولا يقدر كذلك أن يعيش في عزلة وهو مرتاح منبسط .

فاللسان والنطق والكلمة هي من إحدى أساسيات التخاطب وأهم وعاءات التواصل فهي تحمل تأثيراتها الايجابية والسلبية على المخاطب عند التفاعل وإبداء الأحاسيس والمشاعر، عند مخاطبة الناس وتربية النشء والأجيال وتهذيب العقول والأفكار وتربية. فانطلاقا من هذا الأساس كانت الكلمة وما زالت وستظل أمانة في عنق من يتبوأ ويسعد بمكانة تقديمها وإلقائها ونشرها سواء كان ذلك عن طريق اللسان أو عن طريق القلم أو غيرها من الوسائل الأخرى فيجب على من يصل الى هذه الدرجة الرفيعة والى هذه المكانة العالية أن يتأهل ليقود الناس ويربي الشعوب والأجيال الناشئة فهي بدون ريب مسؤولية حساسة يجب على من يقدم نفسه لها أن يكون على قدر المستوى وعلى رفعة المسؤولية لأنها أمانة النبيين وأصحابهم والمصلحين فيما بعدهم عبر القرون والدهور وما مرت بها من أجيال البشرية .

فقد قيض الله تبارك وتعالى الأنبياء والرسل رضوان الله عليهم ومن ثم العلماء والمصلحين ليتربعوا على عروش الهداية والإصلاح وتهذيب النفوس وتزكية الأرواح فكانوا خير وأجدر تأهيلا وتحملا لهذه المسؤولية العظيمة ضحوا أنفسهم ووقتهم وأعمارهم وخصصوا كل جهدهم لأجل تحقيق هدف نشر القيم العليا وبث الأقدار الانسانية الخلقية الشريفة النزهة وتربية النفوس وتهذيب الأخلاق وتأسيس القيم العليا وتثبيتها في القلوب والنفوس. وقد استناروا من التوجيهات السماوية والإرشادات الإلهية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون المختارون من الله لإصلاح الناس ولإبقاء البشرية في دائرة الإيمان والإنسانية .

وكان الهدف وراء بذل كل جهد وتقديم كل تضحية بأن لا تترك البشرية تفلت من القيم الخلقية النبيلة وتهوي الى الحضيض فالكلمة الطيبة تحمل تأثير الترياق في نفوس مخاطبيها كما أن العكس كذلك صحيح " الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب

الله الأمثال للناس لعلمهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار¹ .
وقد كانت البشرية في خير كثير ما دامت قد عرفت الخير والشر وميزت بين الحق والباطل واحترمت القيم الانسانية الخلقية النبيلة . ولم يكن أصحاب الكلمة القاء وكتابة طبعا ونشرا الا العلماء والمصلحون وأصحاب الفكر الأصيل والثقافة العالية والذين كانوا يشعرون أهمية وأمانة الكلمة وكانوا يحسون المسؤولية العظيمة لصدقيتها ، وكانوا يدركون مدى حساسية تأثيراتها الايجابية والسلبية على الفرد والأسرة والمجتمع ، مدركين نتائجها الباهرة ومخارجاتها المفيدة اذا صح استخدامها وصدق قائلها وأمن على قولها وبيانها ونشرها. وكذلك تأثيراتها السلبية الهدامة بل والكارثية في كثير من الأحيان على المتلقين إذا لم يشعر صاحبها أهمية المسؤولية ولم يصدق في بيانها ولم يأتمن في نشرها وإيصالها الى الناس على الوجه المطلوب .

إن التطور التقني الهائل للعصر الحديث اذا جلب لنا خيرا كثيرا من الرفاهية والتسهيلات في جميع مرافق الحياة وخاصة في مجالات الاتصالات والمواصلات والتواصل عبر التنمية العامة والوعي الصحي والطبي والتطور في الاهتمام بالمرافق عن طريق الاكتشافات والايجازات الجديدة العديدة كل يوم التي تجعل حياة البشر مرفهة في كثير من الميادين وفي كثير من المجالات العلمية والعملية بتحديثات جديدة وتقنيات عالية مستحدثة. والمستهدف الأكبر في كل هذا بطبيعة الحال هو الانسان بفكرة العولمة والثورة في وسائل الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي حيث أن الشبكة العنكبوتية قد حولت العالم الى غرفة صغيرة وهو ما يسمى بالعولمة والتي حشرت العالم في غرفة ترى عبرها كل شئ وتطلع خلال دقائق وثوان ما يحدث في أي ناحية من نواحيها وما يستجد فيها . فالإعلام ووسائل التواصل بشق أنواعها وكثرة مصادرها جعلتنا موجودين في كل مكان وفي كل لحظة .

ولكن هذا التطور الهائل بل المذهل في وسائل الاتصال والتواصل ، والوصول السهل الى جميع أنواع المعلومات وامتلاء الشبكة العنكبوتية من كل ايجابي وسلبي ، وتوفر هذه الايجابيات والسلبيات بكل خيرها وشرها للجميع دون قيود أو شروط جعل الكثير يدلي بدلوه ويكب ما عنده ، وقد ينثر سموم العنصرية والطائفية وبالتالي فيعرض المجتمعات الانسانية والأبرياء من الناس الى الخطر . فمجزرة نيوزيلندا خير مثال على ذلك حيث قتل العدد الكبير من الأبرياء بدم بارد على يد طائش مجنون كان مدججا بسلح العنصرية الصليبية كما أنه كان مدججا بالأسلحة الرشاشة لقتل الأبرياء من البشر الذين كانوا ينتمون الى فئة دينية معارضة له فكان الاتهام على وسائل الاتصال موجها ومباشرا والتي استغلها واستخدمها ونشر هذه المجزرة الهمجية الشنيعة المخيفة حية عبر الفيس بوك ليشاهده العالم المتمدن في القرن الواحد والعشرين . فقد يتسأل المرء كيف يصل الانسان الى هذا الحد من اللاانسانية والوحشية والهمجية والبربرية بأن يستهدف فئة من البشر ويهدف القضاء عليهم ولا يجد في نفسه قوة

¹ سورة ابراهيم الآية رقم - 25 ، 26 .

وقدرة أن يتحمل عقائد وآراء وتوجهات و أفكار الآخرين ويتخذ القتل والتدمير والتخريب وسيلة لغلبته وفرض عقائده وآرائه وتوجهاته فهذا خلل كبير في التربية الانسانية وهوة سحيقة لنظرية التعايش السلمي بين جميع فئات البشرية عبر جميع بقاع العالم دون النظر الى عقائد و أفكار وآراء وأديان الآخرين وشقة خطيرة في أساس التسامح البشري والحب والسلام والوئام الذي يقتضيه بالوجوب لإستمرار وتواصل ودوام الحياة الانسانية فكل من البشر يملك حقوقا متساوية في جميع الضرورات والحاجات الأساسية فمن هذا المنطلق يجب على العلماء والمربين والمصلحين والمثقفين وأصحاب القرار وخاصة أصحاب التأثير والكلمة بأن يهتموا بهذا الجانب الانساني الأساسي والتربوي المهم والا فإن هذه الفترة التي تتميز بكثرة وسائل التواصل السريعة سوف تنتج عن الفوضى الخلاقة المدمرة لن ينجو منها أحد من الصالح أو الطالح { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم }¹

من هنا فإن المسؤولية تتضخم حجمها على أصحاب الكلمة والكتاب وأصحاب الفكر والثقافة و التربية والصحافة والإعلام بأن يكونوا على قمة المسؤولية في كل ما يكتبونه وينشرونه سواء عن طريق الإذاعة والتلفزيون أو عن طريق الوسائل المرئية والمقرؤة من الجرائد والمجلات أو ما يكتب في وسائل التواصل الاجتماعي الكثيرة من الواتس أب أو الفيس بوك أو غيرها الكثير من الوسائل والغروبات . فليس ببعيد أن ننسى بما لعبت هذه الوسائل من أدوار في الربيع العربي وما تمخضت عنها من النتائج الجيدة والسيئة والحروب والفوضى والقتل والدمار ، ومن ثم ما أدت الى مآلات خطيرة ومؤامرات من بعض الجهات والدول وصرف المليارات من الدولارات لإجراء الربيعات المعاكسة أو الثورات المضادة والتي أدت للأسف الشديد الى المزيد من القتل للأبرياء من الأطفال والنساء وكبار السن وإقامة مجازر للأبرياء والمعصومين وتهجير الملايين سواء كان ذلك في سوريا أو مصر أو اليمن أو ليبيا وغيرها من البلدان فكان الهرج والمرج ، والمتهمون في هذه المعادلة كانوا هم المسلمون ، وهم من كانوا ضحية لهذا الإرهاب فسميها شئت ولكن الضحية هو الذي كان المتهم فإله المستعان واليه المشتكى و كنا كالسهم إذا أصابت مراميها فراميها أصابا فرؤية الى هذه الطامة نقدر أن نخمن حجم المسؤولية التي تعود الى الذين يقدمون أنفسهم لهذه المكانة لنشر الكلمة .

يسرنا ويفرحنا من هذا المنطلق بأن أختانا الأستاذ الدكتور معراج الدين الندوي قد شعر بمسؤولية الاصلاح ونشر الكلمة الصادقة الحق في خضم بحرما يطرح وينشر فأصدر مجلة عربية أدبية محكمة دولية شهيرة سماها " مجلة التلميذ " حيث أن اسمها يشير إلى ما يهدف اليه من تربية الناشئة وتثقيف جيل الشباب وتصحيح الفكر وإحقاق الحق وإبطال الباطل ونشر المنهج الاسلامي الوسط الذي يدعوا الى احترام جميع الأديان

¹ سورة النور الآية : 63 .

وتقدير جميع الثقافات وتثمين الآراء وتحمل الخلاف والاحترام المتبادل والتسامح الشامل والتعايش البشري السلمي العام واعتراف الحقوق المتساوية لجميع البشر دون فرق أو تمييز فإذا تحقق شئ من هذا فسيكون في نفسه انجازا باهرا .

فخرجوا أن يوفقه الله لمزيد من العمل والعطاء في مجالات العلم والأدب والثقافة وخدمة اللغة العربية وخدمة الكلمة الحقة عبر مجلته وشتى أنشطته . فهذا ستتخرج ان شاء الله ناشئة وينهض جيلا يكون ملما بهذه اللغة العالمية ويستفيد عبرها على علوم وفنون وثقافات العالم على وجه العموم وأوضاع وأحوال وثقافات العالم الاسلامي على وجه الخصوص ويتخذ الوسطية الاسلامية منهجا لها في مسيرتها للحياة وينيرها دروب الآخرين كذلك فنحن بدورنا لا يسعنا الا أن نثمن جهوده ونقدر مساعيها لأجل النهوض بالناشئة الاسلامية والجيل الجديد ومسيرته المستمرة المتواصلة لأجل تقديم الخدمات في شتى مجالات العلم والعمل والفن والأدب والثقافة والدعوة الى الوسطية والى الخلق النبيلة العالية فسوف تثمر هذه الجهود ثمارها وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وسنرى مخرجاتها ونتائجها الباهرة في القريب العاجل .

كما لا يسعنا كذلك أن نشكر جهود المثقف الكبير الأستاذ الدكتور أصغر حسن سامون حفظه الله تعالى الذي يتفضل فيشمل برعايته الكريمة واشرفه الميمون لهذه المجلة العربية العلمية والأدبية والثقافية والدعوية والاصلاحية فيقف الى جانبها في كل صغيرة وكبيرة ويشد ازرها ويزيل العوائق من طريقها ويجعل مسيرتها سهلة سلسلة مستساغة بالوقوف صامدا للدفاع عمن يتحداها فجزي الله خيرا ووقفهم للمزيد من الرقي والتقدم والعطاء فهذه الجهود اذا خلصت في النية والجهد والعمل ستكون مؤثرة في حياة من استفاد وتاجا على رؤس الجاهدين والباذلين لمثل هذه الأعمال والإنجازات وستخلد ذكراهم انشاء الله تعالى فنعم ما قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

وما من كاتب الا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

وقال أحد الشعراء الآخرين

كتبت وأيقنت يوم كتابتي أن اليد تفنى ويبقى كتابها

فإن كتبت خير اتجزى بمثله وإن كتبت شرا عليها حسابها

والله ولي التوفيق .

كتبه الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي

نزىل الدوحة دولة قطر

الرؤية الفلسفية في حل مشكلات التنمية الاجتماعية



د. فاطمة صياد

أستاذة محاضرة بقسم العلوم الاجتماعية ،
جامعة حسية بن بوعلى الشلف (الجزائر)

sayedfatima81@gmail.com

Abstract : Development and socialization issues among individuals revolve around the intellectual and ideological nature of any society in addition to the philosophical principles. This last one is a style and a method of organized thought. It is an epistemological thought before being a logical intellectual structure that goes according to a specific system based on various problematic. Further more, it provides us with strategic developmental solutions in various social domains.

In the light of what has been said, this paper aims at answering the following question: What are the intellectual, scientific, and cultural philosophical bases that pave the way for social development? Bearing in mind that philosophy is a set of basic values and principles that are interrelated to form complicated samples the individual relies on to solve his social issues.

Key words : Social development- philosophy- developmental solutions- values and principles.

ملخص: إن مشكلات التنمية والتنشئة الاجتماعية بين الأفراد تتمحور في الطابع الفكري والايديولوجي لأي مجتمع، من معتقدات فكرية، وتصورات ذهنية، ومبادئ فلسفية، فالمبدأ الفلسفي أسلوب ومنهج وطريقة للتفكير المنظم، وهو هيكل فكري منطقي يسير وفق نظام معين كما يبني على ظروف وإشكالات متعددة، ليقدم لنا حلولاً تنموية استراتيجية في مختلف الميادين الاجتماعية والمعرفية.

الكلمات المفتاحية: التنمية الاجتماعية، الفلسفة، الحلول التنموية، القيم والمبادئ.

تعتبر الفلسفة أصل العلوم والمركز الأساس للمعارف الإنسانية، فقد اهتمت الفلسفة بطبيعة العقل والأحداث والوظائف الذهنية، واعتبرت أن العقل والجسد هما كائنين وجوديين منفصلين مادياً ومتصلان وظيفياً، مما يجعلها تبحث في الآليات الفكرية للعملية العقلية وطريقة التفكير الإنساني في المجتمع، ومن هنا يحتاج الأفراد إلى مجموعة من المسلمات والفرضيات الذهنية والمنطقية لحل المشكلات والأزمات التنموية الاجتماعية.

1- مفهوم التنمية:

إذا بحثنا في مفهوم التنمية نجدها تصب في كونها مجموعة من التخطيطات الاستراتيجية "للارتقاء بالمجتمع اقتصاديا وتكنولوجيا واجتماعيا وثقافيا، فيتغير نمط حياته جذريا من خلال توظيف موارده المادية والطبيعية والبشرية من أجل الإصلاح والرقى في المجتمع ، خاصة تلك القطاعات والفئات الاجتماعية التي حرمت ربحاً طويلاً من الزمن في فرص النمو والتقدم"¹

وقد جاء مفهوم التنمية في تعريف الأمم المتحدة في عام 1956 باعتبارها "العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ولمساعدتها في الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع".² "فهيتنظيم مقصود يهدف إلى توفير الخدمات الأساسية للأفراد: أي : أنها تسعى إلى تحسين ظروف الحياة الفردية والمجتمعية، كما أنها عملية متوازنة ومتساوية ترتبط بخلق أوضاع جديدة ومتطورة في كل المجالات والميادين.

2- مفهوم مشكلات التنمية : يقصد بمشكلات التنمية تلك المعوقات المتعلقة بالتنمية الاجتماعية والتي نذكر منها ما يأتي:

المعوقات الاجتماعية: من بين المعوقات الاجتماعية نجد الكثافة السكانية، الذي لا يتناسب ولا يتماشى مع القدرات الإنتاجية لتلك الدولة مع احتياجات سكانها، الأمر الذي يعيق عملية التنمية الاجتماعية، وإنّ الحل في هذه الحالة هو الزيادة في الإنتاج والدخل زيادة كبيرة، والذي يعد مظهرًا من مظاهر التنمية الاجتماعية.³

وقد نجد أيضا من أسباب معوقات التنمية الاجتماعية، وجود بعض الفئات التي تعترض وتقف أمام تنفيذ مشروعات وبرامج التنمية دون تقديم تفسير واضح لمواقفهم قد تكون بسبب الاستغلال وتعارض المصالح، أو نتيجة تحسس الفرد للمنزلة الاجتماعية.

المعوقات النفسية: إذا كانت التنمية الاجتماعية تستلزم إحداث تحولات على مستوى البناء المجتمعي، فإن هذا الأمر يؤدي حتما إلى التأثير في نفسية الأفراد ، من حيث الرضا أو القبول أو الرفض، وفي المجتمعات النامية، كثيراً من الناس يصرون على التمسك بكل ما هو قديم وسائد؛ رغم الانتقادات الموجهة له.⁴

¹- كمال التايبي، تغريب العالم الثالث : دراسة نقدية في علم الاجتماع والتنمية، دط، مكتبة دمشق الالكترونية، دت، ص ص 13-14.

²- محمد شفيق، التنمية الاجتماعية : دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، دط، المكتب الجامعي الحديث، دت، ص 13.

³- ينظر : عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، دط، معهد البحوث والدراسات العربية، 1970، ص 95.

⁴- عبد الفتاح، سمير. مبادئ علم الاجتماع، دط، دارأسامة النشر والتوزيع، الأردن ، 2006، ص 32. ينظر أيضاً: محمد شفيق، التنمية الاجتماعية : دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، دط، المكتب الجامعي الحديث، دت ، ص 13.

وتأسيسا على ذلك ، نجد أن المعوق النفسي والتراكمات الفكرية الذهنية الفلسفية عند الفرد ، تعد من أهم أسباب مشكلات التنمية المجتمع بحسب طبيعته وأصاله تفكيره ودرجة تعليمه لذا يستوجب في التخطيط للتنمية الاجتماعية مراعاة الأسس الفلسفية التالية:

- 1- المرجعيات الذهنية والفكرية للمجتمع سواء الدينية العقائدية أو التربوية الثقافية.
- 2- درجة التشبث بالمروروث الثقافي والعادات والتقاليد.
- 3- قوة التماسك الاجتماعي بين الأفراد.
- 4- مراعاة التخطيط الممنهج في المجتمع، سواء التخطيط الاقتصادي أو السياسي والتعليمي لأن اللغة وعاء الفكر والفكر محور الدراسة الفلسفية، كونها تهتم باستقامة القيم والمبادئ وبالتالي استقامة الفكر والفكر هو الذي يدفع بعجلة التنمية في المجتمع.
- وبالتالي تصبح الفلسفة هي الأداة الحقيقية في تشخيص الأزمات وحلها من خلال تساؤلاتها وفرضياتها التجريبية في المجتمع.

3-أهمية الفلسفة في المجتمع: إذا بحثنا في الدور الأساس الذي تتجلاه الفلسفة في المجتمع نجد مايلي: ¹

1. يستمد المجتمع أصوله ومبادئه وغاياته ، من الفلسفة التي تحكمه وتحكم نظامه الاجتماعي.
2. تزود الفلسفة المنظومة التربوية التي تتكون من الأسرة والمدرسة والمجتمع بالمواد التعليمية ومناهجها وغاياتها ومبادئها وأهدافها اجتماعيا وحياتيا.
3. تقوم الفلسفة بدور التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع من خلال تربية الطفل وثقيف الفرد باستمرار، حتى يصل إلى مستوى الوعي الذاتي والاجتماعي .
4. تحقق الهوية الوطنية للفرد من خلال الوقوف على الأصول الفلسفية للشوايت القومية .
5. تقوم الفلسفة بتوعية الأفراد والمتعلمين خصوصا بحقوقهم وواجباتهم في المجتمع خاصة، وواجبات المواطننة ونظم المجتمع.
6. تمكن الفرد من التكيف والمساهمة الفعالة في تغيير المجتمع، لأن أي تغيير في المجتمع مبني على أسس فلسفية.
7. تدعيم الفرد بالمثل والقيم والأنظمة المجتمعية التي تعكس درجة تفكيره ووعيه ورقيه العلمي.

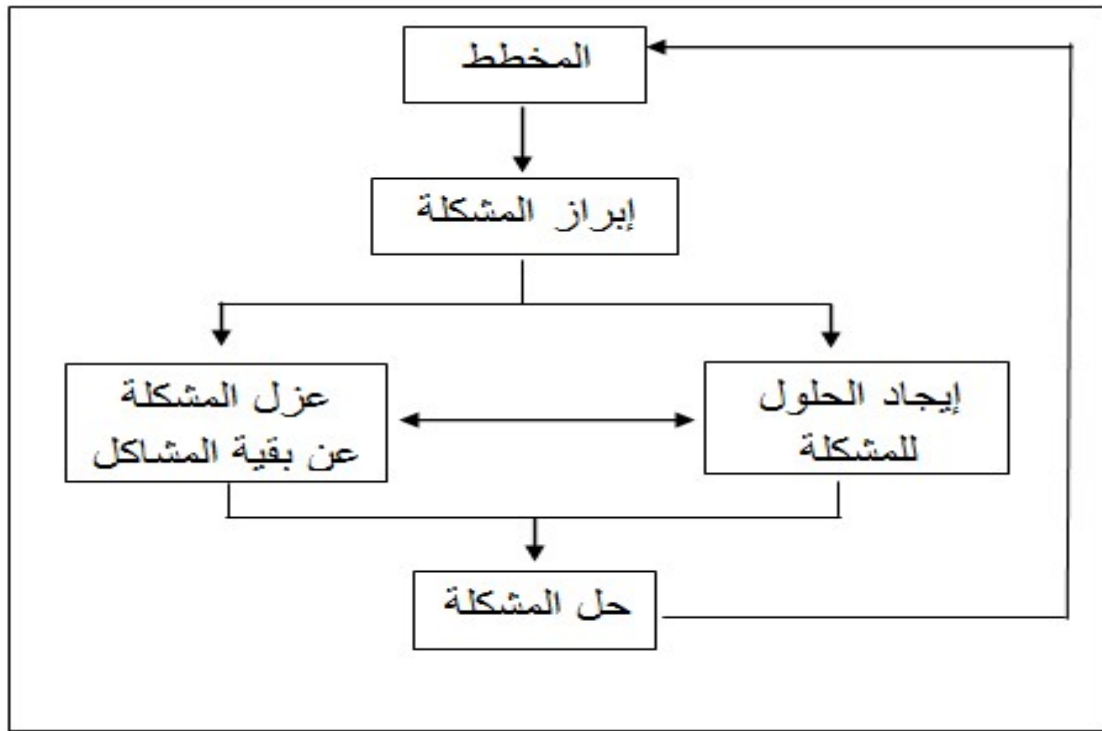
وبناء على ذلك ، يمكن القول انه لا يمكن أن يكون هناك مجتمع أوبئة معيشية دون فكر فلسفي، لأن الفلسفة تعني التفكير والنظام والانتظام، وتفسير الأشياء والظواهر، فهي بمثابة الوقود والحركة لديمومة

¹ - ينظر: <https://arabsaustralia.com/?p=4107>

العيش.

والفلسفة من هذا المنظور، تفكير عقلي منطقي منظم، وتأمل نقدي للعالم المادي والحسي وما وراء العالم المرئي والمحسوس في محاولات دائمة للوصول للحكمة وبلوغ الحقيقة القصوى ، وكل ما يتعلق بالمحيط الخارجي للإنسان وما يقف خلفه من آليات وقوى محركة، وقد يتطور تركيز الفلسفة على مختلف الجوانب العملية، وفهم الحياة فهما علميا تطبيقيا ، يعمل الباحثون فيه لمعرفة ما هي الطريقة المثلى للتأقلم والتعايش مع مختلف أصناف الحياة الاجتماعية ، فالفلسفة بمثابة المرجعية العلمية و الفكرية والتجريبية للنهوض بالتنمية وحل مشكلات المجتمع وتنميته وذلك لأن جوهرها هو طرح السؤال والتشكيك في كل شيء وربط العقل بثوابت و متغيرات للإيجاد الحلول الملائمة لأي بيئة تحت أي ظرف كان زماني او مكاني .

من هنا يتضح أن للفلسفة أهمية بارزة في حل المشكلات العالقة في المجتمع سواء تنموية أو غير تنموية ، وهو ما نوضحه بالشكل التالي¹ :



الشكل (1): المخطط الفلسفي لحل المشكلات الاجتماعية

¹ ينظر <https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/>

4-علاقة التخطيط الفلسفي بالتنمية:

غالبا ما يفترن مفهوم التخطيط الفلسفي بالتنمية خاصة عندما يتعلق الأمر بحل ومعالجة المشاكل الاجتماعية للفرد بهدف تقدمه ورقيه، من حيث تحقيق الذات والهوية ومعدل النمو الاجتماعي والاقتصادي. ومن أجل النهوض بالتنمية سعت العديد من المجتمعات الى توفير الأسس العلمية والمنهجية للتخطيط باعتمادها على خبراء ومختصين في مجال علم الاجتماع، علم النفس وعلم الاقتصاد .. إلخ، لكي يتم وضع استراتيجيات وتدابير تقنية عامة ومتنوعة بغية إيجاد تفسيرات وتبريرات للإشكالات الجدلية لتنمية المجتمع حيث نرى أنه لا توجد تنمية خارج عن ما يسمى بالتخطيط التنموي فالهدف منه هو انتقال بالمجتمع من مرحلة أسوء إلى مرحلة أحسن وإلى مرحلة أفضل بكثير عن المراحل السابقة وذلك بالطبع لا يتحقق إلا بالاعتماد على بحوث (سوسيو. اقتصادية) الغرض منها هو تشخيص الواقع الاجتماعي وفهمه عن طريق (إجراء مسح متكامل لمعرفة الواقع المراد تغييره من حالة التخلف المركبة إلى حالة التقدم المتكامل الجوانب أي التنبؤ العلمي بما يراد الوصول إليه خلال منظور زمني محدد¹.

وبغرض بلوغ التنمية المنشودة لأي مجتمع، فإنه من اللازم أن يكون التخطيط التنموي تخطيط شامل وأكثر تكاملاً بحيث تشمل كل المجالات الحياتية للفرد الاجتماعية منها والاقتصادية والثقافية والبيئية والاعتماد على القوة البشرية لتحريك مؤسساتها عن طريق إمدادها بالأفكار والمعارف، فما يميز التخطيط هي النظرة الشمولية فلا يقتصر على قطاع معين دون غيره. والتخطيط الشامل في مجال التنمية يتطلب اعتمادها على المقاربة التشاركية من خلال "وضع برنامج عمل يشارك في تحضيره جميع العاملين في الفروع الرئيسية، فيكون محصلة عمل جماعي وتنفيذه ملزم لهؤلاء جميعاً، وهذا الإلزام يعتبر صفة أساسية أخرى من صفات التخطيط الشامل، كما أن التخطيط الشامل يركز بالدرجة الأولى على الإنسان، لأنه يسعى إلى رفاهيته والارتقاء به عبر مجموعة من الخدمات، لكنه لا يتحقق إلا بالتدرج"².

وبالتالي فوجود التنمية يتكافأ والزيادة في فرص الحياة عند الأفراد لأن الغاية منها هي تحقيق إنسانية الإنسان عبر العدل والمساواة معاً، وإحداث مجموعة من التغيرات الإيجابية في البناءات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والتكنولوجية، وحتى البيئية، ويبقى كل ذلك مرهون بوجود سلطة مركزية سياسية لها القدرة في التصرف وتنفيذ المخططات للبرامج التنموية.

¹- عبد الفتاح سمير، مبادئ علم الاجتماع، ص 41.

²- ينظر المرجع نفسه ص 12 وإيضاً "Economic and Social Inclusion Corporation", gnb, Retrieved 18/2/2021.

من جهة أخرى وفي سياق الحديث عن الدور الذي يلعبه التخطيط الفلسفي واثره على التنمية، نجد ان فلسفة التربية في مجمل موضوعاتها تركز على الدور الهام الذي تلعبه التربية في عملية التنمية الاجتماعية، ومن أبرز هذه الأدوار التي تلعبها التربية في التنمية الاجتماعية نذكر:¹

1. إيجاد قاعدة اجتماعية عريضة مستعملة وذلك لضمان حد أدنى من التعليم لكل مواطن.
2. المساهمة في تعديل نظام القيم والاتجاهات بما يتناسب مع الطموحات التنموية للمجتمع من خلال تعزيز قيمة العمل والإنتاج ودعم الاستقلالية في التفكير والموضوعية في التصرف.
3. تأهيل القوى البشرية وإعدادها للعمل في القطاعات المختلفة وعلى كل المستويات وذلك بتزويدها بالمعارف والمهارات والقيم اللازمة للعمل.

ومنه، فإن القول بتنمية المجتمع لا يتحقق إلا من خلال مشاركة كل العناصر الفاعلة فيه، من سلطات، ومجتمع مدني، ومختصين وأيضاً من خلال التخطيط الذي يقوم على البحث العلمي، والذي يعمل بدوره على تقصي الواقع الاجتماعي ميدانياً، بهدف التعرف على نقاط الضعف وتحديد احتياجاته من أجل الحفاظ على وحقوقه وذاته الإنسانية .

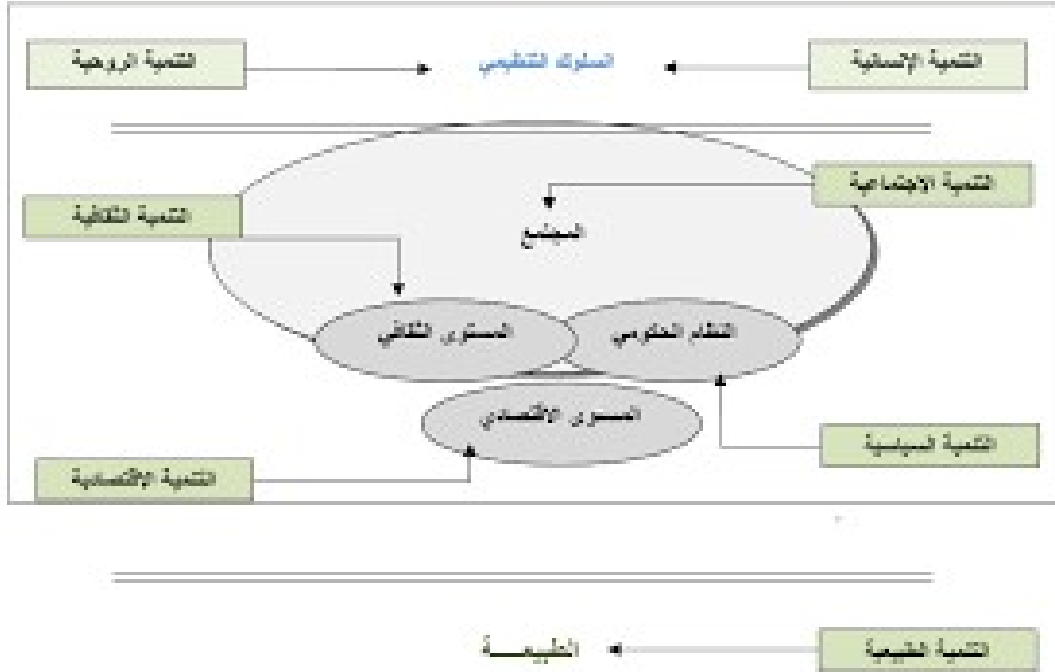
وتأسيساً على ذلك ، نستطيع القول بأن للتخطيط الفلسفي دوراً أساسياً في حل المشكلات التنموية ومختلف المواقف التي يتعرض لها الفرد أو الأسرة أو الجماعة في شكل أزمات معينة ،وما يسند لها من المهمات الفكرية والعلمية التي يهتم بها الدارسين من قبل فئات مختلفة في المجتمع، إلى أن أصبحت الفلسفة أساس التخطيط الاستراتيجي للتنمية؛ وذلك لأنها لب الإشكاليات المتعلقة بمختلف الظواهر العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، لذا يجب مراعاة " تحديد مجموعة من الأهداف المتناسقة التي يراد تحقيقها وفق أولويات معينة، وخلال فترة زمنية محددة، مع اختيار لمجموعة الوسائل والإجراءات اللازمة لتحويل هذه الأهداف إلى وقائع..،علما ان التخطيط يستلزم الإعداد المسبق للشيء وتنفيذه، وذلك وفق الأهداف المبرمجة، ويكون التنفيذ من خلال مراحل تنفيذية وزمنية، فهو يتميز بأسلوب المعالجة، حيث يقوم بتقديم الحلول من خلال المخططات التنظيمية، ومن أشكاله : الخطط الخماسية والعشرية التي تنفذها بعض الحكومات للنمو والتقدم، وهناك أنواع من التخطيط مثل التخطيط الهيكلي والتخطيط الإداري، وأيضاً التخطيط الوظيفي الذي يحدد الوظيفة التي تؤديها وحدات الهيكل ومحاولة تطوير وحدات الهيكل ذاته"². من هنا يصبح التخطيط

¹- ينظر: محمد النجيحي، دور التربية في عملية التنمية الاجتماعية، دار النهضة العربية، 1981، ص 83.

²- ينظر: مجيد مسعود. التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي. سلسلة عالم المعرفة (73)، الكويت، يناير 1984، ص 7.

هو تلك الاستراتيجيات والهياكل الموضوعية كفرش أساس لبناء وتحقيق أهداف معينة.

ويمكن تلخيص التخطيط التنموي في الشكل التالي¹:



الشكل (2): مجالات التنمية ومستوياتها

5- الأطر الفلسفية وتحديد ضوابط التنمية الاجتماعية :

يعتبر المنهج الفلسفي أداة ضرورية لتحليل ودراسة القواعد التي تحدد كيفية القيام بالوظائف والممارسات المختلفة في مجال معين من أجل حل المعضلات المقترنة بالأفراد لإيجاد الحجج والمبررات والحلول للمشكلات التنموية في المجتمع.

لهذا فإن المسار الكرونولوجي للنظريات الفلسفية المفسرة لعملية التنمية يثبت أنها تتسم بالطابع السيكولوجي في تفسير التنمية، " التي يمكن بواسطتها أن يتحقق كيان الفرد فالخصائص السيكولوجية تعبر عن تقدم المجتمع، من خلال إنجازاته، فهذا الإطار الفلسفي يملك المقدرة على توجيه سياسة فعالة تلائم تحقيق تنمية اقتصادية وتغير ثقافي جذري، فضلاً عن الإطار الفلسفي الاقتصادي، إذ نجد التنمية في مفهوم نظرية التحديث التي تعتقد أن المجتمع المفتقر للتنمية سيجتاز المراحل التنموية نفسها في المستقبل التي سبقه إليها

¹- ينظر ata:image/png;base64,iVBORw0KGgo

غيره من المجتمعات ، إذ تتجاهل هذه النظرية التاريخ القومي للمجتمع تماما من أجل تحقيق متطلبات التنمية ، فوفق هذا التصور الفلسفي نستخلص أن المجتمع الذي لا يزال لم يلتحق بالركب التنموي ، هو مجرد دول أصابها النعاس لفترة من الزمن¹ ، مما يعني أنها مجتمعات تبدأ بداية متأخرة عما سبق . وهذه الرؤية تجعل عملية التنمية متصل تنظيمي ثقافي متميز يدور في جدلية زمان ومكان معينين ، أما الإطار السوسولوجي الفلسفي في تفسير التنمية ، يتم تمثيله بنظرية ميكانيزم التخلف والتنمية ، فبالرغم من أن بعض العلماء قد رفضوا اتجاه نظرية التبعية لكونه اتجاها اقتصاديا بحث ، إلا أنه يتضح لنا أن تحليل للتنمية عند البعض كان من الزاوية الاقتصادية أيضا إلى حد ما . فعناصر النسق الاجتماعي ، من وجهة نظر العلماء تعتمد على النمو الإنتاجي ، ففكرة معالجة مشاكل التنمية عند بعض المجتمعات تكون عن طريق دراسة وتحليل النسق الاجتماعي مع المزج بين العناصر الاقتصادية والاجتماعية وتتبع أسلوب الدفعة القوية ، فالأخذ بالتدرج في تنفيذ الخطط الإستراتيجية أمر لا يجدي إطلاقاً في عملية التنمية .² وقد تم تلخيص هذا في مستلزمات التنمية كالآتي :

- تكريس جميع القوى والآليات التيمن شأنها أن تدفع بتنمية المجتمع ذلك أن الدفعات القوية لازمة وضرورية لإحداث التوازن والتكامل للحدوث الهوة الثقافية .

- كما يستوجب على كل مجتمع الحفاظ على شخصيته الذاتية وخصوصياتها الثقافية ، وأن يكون له خطة وطنية متكاملة ، وسياسية للتنمية نابعة من احتياجات وظروفه وإمكانياتها تقوم على القوة التنفيذية ومقاومة التغيير الذي يهدد نجاحه ويضعف من فاعليته .

- تحقيق التنمية الاجتماعية في ظل فلسفة التربية والتعليم حيث تعد فلسفة هذا الأخيرة ، مجال أكاديمي ، يهدف إلى " دراسة فلسفية تهتم بالتعليم ومشكلاته .. موضوعها الرئيسي هو التعليم ، والتعلم وكل ما يتعلق ، بالعملية التعليمية أو بالانضباط التعليمي . وبهذا فهي تعنى بالأهداف ، والأشكال ، ونتائج التعليم والتعلم ؛ بحيث تستفيد من مجالات مختلفة منها نظرية المعرفة ، والابستمولوجيا و نظرية القيم ، والفلسفة التطبيقية والمناهج الفلسفية : التأملية - التحليلية ومسائل في علم أصول التدريس ، و سياسة التعليم ،³ وبالتالي فالفلسفة تقدم الرؤى المنطقية والقيم والمعايير التي تكشفها الممارسات التربوية والتعليمية ، والرخص التنموية للمجتمع .

الخاتمة:

¹ - د. نبيل السمالوطي ، علم اجتماع التنمية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 119 .

² - ينظر : إسماعيل ، حسن عبد الباري ، أبعاد التنمية ، دط ، مطبعة الكيلاني ، 1987 ، ص ص 88-90 Social Development Goals in
Everyday Contexts", socisdg, Retrieved 18/2/2021. Edited.

³ <https://ar.wikipedia.org/wiki->

نستخلص من هذا البحث أهم النتائج الآتية:

- 1- وضع خطط عمل واستراتيجيات عملية للهياكل الفلسفية التي تدعم وكالات التنمية الاجتماعية (وزارة التضامن الوطني، الأسرة والمجتمع).
- 2- تحديد المعايير والآليات الفلسفية عند الفرد للتمييز بين التنمية وطرقها وأدواتها والركوض الاجتماعي).
- 3- الوقوف عند مدى التناسق بين الأجهزة الداعمة والتنمية الفردية ومدى التوافق بين الدعم والتنمية الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية. وذلك من خلال التوعية الذهنية في المؤسسات التعليمية بصفة عامة والإعلامية بصفة خاصة وجميع القطاعات مع الاهتمام بالتطور الفكري والثقافي للمناطق الريفية ومناطق الظل وتحقيق النسيج العمراني الحضاري مع وضع خطط تشغيل وإتاحة فرص عمل للصناعة المحلية للحد من المشاكل الاقتصادية للبلاد والمساهمة في حل مشاكل التنمية، لان المفهوم الفلسفي للتنمية مرهون بالتطور كما أن تطوير التنمية واستدامتها ينهض بنهوض الرؤى الذهنية فتتغير من برمجة فلسفية لا وظيفية إلى برمجة فلسفية وظيفية فعالة في المجتمع، لان معادلة التنمية الاجتماعية تتناظر مع الأفراد المنتجة في المجتمع وبالتالي يحقق هذا الإنتاج كيان متطور له صناعة تنموية تثبت هويته ويعطي قيمة دالة لمعادلة التنمية.
- 4- ضرورة استثمار المناهج الفلسفية ونظرياتها في التنمية الاجتماعية التربوية والثقافية،... وغيرها واعتمادها كركيزة معرفية وعلمية جذرية للتخطيط الاستراتيجي لتنمية المجتمعات وبناء القواعد والأسس والتنموية المتمثلة في التكنولوجيا والعولمة والقيم والمبادئ الاجتماعية المتشعبة بأخلاقيات المهنة المستقيمة والتنمية المستدامة.

المراجع والمصادر

1. إسماعيل، حسن عبد الباري أبعاد التنمية، دط، مطبعة الكيلاني، 1987 .
2. عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، دط، معهد البحوث والدراسات العربية، 1970 .
3. عبد الفتاح سمير، مبادئ علم الاجتماع، دط، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
4. كمال التابعي، تغريب العالم الثالث : دراسة نقدية في علم الاجتماع والتنمية، دط، مكتبة دمشق الالكترونية، دت.
5. مجيد مسعود. التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي. سلسلة عالم المعرفة (73)، الكويت، يناير 1984.
6. محمد النجيجي ، دور التربية في عملية التنمية الاجتماعية، دار النهضة العربية، 1981..
7. محمد شفيق، التنمية الاجتماعية : دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، دط، المكتب الجامعي الحديث، دت.
8. نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
9. "Economic and Social Inclusion Corporation", gnb, Retrieved 18/2/2021. Edited
10. ata:image/png;base64,iVBORw0KGgo
11. <https://ar.wikipedia.org/wiki>
12. <https://arabsaustralia.com/?p=4107>
13. <https://sotor.com>
14. <https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/>
15. Social Development Goals in Everyday Contexts", socisdg, Retrieved 18/2/2021. Edited.

ملامح اجتماعية في "تحية المساء" لعبد الوهاب مطاوع



مقصود أحمد

باحث الدكتوراه، بجامعة جواهرلال نهرو نيودلهي.

maqsood2039@gmail.com

9541845127

ملخص: عبد الوهاب مطاوع يعد من أبرز الكتاب الذين لعبوا دورا هاما في تطوير القصة وأسهموا في تقديم القصص القصيرة، والجدير بالذكر أن عبد الوهاب مطاوع له أسلوب ينفرد به في صياغة القصة، وذلك لأنه عمل في بريد الجمعة وترسل إليه الرسائل التي تحتوي على القضايا الاجتماعية المختلفة فينشرها ويرد عليها، ثم نشر هذه القصص كمجموعات قصصية ومنها "تحية المساء" التي تتناول جوانب اجتماعية مختلفة، فأنا أقدم في هذا المقال دراسة تحليلية لهذا الكتاب لكي تتجلى ملامح اجتماعية حسب ما يصفها الكتاب "تحية المساء".

الكلمات المفتاحية: نبذة عن حياة عبد الوهاب مطاوع، قضايا اجتماعية كما تتجلى في "تحية المساء" نبذة عن حياته:

ولد عبد الوهاب مطاوع في أسرة متدينة يوم الاثنين 11 نوفمبر عام 1940م في بلدة دسوق، وكان أجداده من الصوفيين وقد ساعدت هذه البيئة الدينية في نشأته حتى تركت في شخصيته أثرا عميقا. وكان والده الحاج محمد مصطفى مطاوع تاجرا كبيرا، قد رزقه الله ثمانية أولاد، وكان ترتيب مطاوع الثالث في إخوته بعد أخته الكبرى زينب وشقيقه صلاح الذي انتقل إلى جوار ربه منذ سنوات.

نشأ منذ نعومة أظفاره على حب العلم والتأليف والقيام بمطالعة الكتب، وكان مولعا باقتناء المجلات الشهيرة وقراءتها خاصة مجلة "الرسالة" الشهرية لأحمد حسن الزيات، وسلسلة كتابي حلمي مراد التي كانت مختصة بتقديم الأعمال الأدبية العالمية، وحينما اطلع على روايات إحسان عبد القدوس التي كانت تعالج التحليل النفسي البشري، تزايد شغفه بالمطالعة، كما تذوق من قصص الأستاذ نجيب محفوظ وكان معروفا عند المثقفين فقط.

بدأ عبد الوهاب مطاوع دراسته الابتدائية في طفولته، وبعد أن قضى سنواته الدراسية بنجاح باهر وحصل على الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب في قسم الصحافة في جامعة القاهرة، وحقق هدفه بدأ

يتمرن على الصحافة منذ سنته الأولى في الجامعة، وذلك بتشجيع من الكاتب أحمد بهجت، والكاتب صلاح منتصر، فبذل أقصى جهوده في ممارسة الصحافة وأولى اهتماما بالغاً بالقضايا الاجتماعية والإنسانية وهكذا تالاً اسمه على أفق الصحافة.

وقد عمل كمحرر صحفي رسمي بالأهرام بقسم التحقيقات مباشرة بعد تخرجه من الجامعة عام 1961م، تقاضى راتبه الأول ثمانية عشر جنيه شهرياً واستمر في نفس القسم لمدة ست عشرة سنوات عام 1976م، وبعدها أشرف على صحيفة أسبوعية بعنوان "الوجه الآخر" التي اهتمت بشئون الإقليم، والتي كان يشرف عليها الكاتب مكرم محمد أحمد فيما قبل، وأول مرة قدم آراءه الخاصة في عمود يخص به بعنوان "رأس الوجه".

كرّس عبدالوهاب مطاوع حياته كلها في الصحافة المصرية العربية، ولم يقتصر جهده عليها وكل من عمل معه في بلاط مصاحبة الجلالة يعرفون ويعلمون قيمة العمل مع هذا الشخص العظيم، كما تتجلى قدرته الفائقة وإسهاماته البارزة في قيادة التحرير الصحفي لاسيما انغماسه في أعماق البشرية المختلفة وتجسيده في الالتزام الخلقي بالإنسان، ولم يزل يعمل في الصحافة طوال أيام حياته، ولم يتأثر بالإغراءات والأكاذيب التي أصابت المجتمع خلال مراحل عديدة.

تعامله مع الصحافة

كان عبد الوهاب مطاوع يعمل في نواح شتى ويكتب المقالات في الصحف والمجلات، وأشرف على صحيفة "الأهرام" في أغسطس عام 1982م، قد برز إبداعه في الصحافة حينما تولى مسؤولية باب بريد الجمعة مخصصاً لحل مشكلات الناس وشكاوى الجمهور بأسلوبه الرقيق الجذاب في الباب اليومي، و"تولى مسؤولية بريد "الأهرام" بتكليف من الأستاذ إبراهيم نافع، رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير، وكان الباب يتلقى شكاوى الجمهور، أما يوم الجمعة فكان مخصصاً لشرردود المسؤولين على مشاكل الناس العامة، ومنذ أول يوم قرر تطوير هذا الباب بفكر جديد".¹

وأصبح "بريد الجمعة" للأهرام أكثر قراءة في الصحف والمجلات المصرية لكونها خالية عن تحيز فكري أو قضايا سياسية. وهكذا اكتسب محبة الناس حتى لقبوه بألقاب عدة منها "صاحب القلم الرحيم"، و"طبيب القلوب الجريحة"، و"رائد الصحافة الإنسانية والاجتماعية" كما ظنَّ القراء به رائد الصحافة الإنسانية.

جائزته

¹.<http://www.ahram.org.eg/Archive/2004/8/8/Opin1.htm>

حاز عبد الوهاب مطاوع على جائزة مؤسسة علي أمين ومصطفى أمين الصحفية في عام 1992م كأفضل كاتب وصحفي لمعالجة الموضوعات الاجتماعية والإنسانية.

وفاته

قد عانى عبد الوهاب مطاوع من الفشل الكلوي، والأنيميا الحادة التي تقعه عن المشي، وتدهورت صحته، فسافر إلى باريس للعلاج، حيث تم غسيل الكلى وعاد إلى مصر، وفي مساء يوم الجمعة الموافق 6 أغسطس عام 2004م، لبى نداء ربه، وكان عمره 64 سنة، ودفن بمسقط رأسه.

قد أثرى المكتبة العربية والأدب العربي بأكثر من أربعة وخمسين كتاباً في القصة وأدب الرحلات، وأدب الرسائل، وخواطر وتأملات، وأدب الأطفال.¹

ملاح اجتماعية في "تحية المساء".

من مجموعاته القصصية "تحية المساء" التي تكلفت بطباعتها الدار المصرية اللبنانية عام 2003م، ونالت إعجاباً كبيراً وتقديراً من قبل القراء؛ لأنها تمثل حياة المصريين اليومية وتقدم الملاح الاجتماعية، فمن القضايا الاجتماعية التي تناولها الكاتب في هذه المجموعة الفقر والبؤس والقهر والطلاق والعقاب والعلاقة المحرمة وعقوق الوالدين وتعدد الزوجات واليتم وما إلى القضايا المرتبطة بأصحاب مصر. أعالج هذه القضايا في ضوء قصصه.

قضية الفقر

اتضح من خلال مطالعة قصص عبد الوهاب مطاوع أن الفقر من أبرز موضوعاته. هناك العديد من المشاكل والأمور التي تتسبب للفقر فعلى سبيل المثال، يريد شاب أن يتزوج من فتاة، وهو من أسرة فقيرة، لكنه يتعرض للرفض من طرف والديها، لأنه فقير ويقيم ولا ناصر له ولا يملك الأموال الطائلة. "بكي في الشارع وهو يقول لي إنه يعذراً بي في هياجه عليه إذ ماذا يملك شاب يتيم فقير مثله لكي يقدمه لابنته؟ وبكيت معه"²، وتعرض للشتم والضرب واللعن من أبيها عدد مرات، تتقدم القصة إلى الأمام، حيث نرى أن الشاب أومه يذوقان مرارة الحياة فيفوضان هذا الأمر إلى الله، يتحمل الشاب هذه المشاكل المضيئة ويواجه كل تحديات الحياة سواء الكبيرة أو الصغيرة رابط الجأش وثابت اليقين.

قضية الزواج

¹<http://www.ahram.org.eg/Archive/2004/8/8/Opin1.htm>

²مطاوع، عبد الوهاب، تحية المساء، ص: 23

مشكلة الزوج من أهم القضايا الاجتماعية التي أبرزها الكاتب عبد الوهاب مطاوع في قصصه، كما تتجلى قضية "الزواج" في قصصه "تحية المساء" و "دورة الأيام".

تدور قصة "تحية المساء" حول سيدة تتعلق بشاب ويتعلق بها أيضا، وتبادلا الحب، وأراد أن يتقدم لخطبتها، فرفض والداه بدعوى أنه فقير، كما يتجلى في هذا المشهد "فصارحت أمي بتعاهدي مع هذا الشاب على الزواج عقب التخرج. وطلبت منها أن تمهد لي عند أبي لكي يقبل بقراءة الفاتحة مع أسرتي وأسرته هذا الشاب... ففوجئت بثورة أمي العارمة ضدي ورفضها القاطع لهذا الاختيار... وتهديدها لي بفضح سري لدى أبي لكي يعاقبني عقابا صارما على فعلتي"¹، رأينا أن الأب يسلبها حق الزواج ويقسو عليها لكون الشاب فقيرا، ثم نرى في القصة أن الفتاة تتعرض للضرب من طرف والدها لأنها اختارت شابا فقيرا للزواج، وأخيرا تلجأ إلى عمها وتطلب منه المساعدة على زواجهما، وتزوجا في الأخير.

قضية أخرى تتعلق بالزواج وهي "التفاوت في الأعمار"، شاب يكبر فتاة بضعة سنوات ويرغب في الزواج منها، وقوبل بالرفض من طرف أهلها وكذلك أهله رفضوا الفكرة تماما. رسخت هذه القضية جذورها في المجتمع المصري وأصبحت شائعة فيها على نطاق واسع، ويصعب اجتثاثها بسهولة؛ لأن أصحابها يمارسونها دون تفكير في مؤثراتها السلبية ونتائجها الخطيرة المانعة من الزواج، فأراد الكاتب بقصة "دورة الأيام" أن يحيط المجتمعات المصرية علما بمؤثراتها السلبية التي تتولد منها المشاكل والصراع بين الأولاد والوالدين نتيجة لذلك ينفر ولد من أبويه وفتاة من والديها، كما تتجلى صورة هذه فيشباب يريد في عمره الثلاثين أن يتزوج من فتاة تكبره بأربع سنوات، لكن أهله لا يوافق عليه؛ بل يرغب عنه البتة، كما يقول البطل "ارتبطت عاطفيا بفتاة أحببتها للغاية ورغبت بشدة في أن أتزوجها، إلا أنها كانت تكبرني بأربع سنوات، ووقف هذا الفارق عائقا صلبا دون موافقة أهلي على زواجي منها، حاولت بشتى الطرق إقناعهم بها، إلا أنهم أصروا على موقفهم للنهائية"²، أخيرا يتزوج من فتاة أخرى لم يراعها حق رعايتها ولم يهتم بها كما تستحق؛ لأن قلبهم معلق بفتاته الأولى وذهنه مشغول بذكراياتها الخالدة، وهو يبحث عن أخبارها "وكلما رجعت إلى مصر في إجازة تذكرت فتاتي الأولى واستفسرت عن طريق الأصدقاء عن أخبارها"³، يبرز الكاتب مسائل تنشأ بين الزوجين وتنتهي علاقتهما إن لم يهتم الزوج بزوجته، ويستحضر الكاتب المسائل التي تلحق بالأبويواجهها ابنه، ولا يعرف الأب كيف يرفض

¹المصدر السابق، ص: 21-22

²المصدر السابق، ص: 59

³المصدر السابق، ص: 60

اقتراحه الذي قدمه له؛ لأنه يعرف حق المعرفة ماذا سيكون إن يرفض، ويفعل ابنه ما فعل به أبوه من قبل، فيقول الأب "أما الموقف الذي أواجهه الآن ويثير تأملاتي فهو أن ابني يحب إحدى زميلات أخته في العمل حبا كبيرا ويرغب في الزواج منها... وأنا ووالدته نعارضه في هذا الارتباط لغير شيء سوانها تكبره بخمس سنوات"¹، ولم يقف الأمر لهذا الحد، بل يجد بنته الصغرى أيضا ترغب في الزواج من شاب يصغرها بثلاث سنوات، لكن والدتها لا توافق عليه بل ترفضها كل الرفض. فأراد الكاتب أن يشد انتباه الناس إلى هذه المشاكل ونتائجها المخيفة عن ذلك ليتفهموا الأمر، ويزوجوا أولادهم رغم تفاوت الأعمار.

تعدد الزوجات

يتناول الكاتب قضية "تعدد الزوجات" لكنه لا يعلن عن موقفه وحكمه في هذه القضية، لعله يريد بهذه القصة أن يلفت أنظار الناس إلى هذه المسئلة الهامة ومشاكلها التي تخص الزوجة ومؤثراتها السلبية تجاه الأولاد بشأن تربيتهم وحقوقهم تجاه الوالدين في المجتمع المصري. كما نجدها في قصة "الشيء العادي" التي تدور حول الزوجة، ويريد زوجها أن يتزوج من أخرى لكنها لا تسمح له بذلك وسيكون ذنبا كبيرا إن رفضت، كما تقول الزوجة في هذا المشهد "لقد عرض عليّ زوجي أن يتزوج من أخرى.. ويريد مني أن أتقبل ذلك وأن اعتبره شيئا عاديا في حياتي، وأن يجمع بيننا ويرى أن ذلك من حقه وأن اعترض عليه سيكون ذنبا كبيرا لي لأنه متمسك بي ولا يريد أن يفطر في"² تخبر الزوجة عن سبب اعتراضها، فهي تخاف من وقوع شئنان بينها وبين زوجته الجديدة، فتقول "ثم من يضمن له أن تكون الإنسانية التي سيتزوجها كريمة معه ومع أهله مثلي؟ ومن يضمن له أن أبناءه الذين سينجبهم منها - إذا شاء الله - سيكونون أسوياء وإخوة أوفياء لابننا وليسوا سببا لتعاسته في المستقبل إذا فسدت مشاعرهم تجاهه؟"³ وأيضا تخاف عليها من الحقد والحسد الذي تزرع في نفوس الأولاد، فتقول "ومن يدريه أن أهمهم لن تزرع الحقد والكراهية في نفوسهم تجاه أخيم هذا أو تشعرهم بتمييز عنهم.. أو تحرض زوجها على تمييز أبنائها عنه فيحقد هو عليهم"⁴، وأيضا تخاف على الأولاد من أن يذوقوا مرارة اليتيم وافتقاد الأب وهو على قيد الحياة، فتقول "وكم آباء أنجبوا أبناء كثيرين ثم رحلوا عن الحياة قبل أن يكملوا رسالتهم معهم وتركوهم للحياة وقسوتها يواجهون مرارة اليتيم وافتقاد الأب"⁵، هذه القضية تشيع في المجتمعات

¹ المصدر السابق، ص: 60

² المصدر السابق، ص: 184

³ المصدر السابق، ص: 184

⁴ المصدر السابق، ص: 185

⁵ المصدر السابق، ص: 185

المصرية، والناس يعيشون هذه الأوضاع دونما تفكير في أمور تحل بأولادهم بعد مغادرتهم من الدنيا من اليتيم والفقر والبؤس وقساوة الآخرين تجاههم. حاول الكاتب بهذه القصة أن يبرز هذه الأمور الهامة التي سادت المجتمع المصري وأن يأخذها الآباء والبنون بعين الاعتبار، ويحسنوا إلى أولادهم لكي لا يلحق بهم أي أذى، ويعيشون حياة رغدة.

الحب والغرام

قد نشأ عبد الوهاب في المجتمع المصري وعاش في الأسكندرية والقاهرة، وقد عاين الحب والغرام الذي ساد المجتمع منذ نعومة أظفاره، ومؤثراته السلبية فيه، ورأى المراهقين والمراهقات، يتبادلون الحب حتى مثل الأزواج، وما يترتب عن ذلك من حرام، ويتسبب في الطلاق، كما يوجد في قصصه، خاصة في القصص المكتوبة في القرن العشرين وواحد وعشرين، التي تمثل المجتمعوما يحل فيه، فيصور الكاتب هذا المجتمع في قصته "الصمت النبيل" تدور القصة حول الزوجين، وأصبح الزوج أبا للأوداد بعد مرور سنوات عديدة، ولم يظهر على زوجته شيء مدى هذه السنوات العديدة، إذ يلاحظ بعض التغيرات في شخصيتها وتعاملها مع زوجها. وذات يوم لاحقها فوجدها في مكتب مدير الإدارة متبادلة القبلات معه كما يقول البطل "ذات يوم لأعرف إلى أين تذهب في هذا الوقت المبكر واتبعها... وفتحت مكتب مدير الإدارة لعلني أجد الساعي يقوم بتنظيفه وأسأله عن زوجتي فإذا بي أراها مع مدير الإدارة في موقف غرامي يتبادلان فيه فيما يبدو تحية الصباح بالقبلات"¹، ونجد بعد ذلك أن البطل يطلق زوجته على ما فعلت، ولا يبوح لأحد ما رأى في مكتب الإدارة من المشهد إلا لزوجته الأم. وفي قصة "تحية المساء" يصور الكاتب حب فتاة لشاب يسكن بجوار بيتها، يتبادلان الحب سوياً، ويلتقيان في المقهى والسوق والشوارع أو في بيت الجيران كما يلي:

وفي بداية مرحلة الدراسة الجامعية.. خفق قلبي لأول مرة لشاب من أبناء الجيران وارتطبت به عاطفياً... وأردت أن أتخلص من هذه المعاناة بعد تعمق الحب في نفسي.... لكي يصبح حبنا علنيا ومشروعاً فنتقابل تحت أعين أسرتنا.. بدلاً من لقاءاتي المختلصة معاً في الشوارع أو في بيوت الجيران المشتركين خلال زياراتي لصديقاتي بها"²، لكن والدا البطلة لا يقبلان لقاءاتهما ولم يرد بأن يزوّج ابنته له لكونه فقيراً، ويضرب بنته وحببها كلما ترفض بالزواج من شاب آخر.

اليتيم:

¹المصدر السابق، ص: 51

²المصدر السابق، ص: 21-22

الدين الحنيف دين الرحمة والكرم، ومن أهم خصائصه الحث على الشفقة والمودة والرعاية والعناية والعطف والرحمة، ومن أهم ما جاء به الحث على رعاية الأيتام وقضاء حوائجهم، فقضية اليتيم شائعة في الأماكن كلها، فأصحابها يحافظون على هؤلاء الأيتام، ويطعمونهم ويربونهم أحسن التربية أو يزوجون الأولاد الأيتام حسب مستواهم، فنجد أن هذه القضية كانت شائعة في مصر على نطاق أوسع، فسكانها كانوا يأخذون الأيتام بعين الاعتبار، كما نجد في قصة "الوقف العنيد" حيث البطليتزوج من فتاة توفي منها أبوها وكانت صغيرة ليرعاها ويحافظ عليها كما يقول "بعد أن خطبتها دخلت بيتها وتيمأ أهلها لاستكمال المشروع... أنها يتيمة الأب"¹، لكن الأمر يعكس أحيانا، فيتصدى الأيتام للعنف والجور، كما نرى مثاله في قصة "تحية المساء" حيث أن فتاة تقع في حب شاب يسكن بجوارها، ويتبادلان الحب، فتريد الفتاة أن تزوج منه لكن أهلها رفضوا قائلة بدعوانه فقير ولا معين له، لأن أباه قد مات عندما كان في عمره الخامس عشر، وكلما حاولت الفتاة أن تتحدث معه يتوجه والد الفتاة إليه يضرب ويعصف كما تقول البطلة "توجه إلى بيت هذا الشاب وانهاه عليه وعلى أمه سب ولعن وتمادى لأكثر من ذلك فصفعه صعفة مدوية أما أمه"²، وهكذا يتعرض الشاب للعنف والشتائم من قبل الآخرين. لعل الكاتب حاول أن يشد أنظار الناس إلى هذه القضية؛ ليهتموا بالأيتام، ويحافظوا عليهم حق المحافظة ويراعونهم.

قضية الطلاق

من القصص التي تعالج قضية الطلاق "الرهان الخاسر". نرى فيها أن البطلة تذوقتمرة الطلاق، ونتيجة لذلك أصبحت وحيدة في المجتمع وتركها زوجها حنأولادها، فيصورالكاتب هذه القضية كما يلي:

"لم أتحمل الموقف واثارت كرامتي وطالبته بالطلاق...وأصررت عليه للنهاية أملا في أن يرجع زوجي إلى عقله وأملا في أن يشعر ابناي بأنهما لا يستطيعان الحياة بدوني.. لكن أملي خاب في كل شئ"³.

نرى أن البطلة سكنت وحيدة في حجرتها الصغيرة بعد أن طلقها زوجها وحرمت من الشقة الكبيرة حيث كانت تسكنها من قبل، وأيضا نرى أنها خسرتزوجها حتى أولادها وو أقاربها لا سيما صديقتها المقربة وذلك من أجل إصرارها على الطلاق ونتيجة ذلك أصبحت وحيدة في غرفتها ذات سجن كما تقول "وأنا الآن أعيش

¹المصدرالسابق، ص: 173

²المصدرالسابق، ص: 24

³المصدرالسابق، ص: 13

وحيدة في حجرة كالسجن"¹. وأراد الكاتب بهذه القصة أن يصور المجتمع المصري حيث يمارس أصحابها الطلاق على نطاق واسع، دون أن يفكروا في طريقة أخرى ما عداه، ونتيجة ذلك أصبحت أرملة وحيدة منعزلة من المجتمع، لامعين بها ولا ناصر لها، فتأسفت على أمرها الذي تعجلت فيه والحالة التي شعرت بها بعدمغادرة زوجها وأولادها.

وفي قصة "الانتقام الماضي" يقع الطلاق بين الزوجين من جراء الخداع "ففشلت كل المساعي.. وتم فسخ الخطبة بالفعل"²، يتألم الزوج من هذا الطلاق الذي أثر في شخصيته كثيرا.

الغدر والخداع

تشهد المجتمعات العربية الكذب والخداع، وشهادة الزور من أجل الحصول على حُطام الدنيا، إما من أجل النفس أو من أجل مساعدة الآخرين بالباطل، فيرى الكثير من الناس أن الكذب والخداع ألا عيب ولا حرج فيه، ويمارسونه في حياتهم اليومية، وقد عالج الكاتب هذه القضية الهامة في قصصه القيمة كما تظهر في قصة "الانتقام الماضي" حيث تكذب امرأة على زوجها وتخفي منه مما تقوم بالأعمال، "خرجت من عملي بالقاهرة إلى بيت خطيبتي فلم أجدها فيه وانتظرتها حتى التاسعة مساء فإذا بها تعود وهي تضع الماكياج الثقيل الذي لم أرها به من قبل.. وسألتهما عما أخرها، ففوجئت بها تصيح في وجهي"³، وفي قصة "الرهان الخاسر" يخدع الزوج زوجته حتى يقع بينهما الخلاف الذي تسبب في الطلاق فيما بعد "بعد ذلك بدأت ألاحظ كثرة غياب زوجي وتقديمه الأعذار الكثيرة للتأخر في الخارج، كما كثرت الخلافات بيننا حول ذلك... وفي أحد هذه الخلافات فوجئت به يصارحني في هدوء غريب بأنه قد تزوج من أخرى وجد معه نفسها"⁴

العلاقات المحرمة

تنقسم العلاقة بين الشاب والشابة الغربية عنه إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هي العلاقة التي يتطلبها العمل أو المشاركة في أي مشروع نبيل. ولقاء الفتاة والشاب في ذاته ليس محرما، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل. والقسم الثاني هي العلاقة التي تتولد فيما بين الشاب والفتاة من العلاقة البريئة أو النبيلة، وهي المبنية على الزمالة أو الصداقة، أما القسم الثالث فهي علاقة الحب بين الشاب والفتاة وهي حرام في الإسلام ولا يسمحها أبدا في أي حالة. أراد الكاتب أن يحذر الناس من هذه العلاقة المحرمة التي

¹المصدر السابق، ص: 13

²المصدر السابق، ص: 179

³المصدر السابق، ص: 179

⁴المصدر السابق، ص: 11

شاعت في المجتمعات العربية نتيجة الغزو الاجتماعي والفكري الغربي الذي فشت فيها هذه الصداقات والتي لا تعتبر صداقة بريئة وإنما هي علاقة غرامية محمومة تمهد لهما سبلا لممارسة الجنس مباشرة فيما بعد، وإنه أيضا حاول أن يبرز مؤثراتها السلبية في المجتمع العربي ونتائجها المخيفة من طلاق وفسق وفجور، يقدم لنا قصة "الانتقام الوهمي" حيث تمارس فتاة علاقة غرامية بشاب لقيته أول مرة كما تقول الفتاة "ما أن التقيت بأول شاب حتى بدأت أخرج معه واستمتع بكلامه لي"¹، وفي المشهد الآخر تقول "ثم تكررت علاقتي بعد ذلك بنفس الطريقة، كنت أتلذذ بالشعور بأن أمي لا تدري شيئا عن هذه العلاقات"²، هذه البطلة تبادل الحب والغرام دون وعي أبويها وهي تتلذذ بهذه العلاقة المحيمة ووجدت أختها الصغيرة، التي دخلت في عمرها العشرين، تمارس نفس الحب والغرام، الذي مارسته من قبل، فتقول "لأنني بدأت ألاحظ على أختي الصغيرة نفس المشاعر التي كنت أشعر بها وأنا في مثل سنها"³، نرى أن البطلة تتزوج من شاب وأصبحت أما، لكنها تخاف على زوجها من علاقتها القديمة؛ فيطلقها أو تتعرض لمشكلة لم تتوقعها أبدا. حاول الكاتب أن يبلّغ أمهات وآباء العبر والغلات من هذه القصص: ليهتموا أولادهم بالتربية ويراقبواهم.

قضية العنف والظلم والجور

هناك أشكال مختلفة من العنف بسبب العنصرية في الجنس واللون، يوجد من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الكهولة، فهي من أبرز القضايا التي يواجهها مصريون، ومن الممكن أن يحدث الظلم والعنف في البيوت، والمدارس، والجامعات، والشركات، والعمل، والمقاهي. ومن الممكن أن يتولد العنف في الآراء سواء كانت سياسة أو ثقافية أو اجتماعية، وهناك أناس كثيرون يتعاملون مع غيرهم بالعنف والجور، وذلك نتيجة للجهل أو لسوء تربيتهم. وأحيانا يزداد العنف بسبب اختلاف الطبقات بين الثري والفقير، ويمكن أن يكون العنف لفظيا بالشتيم والسب أو الاستهزاء، أو التعدي بالضرب أو التحرش الجنسي وغيرها من الصور الأخرى. فأراد الكاتب أن يصور هذه القضية في قصصه كما تتجلى في قصة "تحية المساء" في صورة البطلة والبطل حيث يريدان أن يتزوجا؛ لكن والد البطلة لا يريد ذلك، بل يرفض البتة، حتى أنه يضرب ابنته والشاب، كما تقول البطلة: "تصاعدت الأمور بعد ذلك سريعا وفوجئت بأبي الذي لم يضربني ذات يوم، ينهال علي بالضرب المبرح ويمنعني من الذهاب للجامعة، بل ويأتي بنجار ليغلق نافذة غرفة نومي التي تطل على مسكن الشاب، ولم

¹المصدر السابق، ص: 166

²المصدر السابق، ص: 166

³المصدر السابق، ص: 166

يكتف بذلك وإنما هدهد بالضرب والإيذاء إذا لم يكف عن محاولة الاتصال بي"¹، ونرى أن الوالد أقبل إلى الشاب يضرب، وهكذا يتعرض الشاب للصفع واللكم عدة مرات فيما بعد؛ لأنه لم يرد أن يزوج ابنته له، فيصور الكاتب المجتمع المصري حيث الآباء والأمهات يجبرون على أولادهم أن يقوموا بما يأمرون به، فيضربونهم إن لم يفعلوا. ثم نرى في المشهد الأخير للقصة، أن الوالد يتأسف على ما فعل ببنته والشاب من الضرب والإهانة. وأصبح الشاب أكثر الناس محبة له، وندم على ما فعل به من قبل، كما تقول البطلة "أما زوجي الذي كان مرفوضاً منهما من قبل فلقد أصبح أقرب الناس إليهما خاصة بعد سفر أخي... وهو الذي يلي مطالبهما ويقضي مصالحهما، ويعاملهما بحب واحترام"². إنما القضية هذلاتزال شائعة في المجتمع المصري، وتكرر في حياتهم اليومية ويصبح الأولاد عرضة لضرب وجور وظلم آبائهم. وفي قصة "الرهان الخاسر" تعرضت زوجة للضرب والإهانة من قبل زوجها، ويبيس إلهما، كما يظهر الأمر في هذا المشهد، "بدأ زوجي يحكي لي عن زميلة له في العمل يسئ زوجها معاملتها إلى حد الضرب والإهانة"³، هناك أنواع شتى للظلم والنعف الذي تحصل عليه امرأة في المجتمعات العربية من حين إلى آخر.

خاتمة البحث: إن الكاتب يتحدث عن المرأة و حقوقها، وحريتها، والأيتام و حقوقهم، الزوجات و حقوقهن وبالعكس صحيح. وحاول من خلال هذه القصص أن يحذر الناس من العادات والتقاليد التي تسربت في المجتمع المصري، ومهدت الطريق لوقوع الطلاق، والظلم، والخداع، والغدر، والحب الحرام، والعلاقة المحرمة، وعدم الزواج، والعزوف عن الزواج.

المصادر والمراجع

- 1- هيك، د. أحمد، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية. دار المعارف، الطبعة السادسة، عام 1994م.
- 2- مطاوع، عبد الوهاب. تحية المساء، الدار المصرية اللبنانية، عام 2003م.
- 3- تغوج، د. عوني أحمد صالح، القصة القصيرة في مجلة الهلال 1892-1980م، دراسة نقدية للقصص القصيرة في مجلة الهلال المصرية.
- 4- ثورنلي، ولسن. كتابة القصة القصيرة، ترجمه، "الجهني، د. مانع حماد". النادي الأدبي الثقافي بجدة، عام 1992م.
- 5- نبذة عن حياة الكاتب. بريد الجمعة لعبد الوهاب مطاوع، مارس 2016م.
- 6- ضيف، د. شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر. دار المعارف، عام 1992م.
- 7- http://abdelwahabmotawe.blogspot.com/2014/12/blog-post_23.html#.WxVUDEjRDIW

¹ المصدر السابق، ص: 22-23

² المصدر السابق، ص: 30

³ المصدر السابق، ص: 10

جمالية الأنا والآخر في رواية قنديل أم هاشم ليحيى حقي



الدكتورة صليحة لطرش

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج- البويرة - الجزائر
كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي

Abstract : The article raises the issue of the ego and the other by embodying a duality through a set of visions, patterns and opposing images, so the idea of researching (the ego and the other) deserves attention, research and conclusions in an attempt to expand the community circle with its literary-cultural creativity. The writer began by searching for the term in literature, psychology and sociology, which provided a comprehensive theoretical background that defines the term and brings it closer to understanding, then moved in search of (the ego and the other). Whereas, the novel "Qandil Umm Hashem" was able to transfer "the problem of the ego and the other" from its abstract and cloudy philosophical space to a realistic one that embraces fictional aesthetics in which there are many voices. Where the sign is created and formed in the folds of the text by the action of various influences in which the heritage plays a major role, its features and its principles are evident in the context of the struggle between the conscious mind rejecting everything that is irrational, and the need for all that is paradoxical. It is a need nourished by the enormous number of religious data, mixed with the legendary popular heritage, to ultimately produce a pattern of popular religiosity that has its own unique and special features at the same time.

Key words: novel, controversy, ego and other, conflict, text.

ملخص :

يطرح المقال قضية -الأنا والآخر- بتجسيد ثنائية عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة لذا كانت فكرة البحث في (الأنا والآخر) تستحق الاهتمام والبحث والخلوص إلى نتائج في محاولة لتوسيع دائرة المجتمع بإبداعه الأدبي- الثقافي. بدأ الكاتب بالبحث عن المصطلح في الأدب وعلم النفس والاجتماع، ممّا وفّر خلفية نظرية شاملة تحدد المصطلح وتقرّبه من الإفهام، ثم انتقل باحثاً عن (الأنا والآخر). حيث استطاعت رواية "قنديل أم هاشم" نقل "إشكالية الأنا والآخر" من فضائها الفلسفي المجرد والغائم إلى آخروا قعي يلوذ بجماليات روائية تتعدد فيها الأصوات، فالنص الروائي بتشكيلاته الخطابية، وما يطرحه من قضايا إشكالية يحمل دلالات كاشفة عن علاقات متشابكة ومعقدة في البنى السوسولوجية، حيث تتخلق الدلالة وتشكل في ثنايا النص بفعل مؤثرات شتى يلعب فيها الموروث دوراً رئيسياً، تتبدى ملامحه وتتجلى منطقاته في إطار الصراع بين العقل الواعي

الرافض لكل ما هو غير عقلائي، والاحتياج لكل ما هو مفارق. وهو احتياج يغذيه ذلك العدد الهائل من المعطيات الدينية، الممتزجة بالموروث الشعبي المفعم بالأسطورة، لتنتج في النهاية نمطاً من التدين الشعبي له سماته الفريدة والخاصة في الوقت نفسه.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الجدل، الأنا والآخر، الصراع، النص.

مقدمة: تتزاحم مجموعة من الدوافع والأسباب التي تجعل الباحث يقف على مدارات التربية الثقافية، فيركز اهتمامه على تكوين معرفة علمية وأدبية تشتمل على المجالات الحياتية المختلفة. وتشكل قنوات المعرفة المختلفة من كتب وصحف ومواقع إلكترونية ومحاضرات وغيرها مصادر هذه التربية. وكلما كانت هذه القنوات منفتحة على الثقافات الأخرى. ففاعلية الأنا والآخر هي هوية الآخر الغربي الذي بدأت تتحول، في الإنتاج الروائي العربي، من أوروبا إلى أميركا الشمالية وتحديداً الولايات المتحدة الأميركية، فبدأت تظهر روايات تشكل الولايات الأميركية فضاءها الروائي، وتصور طبيعة التفاعل العربي الأميركي. ولا نستطيع أن نؤرخ لبداية هذا التحول، لكن يلاحظ أنه جاء في بداية القرن الحادي والعشرين.¹

ولأن الأنا والآخر مولودان معاً، والصورة التي نكونها عن أنفسنا هي الصورة نفسها عن الآخر لدينا، كما أن صورة الآخر ما هي إلا انعكاس لصورة عن ذاتنا، ولهذا فإن مصطلح الآخر من المصطلحات الفضفاضة التي تحتاج إلى تحديد المفهوم.²

رواية قنديل أم هاشم نوعاً من التماهي بين رؤية فكرية تتبلور في واقع متغير، وسياق درامي تتجاذب أبطاله صراعات شتى، تصل ذروتها مع شخصية إسماعيل بطل الرواية، ذلك الشاب الذي نشأ في بيئة شعبية (حي السيدة زينب) وأصر أبوه على إرساله إلى أوروبا لدراسة الطب، فيسافر إسماعيل محملاً بتراث الشرق وعاداته، ومتأثراً بحياته البسيطة التي لم تكن تخرج "عن الحي والميدان، أقصى نزهته أن يخرج إلى النيل ليسير بجانب النهر"³

وتعد رواية "قنديل أم هاشم" مثالا على ذلك، إذ تحكي هذه الرواية قصة شاب عربي حالم انطلق إلى بلاد النور ليتعلم فيها، ولكنه صدم وشعر بحيرة غامضة عندما وطأت أقدامه بالغرب ومر بتجربة حب فاشلة، "يحي

¹ يعقوب موسى صمامة: سيكولوجية التعليم التعاوني والتنافسي والفردية، كلية الآداب، جامعة الفاتح، ليبيا، العدد 36، 200.

² هادية صلي: صورة الآخر وعنفه في رواية الصدمة لياسمين خضراء دراسة نقدية تحليلية إشراف الأستاذة راوية شاوي، مذكرة ماستر جامعة قلمة قسم اللغة والأدب العربي 2018 ص1

³ يحيى حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000، ص15

حقي" من خلال روايته يضع بين أيدينا صورة أدبية للعلاقة بالحضارة الغربية. والرواية، تسرد رحلة شاب اسمه "إسماعيل" من حي السيدة زينب يتشبه بثقافة وتقاليد شعبية سافر إلى أوروبا لدراسة الطب، فعاش ثقافة غير ثقافته وعالما غير عالمه. وشاء الكاتب أن يكون بطل روايته دارسا للطب، وهذا الأمر ربما له مغزى يتعلق بنظرة الكاتب للتناقض الحضاري مع الغرب، فأرد أن يراه ويرينا إياه من خلال مهنة الطب كرمز للعلم والصحة، مقابل الجهل والخرافة والمرض في الحي الشعبي المصري. وفي متاهات التناقض يعيش الشاب غربة واضطراب هنا وهناك، بين منطق العلم ونمط الحياة الغربي، وواقع الخرافة ونمط الحياة في موطنه الشعبي. وتتخلص فكرة الرواية العميقة التي تطل برأسها من بين السطور في ذلك الصراع الأزلي بين الشرق والغرب، والحدثة والأصالة والعلم والإيمان، وتتناول الرواية تلك الآثار السلبية التي خلفتها الثورة الصناعية وكيف أنها حولت الإنسان إلى جسد خاويليس فيه ذرة مشاعر، هذه لمحة سريعة استطعت التقاطها من خلال نظرتي لثنائية الأنا والآخر.

"الأنا" و"الآخر" وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات، من أهم المواضيع التي تطرقت إليها النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي اتخذت من الثورة التحريرية مرجعا تاريخيا أساسيا يوظف حدود هذه العلاقة ويرسم معالمها، كما تعتبر صورة "الأنا" و"الآخر" أيضا منهم مباحث علم الصورة المقارن، هذا المجال المعرفي الذي يُعنى بدراسة صورة الشعوب من خلال الغوص في خبايا النصوص الأدبية والشعرية لمعرفة عاداتهم وتقاليدهم، ومعرفة كيف ينظر شعب إلى شعب آخر.

عند الشروع في قراءة أي عمل روائي قد يلفت انتباهنا غلافه، عنوانه، أو أي علامة خطابية بإمكانها أن توجه القارئ المتلقي لعقد ميثاق الأنا وهو ميثاق القراءة، وفي بادئ الأمر نتحيز دونما شك من المغالطات التي مفادها أن النص الروائي بإمكانه أن ينتج دلالة عن طريق قراءة سطحية بسيطة، فهو لم يعد ذلك النص المنغلق على ذاته وفق حدود ودرجات مضبوطة، وإنما أصبح منفتحاً على وجهات عدة ومتنوعة.¹

موضوع الأنا والآخر في الرواية العربية بات درسا وفحصا وتمحيصا من قبل الدارسين والباحثين العرب والأجانب على حد سواء، فأخضعوه في إطار الأدب المقارن وأدب الصورة لمناهج متنوعة قصد سبر سياقاتها وحيثياتها النفسية والمرجعية، وتحديد مكوناتها التأثيرية والتأثرية، وإبراز معطياتها الدلالية والفنية والجمالية. ولكننا سعيًا جادين إلى أن نضيف بعض الجديد في هذه الدراسة المتواضعة كتصنيف رواية الأنا إلى الآخر

1عمر دالي التفاعل الثقافي بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية الجديدة "حكاية العربي الأخير" لواسيني لعرج أنموذجا جامعة تيزي وزو مجلة قضايا النقد جامعة البويرة . 2016 ص15

فلسفيا وأدبيا إلى مجموعة من الرؤى إلى العالم "الرؤية الإنهيارية، والرؤية الحضارية، والرؤية السياسية الحقوقية والرؤية العدو انية". وبعد ذلك، وسعنا عملية التحقيق والتأريخ في المتن الروائي وذلك ليشمل بعض الشواهد الروائية في الدول العربية غير المعروفة كثيرا في مجال رواية الأنا والآخر في أدبنا العربي الحديث والمعاصر كالقطر المغربي والقطر السعودي، وذلك بالمقارنة مع دول عربية أخرى لها باع كبير في الرواية الحضارية كمصر ولبنان وسوريا وفلسطين... ثم، حددنا مجموعة من الثوابت البنيوية والتجسسية للرواية الحضارية أولتشكيل رواية الأنا والآخر تحببكا وتنميطا وتنويعا.

وبالنظر إلى المكانة التي يحتلها موضوع "الأنا" و"الآخر" في الساحة الثقافية والفكرية والأدبية العربية، جاءت فكرة دراسة هذا الموضوع ضمن النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية نظراً للخصوصية التي تطبع تناول صورة "الآخر" في هاته النصوص ذات المرجعية التاريخية، وقد وقع اختيارنا على رواية "قنديل أم هاشم" ليحي حقن كنموذج للدراسة نظراً للمكانة التي يحتلها هذا النص ضمن الأدب العربي باعتبارها من أهم الروايات التي عالجت العديد من القضايا المتعلقة بالثورة وإظهارها لصورة المعاناة التي لحقت "بالأنا" الجزائري من طرف "الآخر" الفرنسي.

وعليه تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: صورة "الأنا" و"الآخر" في الرواية المصرية إلى البحث عن تجليات صورة "الأنا" المصري و"الآخر" البريطاني في الرواية المصرية بشكل عام، وفي رواية "قنديل أم هاشم" بشكل خاص من خلال الإجابة عن الإشكالية- الآتية:

كيف تمظهرت صورة "الأنا" المصري و"الآخر" البريطاني في الخطاب الروائي بشكل عام وفي رواية "قنديل أم هاشم" بشكل خاص؟ وماهي القضايا التي أثارها علاقة "الأنا" المصري "بالآخر" البريطاني في الرواية؟ تتفرع عن هاته الإشكالية جملة من التساؤلات نذكر منها:

- كيف عكست لنا الأعمال الروائية المصرية صورة "الأنا" المصري و"الآخر" البريطاني في إطار الثورة المعرفية؟

1- كيف شكّل الصراع مع "الآخر" الفرنسي أزمة بالنسبة للذات المصرية؟

1- كيف تجلّت نظرة الأنا للآخر والآخر للأنا في رواية "قنديل أم هاشم"؟

ورد في لسان العرب أن كلمة "أنا" اسم مكني، وهو للمتكلم وحده، وإنما يبني على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف¹، كما جاء في منجد اللغة والأدب والعلوم أن "أنا" ضمير رفع منفصل للمتكلم، والأناثة: قولك أنا،² أما الآخر فقد ورد في لسان العرب في مادة -آخر-

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج 13، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414ص 154

² ابن منظور: لسان العرب، ج 13، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414ص 123

قول "ابن منظور": والآخر، بالفتح : احد الشئيين وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل، وتصغير آخر، وجرت الألف المخففة عن الهمزة مجرى ألف ضارب، وقوله تعالى: "فأخران يقومان مقامهما" فسرهُ ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين يحلفان أنهما إختانا ثم يرتجع على النصرانيين وقال الفراء: معناه أو آخران من غير دينكم من النصارى واليهود¹ "أما في منجد اللغة والأدب والعلوم فقد جاء بمعنى "ج آخر وأخبارات: بمعنى غير، ومن الكناية (أبعد الله الآخر، أي غاب عنا وليس منا".

لقد حاول الروائي عبير رحلته في إبداعه الفكري الروائي التعبير عن روح العصر، فانكب على ما وقع ليجسد لنا أحداثاً ومواقف تؤكد على جراته التي تميز كآديب في الطرح إذ استطاع الكثير من الروائيين ترجمة أشكال الصراع وأدواته في باب تناول تيمة الأنا والآخر

يعتبر الروائي يحيى حقي من الأدبيات الجزائريات والعربيات اللواتي نجحن في نقل صورة المرأة، بكل واقعية ومن دون مساحيق تجميلية. وكان ذلك انطلاقاً من لحظة لاختلاس الحب (قصص)، مروراً إلى رواية مزاج مراهقة، ورواية اكتشاف الشهوة، وقد أثارت الروائية في روايات العديد من المواضيع الحساسة والمسكوت عنها في المجتمع الجزائري، وكشفت النقاب عن القضايا التي تعتبر من المحرمات الكتابة عنها والخوض فيها. ومن أبرز المواضيع التي سلطت عليها الضوء، كان موضوع "الاغتصاب" الذي تدور حوله رواية تاء الخجل. انطلاقاً من هنا تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على رواية تاء الخجل، محاولة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها: كيف تتجسد ثنائية الأنا والآخر في رواية تاء الخجل؟ وما هي طرق التي يمكن توافيق جدلية الأنا والآخر في رواية قنديل أم هاشم؟

وعليه تصبح عملية نفي "الآخر" نفيّاً "للذات" في الوقت نفسه، لأنّ الآخر مكمل "للذات"، ومن يختزل "الآخر" يختزل ذاته، ذلك أنّ الذات المتعددة تتطلب وجود آخر متعدّد.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول إنّ من الصعب تحديد مفهوم دقيق "للأنا" و"الآخر" في الثقافة العربية، نظراً لاتساع دائرتيهما، "فالأنا" قد تعني بلاد "الشرق" أو "الإسلام" أو "المتخلف"... هذه التسميات الواردة بين قوسين، هي دوائر متداخلة يصعب الفصل بينهما ولا تتم معرفة أنا والآخر من دون اختزالهما أي أنّ إحدى الإشكاليات.

لقد ترتب عن الصحوة القومية للذات في الرواية الوعي بضرورة خدمة الوطن والدفاع عنه، وهو ما

1 لويس معلوف: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان، 1991م ص 35

تجسد عبر مظاهرات الطلاب في فرنسا ضد سياسة التعسف التي تخضع لها أوطانهم في شمال إفريقيا وفي العالم العربي ككل، ما أدى إلى تكوينهم لرابطة الطلاب العرب في باريس، التي من أهم أهدافها الحفاظ والدفاع عن الوحدة القومية من خلال طرح قضاياهم ومعالجتها¹

إسماعيل صاحب (قنديل أم هاشم) حين عودته إلى مصر، سوف يقابل بين خضرة الريف الاسكتلندي الفسيح التي تبهج النفس وتثري المخيلة وبين شحوب الريف المصري الأجرد الذي يكتم على الصدر "وأطل من نافذة القطار فرأى أمامه ريفاً يجري كأنما اكتسحته عاصفة من الرمل، فهو مهدم معفر متخرب"²

ولا يغيب عن أذهاننا أن عالمنا العربي يدخل القرن الجديد بتركة ثقافية مثقلة في سجلها الحضاري، هذا السجل الذي لا يزال متأرجحاً بين مدوجز في تحديد جدلية العلاقة بين الأنا العربية نفسها، وبينها وبين الآخر، ولا ريب أن هذا الأمر سيؤثر حتماً في خطاب الأمة الفكري، بل سيكون التأثير واضحاً في مجالات عدة

ولا يقل إسماعيل إعجاباً وتأثراً بصاحبته من زميليه، فبفضل بسبب مواقفها وآرائها، استشف الكثير من الحقائق التي كانت تبدو له في ماضيه / شرقه مجرد أوهام أو أحلام بعيدة المنال: لقد أخذ هذا الفتى الشرقي الأسمر بلبها فأثرته واحتضنته عندما وهبتة نفسها، كانت هي التي فضت بكارته العذراء وأخرجته من الوهم والخمول إلى النشاط والوثوق، فتحت له آفاقاً يجهلها من الجمال: في الفن في الموسيقى³

فوجود الأمة في ساحة الأحداث التي يشهدها العالم اليوم، فمن الضروري أن نضع في حسابنا قراءة جديدة لما يدور حولنا، قراءة تحدد علاقتنا بالآخر، وهو آخر ليس بجديد بل هو نفسه، لكن الزمان غير الزمان والواقع غير ما كان في العقود السابقة، ويحضرني قول جورج طرابيشي في حديثه عن أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية: "ومن المؤكد أن "الشرق" و"الغرب" سلسلي تمران في الوجود بعدنذ لحقبة مديدة من الزمن"⁴

ثم أن المستوى المكاني في لا يقل أهمية في معمارية النص الروائي، ونعني التقاطعات الثقافية على مستوى بنية المكان، فالعلاقات المكانية ليست مجرد إحداثيات هندسية مجردة، العالقة لها بواقع الإنسان ومحيطه الاجتماعي، بل تمثل مفاهيم تصويرية في وصف الواقع الاجتماعي بتفاصيله المملة وحيثياته المتناقضة وتقاطعاته

1حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتورة نعيمة بن ستيتي 2018-2019 ص123

² يحيى حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000. ص123

³ يحيى حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000. ص124

4عامر جميل الصرايرة جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011 بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الشوابكة جامعة مؤتة 2016 ص213

المتقاطعة¹

1-فاعلية المثاقفة

فاعلية المثاقفة بافتراضها وجود طرفين موجب وسالب، فاعل ومنفعل، ملقح وملقح، تطرح نفسها كعملية ذات حدين مذكرومؤنث، ولكن نظرا إلى الثقافة الحديثة -نظير القديمة- هي في الأساس والجوهر ثقافة ذكور، فإن المثاقفة لا توفق في الطرف المتلقي إحساساً بالدونية المؤنثة بقدر ما تبعث فيه شعوراً مرهقاً بالإحصاء الفكري والعفة الثقافية، وتحت وطأة هذا الإحساس الذي لا يطاق ذلّه.²

دلالة كلام جورج طرابيشي في هذه الفقرة ثري، وما خرج به هو وغيره من الباحثين في الدراسات القديمة من تخريج هذه العلاقة بين الشرق والغرب من مدخل الذكورة والأنوثة، يعد إحدى المسلّمات التي ما زالت ملتصقة بدراسة الرواية العربية الحضارية، ومن ثملم يكن غريباً أن نجد هذا الملمح في أغلب روايات الصراع الحضاري

ومفهوم الحتمية هذا هو أن تختار كل لفظ بدقة ليؤدي معنى معيناً بحيث لا يمكنك أن تحذفه أو تضيف إليه لفظاً آخر أو تكتب لفظاً بدلاً من آخر، ولذلك قد أكتب الجملة الواحدة ثلاثين أو أربعين مرة حتى أصل إلى اللفظ المناسب الذي يتطلبه المعنى

ومن هنا أنت تلك العبارة أشد وقعا لأن الحضارة الغربية بالفعل هي التي تحولت إلى ذكر يفتض عذرية الشرق وأنثويته الحامل لنكتشف ثنائية الموقف لدى هذا القادم من وراء الغمام معتقداً نفسه أنه أتى فاتحاً غازياً، فإذا به هو المغزوف في نهاية المطاف، فيقبل على الحياة بمنظور جديد فهياي ماري تقول لإسماعيل:

"الحياة يا عزيزي ليست برنامجاً ثابتاً بل مجادلة متجددة، يقول لها "تعالى نجلس" فتقول له: "قم نسير" يكلمها عن الزواج فتكلمه عن الحب.. يحدثها عن المستقبل فتحدثه عن حاضر اللحظة.. كان من قبل يبحث دائماً خارج نفسه عن شيء يتمسك به ويستند عليه: دينه وعبادته، وتربيته وأصوله، هي منه مشجب يعلق عليه معطفه الثمين، أما هي، فكانت تقول له "إن من يلجأ" إلى مشجب يظل طول عمره أسيراً بجانبه يحرس معطفه، يجب أن يكون مشجبك في نفسك، إن أخشى ما تخشاه هي: القيود وأخشى ما يخشاه هو: الحرية"

1 عمر دالي التفاعل الثقافي بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية الجديدة "حكاية العربي الأخير" لواسيني لعرج أنموذجاً جامعة تيزي وزو مجلة قضايا النقد جامعة البويرة. ص 123

2 عامر جميل الصرايرة جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011 بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الشوايكة جامعة مؤتة 2016 ص 123

فصورة الآخر في نظر الثقافة العربية بين مرحلتي قبل ظهور الإسلام وما بعده، وما إن اتسعت الفتوحات وبدأ العرب المسلمون تكوين إمبراطوريتهم حتى بدءوا يكتشفون الآخر المتنوع بكثافة، وكان هذا الآخر محصوراً في قارتي آسيا وأفريقيا، ولم يعرف العرب الآخر الغربي إلا مع الحروب الصليبية التي شكلت منعطفاً تاريخياً في رسم الصلة بين الأنا العربي والآخر الأوروبي،¹ وحدد ملامح صورة هذا الآخر التي ما زالت قائمة حتى اليوم. وما عاد الآخر بالنسبة إلى العرب والمسلمين منذ اندلاع هذه الحروب هو الآخر المتعدد والمتنوع الذي عرفوه في القرون الأولى للإسلام، بل أصبح الآخر هو الغرب الذي وعوا وجوده عندما دخل حاملاً سيفه على أراضيهم

جنود ثنائية الأنا والآخر في كل من الثقافتين العربية والغربية، يعتبر عابد الجابري أن "فكرة الآخر كما نجدها في الثقافة الأوروبية فهي غائبة تماماً عن فضاء الفكر العربي الإسلامي"²

فنجد الراوي يقول "إسماعيل دُفع ليحقق تواصله مع لحن الناس فالكون: النور على نور -ولو مؤقتاً- لم يكن هيناً. إن الذي يحدث على مسار النمو، بما في ذلك أزماته (أزمات النمو) التي تصل حدتها أحياناً إلى درجة المرض، هو أن تتحقق إيجابيات بادئة تدل على طفرة نمائية واعدة، لكنها تجهض إلى عكسها، أو ينحرف مسارها هنا أو هناك دون أن تنكسر إيجابيات البداية، هذا ما يسميه الطب النفسى أحياناً: تنوع المأل، أو عدم تجانس بقايا الأزمات والاضطرابات"³

وهو الموقف نفسه الذي نجده عند إدوارد سعيد قائلاً: "ما من مهرب لأجد من التعامل مع الانقسام إلى شمال/جنوب، إن لم يكن مع شرق/غرب، من يملكون/من لا يملكون، الإمبريالي/ المناهض للإمبريالية، الأبيض/الملون، وليس بوسعنا أن نتجاوز هذه الانقسامات"⁴ وهو ما أدى بإسماعيل الاعتراف بحبه تجاه فاطمة "أن إيمانها الأعظم كان بهذه الوسيلة الوصلة بين الإيقاع الشخصي والإيقاع الكوني (السيدة زينب) "إنها لم تكن تؤمن بي، إنما إيمانها ببركتك أنت وكرمك ومنك، ببركتك أنت يا أم هاشم"⁵

1-2 الذات الهاربة في الرواية :

1 عامر جميل الصرايرة جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011 بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الشوابكة جامعة مؤتة 2016 ص 213

2 محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العربية والإسلام... والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، ط 4 2012 ص 125

3 يحيى حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000. ص 144

4 إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت-لبنان، 2003. ص 145

5 يحيى حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000. ص 143

بعد أول ليلة من رجوع إسماعيل من لندن وقبل خلوده للنوم، سمع والدته تدعو بنت عمه فاطمة لتقطير زيت أم هاشم في عينيها قبل الخلود إلى النوم. لقد أثار هذا الأمر استغراب إسماعيل والذي سأل والدته عن جدوى تقطير الزيت في عيون فاطمة، لتجيبه والدته أن زيت قنديل أم هاشم بركة وفيه شفاء لكل الأمراض. فقام هاشم بفك عصا عيني فاطمة ليلقي نظرة عليهما ويفاجأ بسوء حالتهما بسبب رماد زيت قنديل أم هاشم فيجن جنونا إسماعيل. أخذ إسماعيل عصا والده وذهب إلى قبر أم هاشم وقام بتحطيم وتكسير قنديل أم هاشم المبارك، ليفاجئ بهجوم الناس عليه والذين إنهاروا عليه بالضرب لدرجة الإغماء¹

أما الشخصية الثانية التي ضاعت في الآخر الأميركي في رواية "شيكاجو" فكانت شيماء محمدي التي غادرت مصر إلى جامعة لينوي بهدف تحصيل شهادة الدكتوراه في علم الهيستولوجي، لكن الكبت الذي فرضه عليها مجتمعها المصري جعل بحثها عن تفريغه شغلها الشاغل في أميركا. فبعد ما عاشت في قلب المجتمع الأميركي اقتنعت بأن ممارسة العلاقة خارج الزواج لن تنزل عليها الغضب الإلهي، رغم أنها فتاة محجبة تلقت التعاليم الإسلامية منذ نعومة أظافرها، فأضاعت قيمها الشرقية التي تحرّم هذه الممارسة اللاشعرية

وهو ما نجده مجسدا في الرواية يقول يحي حقي "كان أستاذه يقول: "هذه الرواية رواية رمزية؛ لأن" السمة المميزة لقصة الحدث الرمزي أنها قصة تكتب أساساً من أجل تقديم موضوع ما تقديمًا درام² إن صورة الأنا تستند إلى تجارب وخبرات غنية وكافية قام بها الأديب في المجتمع الذي يصوره، إذ ولد ونشأ في ذلك المجتمع، وهكذا فالمعرفة العميقة والشاملة بالمجتمع الذي يصوره الأديب تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية وذلك خلافاً لصورة يقدمها أديب لشعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة. 2-السبب الثاني: فيتمثل في أن الأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن ذلك المجتمع، وهو به ماديا واجتماعيا، ونفسيا وأخلاقيا³

ومن العناصر التي تنطوي عليها الرؤية الفكرية للصراع الحضاري بين الشرق والغرب فكرة (الكراهية المتبادلة). ويعبر الكاتب فنيًا عن هذا الجانب – بشكل موضوعي بحث – لتبدو هذه الرؤية مطروحة من خلال الشخصيات نفسها؛ ومن خلال الشخصيات الثانوية على الأصح؛ فهي "تعمل بشكل أكثر إثارة، حيث يأخذون دور المنازل، أو المنافسين للشخصيات الرئيسية، فيتفاعلون معها، أو يصطدمون بها". ولناخذ على سبيل المثال

¹<https://www.ihatabnafsak.com>, 2021

²حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتور نعيمة بن ستيحي 2018-2019 ص 143

³لوبيكيري، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، بغداد، 1972، ص 165

شخصية الأب (والد إسماعيل). لقد كانت شخصية الأب مهيأة منذ البداية لرفض القيم الغربية بقضيتها وقضيتها، فالأب رمز للأصالة والانتماء إلى الجذور. وهو حين ألحق ابنه بجامعة أوربية كان مضطراً، ورأى أن هذا الأمر "إحسان من كافر لا مفر من قبوله" لا مناص - إذن - من الصدام بين الأب وإسماعيل (وهو رمز للصدام بين القديم الأصيل والحديث الوافد من الغرب)، ولذلك لا يقبل الأب اتهام إسماعيل للمصريين بالتخلف، ولا يُسلم بانتقاده لزيت المصباح، ونراه يقول: "هل هذا هو كل ما تعلمته في بلاد بره؟ كل ما كسبناه أن تعود إلينا كافر".¹

ولا ريب أن الدلالة الرمزية واضحة في المقابلة في أفكار إسماعيل الشرقي و«ماري» الغربية سواء في النظرة إلى الحب أو الزواج أو الحاضر أو المستقبل، أو القيود والحرية. فالدين لدى إسماعيل مثالي مثل شيئاً كائناً في الخارج، مثل المشجب، تماماً، أما المعيار عند ماري فانه في الداخل من الذات، والحياة حركة جدلية متجددة، وليست قانوناً ثابتاً، «يقول لها: "تعالى نجلس" فتقول له قم نسير، يكلمها عن الزواج، فتكلمه عن الحب. يحدثها عن المستقبل فتحدثه عن حاضر اللحظة... إن أخشى ما تخشاه هي: القيود، وأخشى ما يخشاه هو الحرية»²

وخلال ما تم سرده ، لم نلاحظ أن هناك أي علاقة ود بين الأنا والآخر، وأن أي تقارب بينهما لم يكن إلا على سبيل المصلحة: مثل علاقة العميل بالحاكم العسكري، أو العامل برب العمل، وذاك العاشق بجسد معشوقته، فلم تستهوه روحها وإنما فتن بجسدها. وكذلك فإن الكتاب الفلسطينيين، حتى وهم ينتقدون الآخر ويبينون بشاعة أفعاله، لم يعمدوا إلى شيطنته وتجريده من إنسانيته مثلما أنهم لم يدعوا للتصالح معه. ولا تدعو الروايات الفلسطينية إلى كراهية الآخر، حتى وهي تظهر مثالبه وظلمه وجبروته. ولم نلاحظ بتاتا خلال الروايات التي استعرضها الكاتب أن أيًا من الكتاب الفلسطينيين يحتفي بالآخر ويمجده على حساب الأنا، حتى عندما ينتقد المجتمع والإنسان الفلسطيني؛ مما يدل على أن اعتزاز الفلسطيني بنفسه يبقى عالياً حتى في أوقات الهزيمة. ونلاحظ أيضاً ارتباط الأنا الفلسطينية بالأرض، بينما يظهر الكتاب أن الآخر غير مرتبط بهذه الأرض وغريب عنها.

ولعل فاطمة النبوية ترمز إلى الشرق، فهي تنظر عودة المخلص عالماً وقادراً ومحباً، ولذلك أكد الأب في وصيته: اعلم أن أمك وأنا قد اتفقنا على أن تنتظر فاطمة النبوية، فأنت أحق بها وهي أحق بك، هي بنت عمك وليس لها غيرك، وان شئت قرأنا الفاتحة معاً يومنا هذا، عسى أن يصحب سفرك البركة واليمن³. (يوسف، 2006، صفحة 154)

¹<https://www.diwanalarab.com>, 2020

²(<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/50992.html>, 2020)

³عبود عبده: الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية، منشورات جامعة البعث، 1991-1992 ص 146

تتنازع الذات في هذه الرواية مجموعة من الهواجس، فهي ذات قلقة، تائهة بين إرث الماضي ومعطيات الحاضر. يمثل توفيق الصادقي في هذه الرواية نموذج المواطن المغربي الذي تتنازعه مشاعر متضاربة؛ فهو متعطش إلى ما تحمله اللغة الفرنسية وما يحمله أبنائها من أساليب مختلفة. وفي الآن نفسه فإن استجابته العفوية إلى مظاهر الحياة الموروثة تدفئه بروحانياتها الجماعية المؤنسة رغم أن الذات أصبحت تتجاهل نفسها حتى أضحت معايشة سنوات بين شخصين قد تجعلهما يعايشان السطح فقط دون النفاذ إلى أعماق النفس. إنه الجانب المقلق من السلوك المغربي¹

2-3 فكرة الرجوع إلى الذات

تشكل الذات الفردية والجمعية بتفاعلاتها مع المحيط السوسولوجي والآخر الأجنبي المحور الذي قامت عليه الرواية العربية منذ بداياتها وذلك بفضل إمكاناتها السردية والجمالية القادرة على استيعاب الذات واحتواء الآخر بصوره المختلفة، وبهذا تصبح قراءة الرواية مغامرة للبحث في عوالم الذات الإنسانية التي تعد مركز الخطاب الروائي الساعي إلى فهم إشكالياتها وطرح جميع أسئلتها المرتبطة بذاتها وعلاقتها مع الآخر المحكومة بمختلف السياقات²

المجتمع الذي يؤمن بفكرة الولي مجتمع تحكمه قوانين صارمة، وهو غير قابل للتغيير والتطور بسهولة، وفيه درجة عالية من التماسك والثبات. وتعطل في هذا المجتمع قدرات الإنسان الفرد، ويعلى من شأن حركة الجماعة. فلا بد من الرضوخ لقيم الجماعة وتقاليدها ولا بد من التسليم بطقوس الجماعة التي تؤدي بشكل جماعي، ولذا فإن على الإنسان الفرد أن يسلم بأفكار الجماعة ومعطياتها. أما محاولة التغيير في الواقع، وهو حلم يطمح إليه الإنسان المقهور، فهي لا تتم بوعي قوانين الواقع الاجتماعي، وإحداث التغيير فيها بفعل الإنسان، وإنما يتم ذلك بالتوسل بالولي، إنسانا، وفكرة، وضريحا، لإحداث هذا التغيير. وهو يتم بقوة خفية غامضة. وتفسر أحداث المجتمع سلباً وإيجاباً في ضوء هذا الفهم. ولئن لم تؤثر الدعوات التي ينثرها زائرو الأولياء والنذور التي يقدمونها أكلها، فلأنّ خلافاً في الإنسان يحول دون تحقيق معجزة الولي فيه

تعيش الهوية المغربية صراعاً وتمزقاً بين التقاليد وخرقاً لها. لهذا نجد الصادقي قد عانى كثيراً فيما يخص أزمة زواج فدوى من الفرنسي ميشيل. فبينما لا ترى فدوى مبرراً لفرض شرط إعلان إسلام الفرنسي حتى يستطيع

1حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتور نعيمة بن ستيقي 2018-2019 ص135

2حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتور نعيمة بن ستيقي 2018-2019 ص146

الزواج منها وفق التقاليد الإسلامية، يقول الصادقي بأن هذا الشرط ضروري لكي يحافظ على هويته وعلى تقاليد أسرته، ويبرر قراره بفرض هذا الشرط على زوج ابنته فدوى بقوله: "لكن هناك حدوداً، أنا عمري ما فرطت في التقاليد"¹

فصورة التأثير بالغرب التي شهدتها الذات في تلك الفترة إذ نجد "يحي حقي" لم يغفل عن هذا الجانب بل دعى من خلال روايته إلى التمسك بمبادئ الذات وتجنب التماهي في الآخر الذي بالغت الذات في تمجيده وهو ما يتجلى من خلال المقاطع الآتية:

إذ نجده يقول "وأعد العشاء وجلسوا ولعلمهم جلسوا حول مائدة لهم من الخشب الأبيض لم يأكل عليها أحد لم يأكلوا هم من حد الفرخ، ولم يأكل هو من صدمة اليقظة، اعترف لي إسماعيل فيما بعد بأنه حتى في اللحظة التي كان يجب أن تشغله سعادة العودة إلى أحضان والديه عن القياس والمقارنة والنقد"²

مظاهر التخلف للذات في الرواية ... وحجم الاعتقاد في غيبيات بعيدة عن حقيقة الإسلام، لأنه جسد المستوى المتدني حتى في مستوى الفهم الصحيح للدين «، إنها رواية مكاشفة الذات ونقد عقليتها التي لا تزال أسيرة المورث الخرافي، الذي يأبى الإقرار بتفوق العلم أمامه وكأنه بهذا ينفي تفوق الآخر عليه، كما تفضح الرواية واقع الذات العربية المثقفة التي تتأرجح بين الاستلاب والانزهازية، مسلطة بذلك الضوء على علاقتها مع الآخر ممثلاً في الغرب تارة ومع الآخر ممثلاً في مجتمع الذات³.

فكرة الانبهار والولع بالآخر، ما جعل "يحي حقي" يوكل مهمة الكشف عن الوجه الخفي للغرب وصراع الذات معه مجسداً في صورة البطل إسماعيل فالرواية تسرد بطريقة مباشرة سيناريو شرق وغرب وعن صراع أزلي بينهما.

عدم الشذوذ عن النسق الثقافي والاجتماعي للذات، وهنا يكون مرحباً ومقبولاً به وإما المخالفة التي تجعله شخصاً غير مرغوب فيه بل مرفوضاً ويصل الأمر إلى حد اتهامه بالكفر، وهذا ما تعرض له إسماعيل حين استنكر معالجة والدته لفاطمة النبوية بزيت "قنديل أم هاشم" وفي الليلة الأولى التي جاء فيها من انجلترا أين كان

¹نبيل عبد العزيز البديري: الانتماء الوطني وعلاقته سيمات الشخصية والتماسك الأسري لدى طلبة الجامعة، ط.1 2014 ص154

²يحي حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000. ص146

³حنان سعدي: تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي، مذكرة ماستر جامعة بسكرة، إشراف الدكتورة نعيمة بن ستيحي 2018- 2019 ص146

يدرس طب العيون، حيث قال لها¹.

لذلك حضارة الغرب بمثابة صدمة للذات العربية، فأوروبا التي كانت بالأمس تستجدي سبل نهوضها من عطاءات الشرق وإنجازاته أصبحت تفرض صورتها وتبسط قيمها الحضارية التي زادت من حدة الشعور بالهزيمة وبضياح بريق التاريخ، ويكتسي موضوع المواجهة الحضارية مع الآخر خصوصية وحساسية في منطقتنا العربية، لأن الأمر لم يتوقف عند رغبة اللحاق بالتطور التقني للآخر بل أن الرغبة الكامنة للذات في نفوس أصحاب الرسالة السماوية الخاتمة تتفجر بأمانى التفوق واستعادة الريادة الحضارية واختلاف دوافع المواجهة للذات العربية مع الآخر² (التلاوي، 1998، صفحة 154)

إن قداسة المورث ولو كان خرافيا في عقلية الذات الشرقية التي تمارس الإقصاء على كل من يحاول استصغاره أو تدنيه حتى ولو كان هذا المندس تحت شعار العلم "فإسماعيل" هذه الذات المثقفة كانت تعيش الاستقرار النفسي كونها متصالحة مع مجتمعاتها تتقاسم معه حتى جهله لكن سرعان ما سافر هذه الذات لتلتقي بالآخر الذي يصبح مرآتها لحظتها فقط تستيقظ من سباتها الخرافي الجاثم على تقدمها ليكون بذلك الآخر³.

الخاتمة

يتحدد مفهوم الآخر حسب رؤية الذات، له ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة، فهو فقط يختلف عن الأنا و، في نفس الوقت الأنا والآخر مرتبطان رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما؛ من اصطدام الآخر مع الأنا وعدائه لها، وتمرده عليها مما يشكل علاقة انفصال في بعض الأحيان أو، كان الآخر صديقا ومنجذبا نحو الأنا مما يشكل علاقة تواصل، وبالتالي أن، أي استبعاد لواحد منهما يعني موت أحدهما.

لا شك أن الكاتب حين خاض هذه التجربة العميقة في البحث عن الأنا والآخر في الرواية كانت حينها الأمة العربية غارقة في البكاء على الأطلال، وعلى ما خلفته وراءها من صروح حضارية وثقافية دون الوقوف على أسباب التطور التي صنعت من صحراء العرب وفيافيهم مشاهد للمدينة في أبهى عطاءاتها والإكتفاء بتمجيد انتصارات الماضي لتبقى الأمة العربية تراوح مكانها تقف وتستوقف وتبكي على أمجاد غابرة فكان القبوع في التاريخ بمثابة إنهمامات في الحاضر.

¹ حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتور نعيمة بن ستيبي 2018- 2019 ص156

² حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتور نعيمة بن ستيبي 2018- 2019 ص165.

³ حنان سعدي : تمثيلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتور نعيمة بن ستيبي 2018- 2019 ص165.

ولم تكن نظرة "يحي حقي" للعلاقة مع الغرب في "قنديل أم هاشم" في الأربعينيات أسيرة المنظور الديني، ولكنها نظرة مركبة بالمعنى الثقافي والعلمي والاجتماعي وربما النفسي. ففي هذه الرواية نجد أنفسنا في معترك إشكالية الوعي بالاختلاف العلمي القيمي والثقافي. إن القيم الغربية التي تجسدها شخصية "ماري" تلك الفتاة التي التقى بها إسماعيل في غربته، تكشف الفجوة الثقافية والقيمية بين العالمين، فماري تمر في الرواية كلحظة غريبة كاشفة تجعل بطل الرواية يرى ذاته من منظور مختلف.

إن استكمال يحي حقي لمشروع ثنائية الأنا والآخر هو تغيير أو توضيح لبعض الاختلافات بين الجبهة الشرقية والغربية أو بعبارة أخرى تصحيح لما تم التورط فيه من أخطاء حول الجبهتين، فمشروع يحي حقي في رواية قنديل أم هاشم هو الوقوف على انشغالات تنوير الفكر العربي من حيث نقد تراث الماضي ونقد التراث الغربي وبين التراث الماضي والتراث الغربي تحليل الواقع الموضوعي وتغييره.

يحي حقي يقف في نقده لتراث الماضي من حيث إعادة بنائه أي إعادة بناء الموروث الثقافي لأنه مخزون نفسي متراكم، فنقد تراث الماضي وتجديده وفق حاجات العصر، هو تجديد لهذا الموروث، من حيث قدرته على إعطاء تصور علمي للعالم.

المصادر والمراجع

الكتب:

- 1- إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت-لبنان، 2003.
- 2- حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، بيروت، دار الساق، 2010.
- 3- طر أبيشي، جورج، شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1977.
- 4- عامر جميل الصرايرة جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011 بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الشوابكة جامعة مؤتة 2016
- 5- عبود عبده: الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية، منشورات جامعة البعث، 1991-1992
- 6- لوباكبيرسي، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، بغداد، 1972
- 7- محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العربية والإسلام... والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، ط4، 2012.
- 8- نبيل عبد العزيز البدرى: الانتماء الوطني وعلاقته سيمات الشخصية والتماسك الأسري لدى طلبة الجامعة، ط1، 2014
- 9- يحي حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2000.
- 10- يعقوب موسى صمامة: سيكولوجية التعليم التعاوني والتنافسي والفردى، كلية الآداب، جامعة الفاتح، ليبيا، العدد 200.

المجلات :

- 1- مجلة الفكر السامي العدد ، 26 السنة الثامنة 2006
- 2- مجلة قضايا النقد جامعة البويرة

الرسائل والمذكرات

- 1- حنان سعدي : تمثلات الذات في رواية ذاكرة عا شقة لممدوح البقاعي ، مذكرة ماستر جامعة بسكرة ، اشراف الدكتورة :نعيمة بن ستيي 2018-2019
- 2- عامر جميل الصرايرة جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011 بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الشوابكة جامعة مؤتة 2016
- 3- عمر دالي التفاعل الثقافي بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية الجديدة "حكاية العربي الأخير" لواسيني لعرج أنموذجا جامعة تيزي وزو ومجلة قضايا النقد جامعة البويرة .
- 4- هادية صليحي : صورة الآخر وعنفه في رواية الصدمة لياسمين خضراء دراسة نقدية تحليلية إشراف الأستاذة راوية شاوي ، مذكرة ماستر جامعة قلمة قسم اللغة والأدب العربي 2018 .

المعاجم والقواميس

- 1- ابن منظور: لسان العرب، ج 13، دار صادر، بيروت ، لبنان ، 1414.
- 2- لويس معلوف: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان ، 1991 م

المواقع الإلكترونية:

- 1- <https://www.diwanalarab.com>
- 2- <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/50992.html>
- 3- <https://www.ihatabnafsak.com>
- 4- www.aljazeera.com/th
- 5- <https://www.mominoun.com>



تمثيل الأدب العربي في المهجر الشمالي

الدكتورة عرفاني رحيم

أستاذة بقسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا. أوتني بورة

الملخص:

تعتبر المرحلة ما بين أواخر القرن التاسع عشر و القرن العشرين من أهم المراحل في تاريخ الأدب العربي عامة وهي الفترة التي برز فيها أدب المهجر على يد أدباء العرب أغلبهم من سوريا و لبنان. ضاقت بهم سبل الحياة فكان الاغتراب لهم أملا في حياة أفضل وكانت الكتابة وسيلتهم للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم وآرائهم. إذ جاء هذا الأدب بأفكار جديدة تهدف إلى تجديد الأدب العربي وتخليصه من قيود التقليد والجمود وجعله يواكب روح العصر. وكان للهجرة أثر بارز في تطور الفكر العربي والنقدي لدى المهاجرين , ذلك أن البيئة تلعب دورا هاما في الأدب . فلكل بيئة بنيتها الثقافية ونظمها الخاصة وبتغير البيئة تتغير الأفكار وتتطورو لعل الأدب المهجري أكبر مثال على تطور الفكر الأدبي الذي تأثر بأفكار جديدة متداولة في بيئة مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي ألفها المهاجرون.

هذه المقالة تسلط الضوء على دور الرابطة القلمية التي تعد إحدى من أعمدة مدرسة المهجر وأكثرها نشاطا. فكان نموذجا من نماذج عصر التنوير في الثقافة العربية وظهرت لها نتائج واضحة. وإذا ذكر أدب الهجرة تبادر إلى الذهن جماعة الرابطة القلمية في المهجر الشمالي والعصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي الممثلين في الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية والذين أثرا تأثيرا واضحا في تطوير القصيدة العربية الحديثة وحملوا إلى الشعر العربي تأثيرات الرومانطيقية والإنجليزية والأميركية. وعلى رغم من ذلك فإن شعراء هذين التيارين ظلوا على تواصل مع مسقط رأسهم بالفكر والرؤية الثقافية والشعرية رغم انفصالهم عنه بالجسد. فهاتان الرابطتان هما المثل الحقيقي عن أدب المهجر وثورة التغيير نحو ظهور خصائص فنية جديدة في شعرهم وأفكارهم النقدية.

الكلمات المفتاحية:

الأدب المهجري . الرابطة القلمية. أدب مشغول بالحياة.

مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , بدأت موجة هجرة كبيرة إلى الأمريكتين , كان مصدرها الرئيس بلاد الشام ولبنان بشكل, حيث هاجر كثير من الناس على العموم وعدد كبير من الشبان اللامعين في الأدب والشعر إلى العالم الجديد هربا من جور الأتراك وبعضها إنتاجا للرزق والبعض الثالث للسبيين معا. وأقاموا في كندا والولايات المتحدة وفي دول أمريكا الجنوبية , ومن بينها البرازيل والأرجنتين و شيلي ونقلوا اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة. يرى المؤرخون أسباب الهجرة كثيرة لا يحصها عدد. منها عوامل سياسية كظلم ودكتاتورية الحكم العثماني وحرمان الحرية وتحميل الضرائب الثقيلة على الشعب ومنها اقتصادية ككثرة سكانها وقلة الملكيات و شيوع النظام الاقطاعي و ثقافية كاختلاط الثقافات الأجنبية بالثقافات العربية وكثرة التمرد لدى سكانها واجتماعية كالجمود العام و الشعور بالخيبة. فأنشأ أولئك المهاجرون في تلك الديار النائية أدبا , يعبرون عن مشاعرهم وعواطفهم , و يتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى أوطانهم ويصف فيه البلاد التي أقاموا فيها ومظاهر الحياة السائدة في حياة الناس هناك, كما يصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة منيرة, وكان أدبهم هذا هو الأدب المهجري , الذي أصبح مدرسة أدبية كبرى بين مدارس الأدب الحديث وعنى به الأدباء و النقاد وكتب حوله وحول أعلامه في النثر والقصة والمسرحية والشعر الكثير من البحوث والدراسات.

وهذا الأدب هو حديث النشأة , ولد مع القرن العشرين, وأصبحت مدرسة أدبية كبرى بين مدارس الأدب الحديث ومذاهبه ومتناولا الحياة في جميع مظاهرها ومشاهدها , ومن شتى جوانبها وتياراتها و فلسفاتها , كما تناول مختلف ألوان النشاط الأدبي : من قصة ومقالة ونقد ونثر وشعر ومسرحية و من فلسفة وحكمة وتجارب, و من تأملات وحنين وأنين, وأمل وألم . فقد مر هؤلاء الشعراء في وطنهم الجديد بتجارب قاسية وعانوا من الشوق والحنين إلى الوطن وواجهوا عالما مختلفا كل الاختلاف : فأحسوا بالحاجة إلى التعبير عن عالمهم الداخلي.

يشبه د .منعم الخفاجي هجرة هؤلاء الأدباء مع هجرة الآداب العربية إلى بلاد الأندلس في آخر القرن الأول الهجري وأول القرن السابع الميلادي. كلاهما عاشا في بيئة جديدة وإن اختلف الأدبان أحدهما عن الآخر. فالأدب المهجري نشأ في بيئة لا يملك الناطقون به فيها نفوذا ولا جاهها ولا ثراء ولم يمض عليه بعد أكثر من سبعين عاما. أما الادب الأندلسي فقد نشأ وعاش في بيئة يملك الناطقون به فيها كل أسباب السيادة والنفوذ والسلطان. وكانت السيادة فيها للعرب والعربية و حكمها العرب و جميع المظاهر فيها

عربية وإسلامية ومضى على الأدب العربي في الأندلس أكثر من ثمانية قرون.¹

فأدب المهجر مزيج من الواقعية والرومانسية والرمزية , أدب مشغول بالحياة, متفاعل معها , يعتمد على التجربة الحية المعاشة , ويتجه إلى الحياة ها هو أفضل وأجمل وأكثر إسعاداً للبشر, وإلى تعميق الشعور بالحب والخير والجمال, إنه أدب قائد هادف يناصر قضية (الفن للحياة). كما ظهر فيه الإنتاج الأدبي الكبير نال حظاً من الذيع والشهرة. وتناول هذا الإنتاج الأدبي الحياة في جميع مظاهرها ومشاهدها , ومن شتى جوانبها وتياراتها وفلسفاتها , كما تناول مختلف ألوان النشاط الأدبي ممثلاً دعوة الحرية, داعياً إلى الثورة على الظلم والاستبداد في بلاده, كاتباً عن العرب والشرق بمختلقات اللغات العالمية وترجموا كثيراً من أصول الثقافة العربية إلى هذه اللغات كما ترجموا كثيراً من آداب المهاجرين إليها تحمل رسالة العروبة. يقول جبران : "إن روح الغرب صديق إذا تمكن منا , صديق إذا فتحنا له صدورنا , وعدو إذا وهبنا قلوبنا , صديق إذا منه يو افقنا , وعدو إذا وضعنا أنفسنا في الحالة التي تو افقه".²

فيمثل هذا الأدب ظاهرة أدبية متألفة في الأدب العربي الحديث في مطلع القرن العشرين واستمرت طوال خمسة عقود, وقد التفت رواد هذا الأدب وفي مقدمتهم جبران خليل جبران إلى الفن القصصي والروائي, ونجح الريحاني في تقديم قصتين. الأولى "زنبقة الغور" والثانية بعنوان "خارج الحريم" قبل الحرب العالمية الأولى. وقدم في كتابه "خالد" سيرة حياته بأسلوب استعاد فيه بعض أدوات الرواية كطريقة العرض والبناء. وكان ميخائيل نعيمة زميل جبران في الرابطة القلمية قد عالج فن التمثيل بكتابة "مسرحية الأباء والبنون". ثم أخذت تتوالى أعمال هؤلاء الأدباء. وهذا في أدب المهجر الشمالي, الذي نال القسط الأكبر من الإنتاج الأدبي.

خرجت الرابطة من حيز التفكير إلى حقيقة الوجود في 30 من نيسان عام 1920 م, يرأسها جبران خليل جبران عميدا وكان الذي حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح المشهورة ويعاونها ميخائيل نعيمة في إدارتها مستشارا ووليم كاتفليس خازنا ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون يحملون اسم العمال هم : إيلياء أبو ماضي , نسيب عريضة , عبد المسيح حداد, رشيد أيوب ندرة حداد , وديع باحوط , إلياس عطا الله" وكانت الأعمال الأدبية لأعضاء الرابطة القلمية

¹ قصة الأدب المهجري د. عبد المنعم الخفاجي ب ط 1

² أدبنا و أدباؤنا في المهجر الأميركية جورج صيدح ص 62 تاريخ النشر 1965

توضح أغراضهم وهو " التأمل في كل مجالات الوجود وما وراء و النفس الإنسانية و الطبيعة و ماوراءها و قيم الحياة من خير و شر و حب و بغض. وكان للشماليين الباع الطويل . وفي مقدمتهم ميخائيل نعيمة بشعره و نثره و منهجه النقدي الذي عبد به الطريق أمام الأدباء الآخرين. فكانت الغاية التي يسعى إليها أعضاء الرابطة بعث الأدب العربي و بث روح جديدة فيه كما تنادي هذه الرابطة بالتجديد و وجهت الأدب توجيها قويا نحو الرومانسية كما ثار أعضاء هذه الرابطة على القواعد و التقاليد البالية ¹.

اهتمت الرابطة بنشر مؤلفات عمالها و مؤلفات سواهم ممن كتاب العرب المستحقين، و ترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية كما أعطت جوائز مالية في الشعر و النثر و الترجمة تشجيعا للأدباء. فصدرت مجموعة الرابطة القلمية عام 1921 التي اشترك فيها عمال الرابطة و شكلت كتابا يحوي موضوعات متنوعة في الأدب و اللغة و الفلسفة و الاجتماع، وكان لهذه المجموعة أثر في الشرق العربي و في المهجر.

إن كتاب الغربال لميخائيل نعيمة الذي ظهر عام 1923 و قدم له العقاد ، يمثل أفكار الرابطة القلمية تمام التمثيل، و يمثل كذلك روح التجديد التي كانت تدفع أدباء المهجر إلى الميدان الأدبي في قوة و عزم و إصرار. زود المكتبة العربية بإنتاجه الأدبي الروحي. و قد جعله في قسمين: الأول يحوي مقالاته التي عرفت بالمقاييس الجديدة و حدد فيه منهجيته في النقد و بين و اقع الأدب في زمنه، و القسم الثاني تطبيق عملي لتلك المقاييس إذ عرف بحسه النقدي. و يقول العقاد في مقدمة الغربال: "إنه لولم يكتب قلم النعيمة هذه الآراء التي تتمثل للقارئ في هذه الصفحات – لوجب أن أكتفي أنا- و هو نوع من المشاركة الأدبية بين ميخائيل نعيمة و العقاد. للعل من بواعثها تاثر نعيمة بمدرسة شعراء الديوان في التجديد تاثرا كبيرا".²

وكان أثرها عظيما في الشعر العربي الحديث فبوساطتها دخل إلى الشعر العربي نوع جديد من الشعور و من صدق الرؤيا و دخلت أيضا مواقف جديدة نحو الحياة و الإنسان و فتح شعراء الرابطة الطريق إلى التجديد الشعري و ليس المراد من التجديد الخروج التام عن التراث الأدبي القديم بل هو السعي إلى استيعاب قضايا المجتمع المعاصرة . فهناك قائمة طويلة لشعراء المهجر و أدبائه الذين عملوا تحت لواء هذه المدرسة الكبيرة. فهذا الأدب يصوغ لنا تجارب اتصال العقل العربي بالحضارة الأمريكية و ينقل إلينا

¹ قصة الأدب المهجري عبد المنعم الخفاجي ب ت

² نفس المرجع

الكثير من التأثيرات المختلفة بأدب الغرب وحضارته.

وكانت لهذه الرابطة الأثر الكبير في حياة الأدب العربي الحديث، وكان لجريدة "السائح" الدور الفعال في نشر الانتاجات الأدبية لأعضاء هذه الرابطة، وأكثر عمال الرابطة نشاطا في الإنتاج الأدبي وغزارة في المادة وأكثرهم أثرا في الأدب المهجري هم جبران وميخائيل وإيلياء ابوماضي ونسيب عريضة ورشيد أيوب الذين تميز إنتاجهم الأدبي بالخلق والإبداع من جانب وروعة التجديد من جانب آخر. واستمرت الرابطة القلمية بنشاطها حتى عام 1931 م بعد أن تبعثرت حباتها حين راح مقص الموت بقلم أعضائها مبتدئا بعميدها جبران خليل جبران وآخرها ميخائيل نعيمة.

وينادي ميخائيل نعيمة تحت هذه الرابطة بالتجديد ويرسم فيها للدعوة الجديدة سبلها، ولنقد الشعرو توجيهه مقاييس وموازين ويعد هذا الكتاب من أمهات الكتب النقدية والدعوة إلى التجديد. وهو أدب واقعي في أكثره، يتجاوب مع الحياة والحضارة، إذا استثنيا كتابات جبران وأشعاره الصوفية. مع أنه تتصف بنزعات كلاسيكية رومانسية وواقعية وسريالية واضحة. ومن الشعر الرمزي عند المهجريين قصيدة ابوماضي "الضفادع والنجوم" وهي رمز للثرثار الكذاب الجاهل المتطاول على أقدار الأولياء. وقصيدته "التينة الحمقاء" وهي رمز للبخل الشحيح الذي لا يعطي مما تعطيه الحياة. فيكون جزاؤه الموت محروما. كتب ميخائيل نعيمة مقدمة لدستور الرابطة ألقى ضوءا مشعا على جوهره وغايته، وحقيقة هدفه ورسالته، وعرف بها رسالة الأدب والأديب خير تعريف وأجمله وأكمله، قال:

" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا، ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب. فالأدب الذي نعتبره هو الأدب، وذلك الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأدب الذي نكرمه هو الذي خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر، في تموجات الحياة وتقلباتها".¹

إن هذه الرابطة قد بثت روحا نشيطة في جسم الأدب العربي وانتشلت من هذه الخمول والتقاليد. و يبدو في أكثر آثارها صفة التركيز، فقد عرف هذا الأدب قيمة الوقت. فتجنب الثثرة والبهرج الكاذب والقشور. وتعلق باللباب الصريح، وهو في كل هذا يجاري الوسط الذي أنشأه التفكير الأمريكي والاسلوب الأمريكي خاصة.

فدستور الرابطة والمقدمة يعطيان صورة كاملة عن هدفها وغايتها ويصور واقعها وحقيقتها و

¹ الغريال ميخائيل نعيمة الطبعة الخامسة عشرة 1991

الدافع الأساسي لإنشائها وتكوينها، وهو عمل أدبي بحت، يرمى إلى رفع مستوى الأدب والسموبه وإجلاله في المكان الذي يليق به، كأدب عالي إنساني وكأدب خالد حي.

فقد اختارت هذه الرابطة وسائل كثيرة لنشر إنتاجها الضخم وتعميمه على المغتربين. وكان لها صحف عديدة تتولى تحريرها أقلام ثرية شابة وأفكار عميقة واسعة خبرة. وكتاب هذه الرابطة وشعراؤها وإن اختلفت مناهج تعبيرهم ووسائل أدائهم وتصويرهم فإن الجميع ينهلون من نبعه واحدة ويصدرون من فكرة واحدة.

كانت الرابطة القلمية تصدر مجموعة أدبية دورية باسمها وقد أسهم في تحريرها رشيد أيوب وقد طبعت مجموعة الرابطة القلمية طبعة أولى في نيويورك. وكانت قيام الرابطة القلمية في نيويورك ضرورة دعا إليها احتجاب مجلة الفنون الأدبية التي أنشأها الشاعر نسيب عريضة وهي رابطة رأى فيها أدباء المهجر الشمالي أنها "تضم قواهم وتوحد مساهمهم في سبيل اللغة العربية وآدابها"، والأدب عندهم هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها. والأدب هو الذي خص برقة الحس ودقة الشعور بمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير. وبعد قيام هذه الرابطة أصبحت جريدة السائح لسانها الناطق وصدرت أعداد ممتازة منها تصور الحياة الأدبية في المهجر. وتحدث عن نشاط الرابطة القلمية وأعضائها.

ومن هذه الصحف والمجلات التي اتخذها شعراء المهجر منابر لأصواتهم جريدة "الهدى" صحيفة" مرآة الغرب"، مجلة الفنون"، جريدة السائح. فالفنون كانت مجلة فنية أدبية عدها نعيمة المجلة الأولى في عصره. ومن الصحف الأخرى جريدة "المهاجر" وهي أول جريدة نشرت لجبران خليل جبران". وعرفت في البلاد الجديدة ومجلة "السمير" كانت من أوسع المجلات العربية انتشارا في العالم الجديد وهكذا كانت الصحف والمجلات حملت إلينا أدبا ماثورا فيه روح الجدة والحداثة الإنسانية.

ووجه جبران الرابطة القلمية توجيها قويا نحو الرومانسية وامتد تأثيره إلى الشرق العربي كله، سواء في الشعر الموزون أم الشعر المنثور وكان تأثيره أوضح ما يكون في خلق شعر المناجاة الذي سماه مندور الشعر المهموس. وثار جبران على القواعد والتقاليد اللغوية. وكانت دعوات الرابطة إلى الحرية والتسامح والنهضة جريئة. وتمثل الرابطة نوعات التجديد الحر في الأدب العربي المعاصر. كما تميز إنتاجها الأدبية بالتأمل في الحياة وأسرار الوجود والتعمق في النفس الإنسانية واتساع النظرة إلى المجتمع البشري و التعلق بالوطن العربي والاتجاه إلى الرمزي التعبير.

ويعد جبران خليل جبران من أبرز شعراء، وكتاب الرابطة القلمية . إنه رجل الطبيعة الغنية ومزيج من فكر عميق . لقد فُطر هذا الشاعر على الطموح، والوله بالتأمل، والشغف بالجمال، لقد وضع جبران نموذجا للشعر والشاعر وطبقهما أمانة في نتاجه الشعري فالشاعر برأي جبران هو ذلك المتعبد الذي يدخل هيكلًا، فيجث باكيا فرحا نادبا مهللا مناجيا مصغيا، ثم يخرج وبين شفثيه ولسانه أسماء، وحروف، واستدعاءات جديدة لأشكال عبادته التي تتجدد كل يوم، وأنواع انجذابه التي تتغير في كل ليلة، فيضيف بعمله وترا فضيا إلى قيثارة اللغة ، وعودا طيبا إلى موقدها. بذلك استطاع جبران أن يتميز بأسلوبه كتميزه في فكره ، وإذا طريقتة في ذلك تجنح في الخيال وتفنئ بالتصوير، وتعذب بالنغم، فيستوي أصيلا رائدا فيها. إن جبران خليل جبران هو رجل الانفرادية الاجتماعية التي تريد أن تنمي الفرد بغذاء المجتمع الإنساني و تريد أن تنمي المجتمع بغذاء الانفرادية. إن حياة جبران الأدبية مرحلتان : مرحلة ما بين 1905 و 1918، وهي المرحلة التي كتب فيها باللغة العربية دون سواها. والمرحلة الثانية هي مرحلة ما بين 1918 و 1931 . فكانت في معظمها كتب باللغة الإنجليزية.

ترك لنا كنوزا غالية ومن تلك الكنوز النثرية والشعرية هي عرائس المروج يتضمن ثلاث قصص، الأرواح المتمردة يحوي أربع قصص. وفي عام 1914 أصدر " دمة وابتسامة" مشتملا على ست وخمسين مقطوعة من الشعر النثري الرومانسي. ثم اصدر بالعربية كتابه " الأجنحة المتكسرة" و" العواصف" ثم أخذ يكتب بالإنجليزية منذ سنة 1918. رغبة منه في نقل رسالته الروحية إلى مختلف أنحاء العالم. فأصدر النبي، ورمل وزيد، والتائه والمجنون وقد نقلت جميعها إلى العربية. ويعد كتاب النبي أوسعها انتشارا إذ ترجم إلى عدة لغات. وله ديوان شعر يرمز إلى غايات فلسفية وقد شاع فيه صوتان: صوت شيخ مجرب الدهر وعرف الحياة، وصوت الفتى يرمز إلى بساطة الطبيعة وطهرها.

يتحدث عن الريح في كتابه " دمة وابتسامة" حيث تجلت ذاتيته في الطبيعة وكأنما يكتب بريشة المصور: "تمرين أنا فرحة زأونة نادبة، فندسمعك ولا نشاهدك، ونشعربك ولا نراك، فكأنك بحر من الحب، يغمر أرواحنا ولا يغرقها ويتلاعب بأفئدتنا وهي ساكنة. تتصاعدين مع الروابي وتنخفضين مع الأودية.....ففي تصاعدك عزم وفي انخفاضك رقة وفي انبساطك رشاقة."¹

فجبران يكاد يذوب في الطبيعة بعبارة الشعرية المجنحة. فقد أوتي قدرة على الوصف فكان يكتب

جبران خليل جبران دمة وابتسامة¹

بريشة المصور وإن لم يخل كتابته من بعض الشوائب. اعتمد جبران عدة أساليب للتعبير عن فكرة منها أسلوب القصص القصيرة، وأسلوب المثل، وأسلوب التأمل وكانت له فلسفة خاصة استقاها من مصادر متعددة ومن أعماق نفسه من أهم مقوماتها مبادئ التقمص ووحدة الوجود وهو يعتبر أنه صاحب رسالة، عبر عنها في شتى مؤلفاته ولا سيما الإنجليزية. ولكل شيء في كتابة جبران سر وسحر، للفظلة المفردة و العبارة المركبة. لقد قيل عن جبران: إنه عاش في حضن الأمواج والدموع والأحلام، يهجر هذا العالم بقلق وجودي عميق كأنما هو في غربة عن ذاته. يفتش عن إنقاذ الإنسان في مجابهة أبدية لأعداء الإنسان الكامنة في اغوار نفس الإنسان ذاته...¹

أما القطب الثاني في الرابطة القلمية، فهو ميخائيل نعيمة كما يسميه الكاتب "مارون عبود" بالأديب المسكوني الذي كتب ونظم على امتداد القرن شعرا، ونقدا، وقصصا، وفلسفة، وتعبدا، ومتنقلا بين روسيا، وأوروبا، وأمريكا بعد ما أمضى عامين في فلسطين.

هو فصيح اللسان، سيال القلم، واسع الإطلاع، عميق الفكر، بعيد الخيال الذي ترك تراثا كبيرا و متميزا في قيمته الفكرية والأدبية، ويستطيع المتابع أن يقسم هذا التراث إلى مرحلتين: مرحلة الهجرة الروسية والأمريكية، و مرحلة الاستقرار في لبنان، و خلال وجوده في روسيا كتب عددا من القصائد الشعرية أتمها في نيويورك لتظهر إلى العلن ديوانا شعريا وحيدا له هو (همس الجفون)، ومسرحية (الآباء و البنون)، وكتاب نقدي (الغربال)، وكان ما كان (مجموعة أقاصيص)، وأنجز في لبنان بقية كتبه بعد عودته من المهجر وهي: مرداد وزاد الميعاد، والبيادر، والأوثان، ودروب، وفي مهب الريح و كتابه عن صديقه جبران، كرم على درب، أكابر، هوامش، أيوب، وفي الغربال الجديد وأحاديث مع الصحابة.

فقد خطا بالكتابة النثرية خطوات حاسمة ونقلها إلى ميدان الحياة وتنصف كتابته بالجدّة والروعة الجمالية. بناؤه القصصي متأثر بالقصة الروسية المعاصرة والسيرة عنده سرد وتحليل وهو يسكب في كتابته صور الطبيعة في شتى ظاهراتها وفي أدق أشكالها.

ويمكن لنا ان نعرف ميخائيل نعيمة على حد قول فرنشيسكو غبريالي – "أديب إنساني أكثر منه فيلسوف، وصاحب مذهب فكري معين، وكان للتيارات الدينية والمذاهب قيم وافر في نتاج نعيمة وتأثير

¹حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي العصر الحديث ص 277

عميق على مجرى تفكيره".¹

لقد ردد أعضاء الرابطة القلمية أنغام الحزن والألم والشقاء وصوروا صراهم للحياة وحرب الزمان لهم ومخالفة الفقر إياهم وتضورهم بالجوع والحرمان وعادوا بالدموع التي سكبها الشقاء والفقر، بل اليأس في بعض الأحيان.

يقول عبد اللطيف يونس في كتابه "المغتربون":

ليس في الأدب العربي، قديمه وحديثه، أسمى من الأدب المهجري، ولا أنقى، ولا أحلى. وليس في الأدب العربي كالأدب المهجري: وحدة رسالة ووحدة هدف ووحدة اتجاه. إن البذور الأولى للثورة المهجرية في ساحة الأدب، كانت قد غرست قبل تأسيس "الرابطة القلمية" وذلك حين دعا الكاتب والفيلسوف المهجري أمين الريحاني الأدباء والشعراء إلى نبذ موضوعات الشعر التقليدي وعدم السير في ركاب القدماء. يقول في إحدى وصاياه للشعراء "حرزوا صناعتكم من "قفا نيك" و"سائق الأظعان" إن عندك اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم. فهو يمتدح الشعر التأملي الذي يسلك مسلك الفلسفة ويشوبه بعض الفكر، ولذلك يعجبه من الأقدمين: المتنبي والمعري وابن الفارض وابن سينا خاصة في قصيدته المشهورة عن النفس. و الريحاني يريد من الشعر أيضا، أن يكون إنسانيا وقوميا، يعبر عن روح المجتمع ويصور آلامه.

Sana McHarek says:

"The three writers started their literary quest as pioneers of al-Nahda and members of a literary society known as Al Rabita al Qalamiyah, or the New York Pen Bond. This organization contributed widely to the Arabic literary renaissance; its members even went further than their fellow writers in the Arab World in reforming and revitalizing Arabic letters. Gibran, Rihani, and Naimy became citizens of the US and wrote both in Arabic and in English. As ambassadors of their homeland to the West, they celebrated the glorious past of the Arab world but attacked what they considered its backward present. In America, they were impressed with values of freedom and democracy in addition to scientific progress, but rejected what they saw an excessive materialism at the expense of spirituality".²

استطاعت الرابطة أن تحقق نظر مؤحدة عن الأدب والفن وأن تزود الأدب العربي بتجربة أدبية ناجحة تتمتع بالجدة، وكانت الرابطة تمتاز عن غيرها بأنها قائمة على الانتقاد في اختيار أفرادها. ولقد اغتنت أم اللغات بتلك الهجرة الميمونة بالشعر الصافي السلس المنبجس من الوجدان ومن الفكر الحي

¹حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي العصر الحديث ص 447

²Sana McHarek, Khalil Gibran and other Arab American prophets, Florida state university 2006 p.2

الصحيح الملقح بالتجارب الغربية حيث الصناعة و العلم و الديموقراطية و الحرية و دور المرأة الحي الفاعل في المجتمع, وهذا ما نجد صداه في أدب جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمة و آل المعلوف و جورج صوايا و غيرهم ممن يضيق هذا المقال عن حصرهم

.إن أعضاء هذه الرابطة تغنوا بالأوطان و وصفوا الحنين إليها و لوعة البعد عن الخلان.فخلاصة القول أن الأدب المهجري يدعو الإنسان إلى أن ينظر إلى الكون بعين الجمال و الجلال غامضا المكاره و الصعوبات, كما يدعو إلى التمتع بالحياة و اغتنام الفرص و استغلالها قبل فوات الأوان.كما يوبخ الذين يشكون من هذه الحياة الجميلة و لا يرون جمالها, واعظا إياهم بأسلوب حكيم , عارضا شقاء الحياة و مسراتها . ويقولنعيمة:"إذن مهمة الأدب هي التعبير عن الإنسان و كل حاجاته , و حالاته تعبيرا جميلا , هادفا من شأنه أن يساعد الإنسان على تفهم نفسه و تفهم الغاية من وجوده.

المصادر و المراجع

جورج صيدح , أدبنا و أدباؤنا في المهاجر الأمريكية, الطبعة الثالثة, بيروت 1965

عبد المنعم الخفاجي, قصة الأدب المهجري , ب ت

ميخائيل نعيمة, الغربال, الطبعة الخامسة عشرة , 1991

جبران خليل جبران ,دمعة و ابتسامة

حنا الفاخوري,تاريخ الأدب العربي العصر الحديث,

د. حسن جاد حسن , الأدب العربي في المهجر, دار قطري بن الفجاءة للنشر و التوزيع . الدوحة, قطر

عيسى الناعوري , الأدب المهجري, دار المعارف , القاهرة.

Sana MCharek ,Khalil Gibran and other Arab American prophets, Florida state university 2006



أستاذي الحنون

(الشيخ نذر الحفيظ الندوي الأزهري)

(١٩٣٩م - ٢٠٢١م)

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي

التحقت بدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٨٤م وتعلمت على علمائها وفضلائها ست سنين متتاليات على اختلاف مستواهم وفضائلهم واذواقهم وشمائلهم وتفننهم في علومهم وفنونهم وسلوكهم مع الطلبة ومسالكهم وعلى راسهم العلامة أبو الحسن فملت من مناهلهم ومنابعهم غير أنني عللت من فيوض أدبائها أكثر فأكثر واندمجت مع أخيلتهم وانسجمت ببينات فكرهم فلا أنسى تلكم الدروس ألقاها علينا هؤلاء العمالقة التي خدت قلوبنا وأمست جزءاً من حياتي ولن أنسى عطفهم ورأفتهم بنا وإرشادهم إيانا فكم من ذكريات تعلقت بعقولنا وقلوبنا وكم من تذكارات تزيل عنا تعب الحياة وعناء الشدائد وتمسي مصابيح منيرة في ظلام الليالي الحالكة الكالحة وتهدي إلى عقل سليم وفكر مستقيم واعتدال محمود وترفع إلى جوتنسي الجدال والخصام في جزئيات لا يتبنى عليها صرح الإسلام العظيم بل يحدث فجوات بين المسالك والمذاهب وتمزق شمل الأمة وتشئت جمعها ووحدها. وقد نسيت الأمة أن الافتراق وعدم اعتصامها بحبل الإسلام المتين قد أضرتها في الماضي ابتداء من خلافة علي رضي الله عنه إلى يومنا هذا وهي في اختبار شديد وانحطاط عنيف ولن تنجح حتي ترجع إلى الأصول والأسس.



كان منهج ندوة العلماء يقوم على دعائم متينة رصينة رحبة يجمع شمل الأمة ويدعو إلى الاعتصام و الربط متجنباً عن الجدل في الفروع والجزئيات مركزاً على الجذور و الأسس فكان أعضاؤها المستشارون من الفرق المذهبية كلها يدلون بأرائهم و يضيئون المشاكل من

الجوانب كلها. رأيت بعيني رأسي العلامة الندوي يسرع إلى صلاة جنازة على ميت لقريب من أقرباء طالب مليزي صليت في مسجد ندوة العلماء ، رأيت ندي اللسان ، رطيب الفم بذكر العلماء من شتى الفرق ، لم أرو لم اشاهد الجدل والنزاع في هذه الدار في القضايا التافهة والمسائل الفقهية الجزئية الفروعية إلا أنني أبصرت بأعين عيني الطلبة من مختلف المدارس الفكرية من أنحاء العالم يوحدتهم كلمة التوحيد والعكوف على الدراسة والانغماس في المذكرات.

لا غرو أن مثل هذه الجواء ليخلق قرية يتفوح منها أريج التضامن والوئام ويحدث أريحة في القلوب وينبت الائتلاف والمحبة.

فكان أستاذي زهرة طرية غضة من هذه الحديقة الوارفة الظلال ونمطا من انماط من هذا الأجواء. "خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي" محبوبا إلى الأكابرو

الأصاغر، سمتا يهتدي به الطلبة على اختلاف أماكنهم وبلدانهم وألوانهم وأذواقهم ومستوياتهم ، و
منارة يستضيء بها السراة و علم طريق يسترشد به الركبان. وكيف لا فقد اترع فؤاده الغض بحب
الإسلام و المسلمين و شغف بالشرع حبا على السماع و قد ظل يعيش في كنف العلامة الندوي و
رعايته و نهل مدة غير قليلة من صحبته و هديه ما زكى به نفسه و وعى من حديثه ما ملأ صدره و ذاق
من نبيل شمائله و جليل خصاله ما يغتبطه عليه زملاؤه فضلا عن غيرهم لأنه لازمه ملازمة الظل إلى
ان لحق بالرفيق الاعلى.

تتلمذت على الفقيه أربع سنين دأبا فما ألد كان خطابه لي إذا ناداني...مظفر.. أسمع منه هذا
النداء في الحلم و اليقظة حتى هذه الآونة و أتيقن سماعه إلى ان أصبح حيث صار إليه. تعلمت منه
الأدب العربي ما جعلني متحمسا للدين متشجعا له و قويا على تلقي العضلات و الشدائد بوجه
طليق و صدع الحق من غير ان أخاف لومة لائم او لائمة.

لم أره قط يغضب على أحد من طلبته لأنه كان وقورا حليما جادا فكان يعلم أكثر مما كان يتفوه
لعل كلامه لم يكن يساعده او كانت الافكار تتجمع في خلدته اكثر فتتخاضم في الخروج فما كان سبب
عدم تعين ليلة القدر إلا النزاع. كان قليل الكلام كثير التعمق في الأمور، لم يكن يتكلم إلا إذا دعت
إليه حاجة فإذا تكلم أوجز، لم أره يتقنه مهما كانت الطرفة مضحكة مغرية على ضحك و
الطرب، يعمل عمله بتأن و هدوء لا يتعجل فيه ، ولا يعمل عملا لا يعرفه ولا يتعالم ولا يتفاقه فكان
هذا سر نجاحه.

تتلمذت عليه عدة سنين فكان يدرسنا "التصوير الفني في القرآن" للسيد قطب رحمه الله فما
كان أحسن تدريسه و تعليمه لا مرية أنه كان يتلعثم في الكلام ولكنه كان يتمه و يفهم الدرس حق

الفهم ويكرر حتى نفهم فحواه ومعناه وإذا وجه إليه سؤال لم يعبس ولم يتعجد فكان يجيب بوجه طلق وسرور.

و ارى نفسي محظوظا سعيدا إذ تعلمت منه التعبير والإنشاء في ناحية مسجد ندوة العلماء الفسيح الجنوبية قريبا من المتوضأ وذلك بعد عصر كل يوم ولم يشاركني فيه أحد كان رحمه الله يحدد لي ترجمة عبارة من أي كتاب شاء إلى العربية وبالعكس ويقوم بتصحيحها من غد فلا أنسى ذلك الحب والحنان والشفقة علي طوال حياتي.

رحمه الله تعالى فقد كان نسيج وحده في التواضع والحنان كما كان أديبا بارعا ومصنفا قديرا متقنا اللغة العربية و ابن بجدها ولعله لم يبلغ شأوه من العلماء المعاصرين في معرفة خفايا أصحاب وسائل الإعلام وصنعهم في العالم لا سيما في العالم الإسلامي وقد صنف بهذا الصدد كتابا مهما فذاع صيته وانتشر كانتشار النار في الغابات.